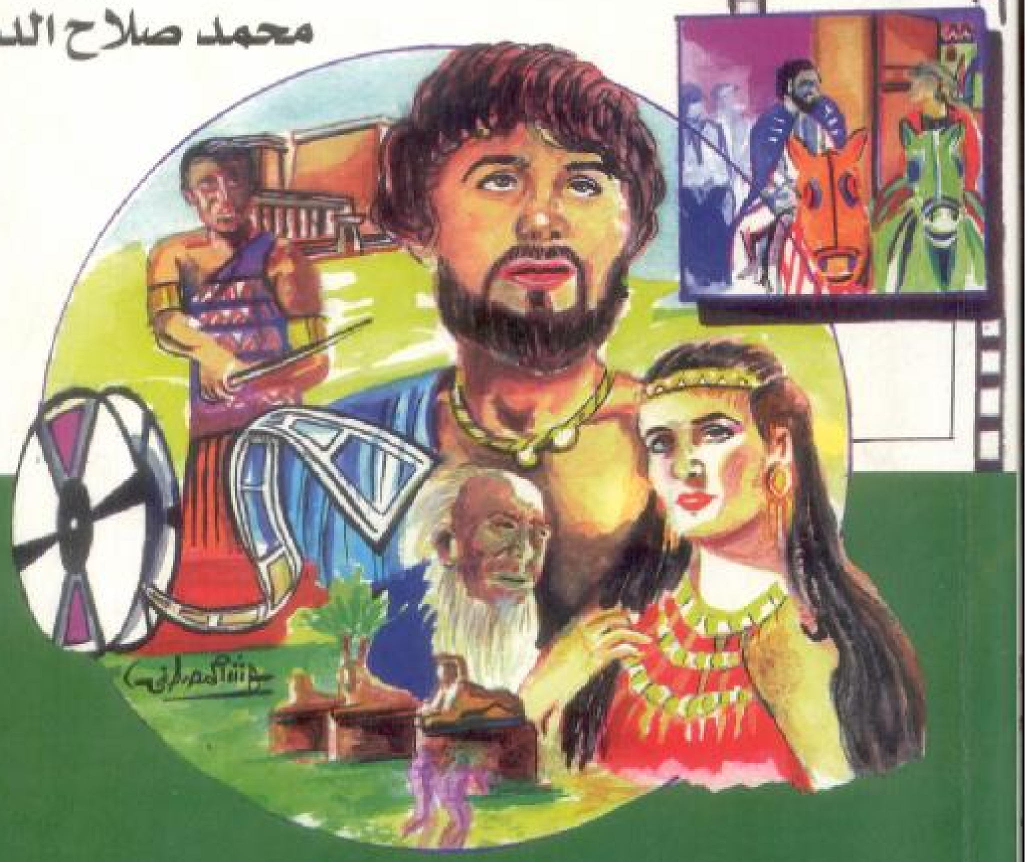
الدين والعقيدة فى السينما المصرية

محمد صلاح الدين



مكتبة مدبولى

هذا الكتاب



محمد صلاح الدين

السينما المصرية حين تتناول الدين والعقيدة فى أفلامها فإنها لا شك تعرف طريقها اليسير نحو مشاعر جماهيرها.. وتعرف أنها تخاطب وجدانه بأقصر الطرق وأوضحها وأجلها، مما يضمن لها النجاح والوصول إلي أكبر عدد ممكن من المشاهدين لهذا الفن.. ومع ذلك لم تستثمر السينماالمصرية هذا (الضمان) كما يجب.. بل لم تحاول حتى الاجتهاد فى كون استغلال هذا الفن ـ كرسالة ـ فى خدمة الأديان كما كان مطروحاً فى الغرب وفى الشرق بعد ذلك عقب ظهور فن السينما إلى الوجود فى نهايات القرن الماضى.

ومع إدراك هذا المغزى فى الغرب حيث اكتشف علماء التربية أن تعليم الأطفال عن طريق المشاهدة له أعظم الأثر فى نفوسهم، وأقرب إلى مداركهم ونزعاتهم منه عن طريق القراءة والاستذكار، حتى أنهم أقبلوا على اتخاذ الأشرطة الدينية أداة للتعليم.. فإن الشرقيين مازالت نظرتهم قاصرة فى هذا الاتجاه قصوراً يشى بتراجع واضح نحو هذا الهدف، وأهداف أخرى يمكن أن تتحقق إذا ما تمت مراجعة الأمور بجدية ونفاذ بصيرة حتى تحقق أهدافها المرجوة، والتى يكون أقلها هو سد احتياجات الجماهير لهذه النوعية من الأفلام السينمائية.

الناشر

الدين والعقيدة

فى السينما المصرية

محمد صلاح الدين

الدين والعقيدة في السينما المصرية

الناشر
مكتبة مدبولي
١٩٩٨

الكتاب : الدين والعقيدة في السينما المصرية
الكاتب : محمد صلاح الدين
الطبعة : الأولى ١٩٩٨ م
الناشر : مكتبة مدبولي ـ ٦ ميدان طلعت حرب القاهرة
ت: ٥٧٥٦٤٢١ ـ ٥٧٥٦٤٢١ ـ تليفاكس: ٥٧٥٢٨٥٤
رقم الإيداع : ٩٧/٨٧٤٧
الترقيم الدولي : ISBN - 6 - 213 - 208 - 977
لوحة الغلاف : هشام مصطفى
الجمع التصويري : دار جهاد ٢٦ ش اسماعيل أباظة - لاظوغلي
والتنسيق الداخلي : ت: ٣٥٦٤٧٨٣

محتويات الكتاب

إهداء

إلى هؤلاء الذين حاولوا

أن يختلفوا عما كان سائدا..

سواء بقصد أو بدون قصد

.. ولكنهم حاولوا!..

مقدمة

العقيدة من المبادىء الراسخة فى وجدان الشعوب العربية والإسلامية كافة لما تمثل لها من قيمة عليا متفردة للدنيا وللآخرة.. للحياة التى يعيشها الناس، ولما بعد هذه الحياة.. والجمهور المصرى له خصوصية فى هذا الصدد تجعله يجل ويوقر كل ما يتعلق بهذه العقيدة من قريب أو بعيد..

والسينما المصرية حين تتناول الدين والعقيدة فى أفلامها فإنها لاشك تعرف طريقها اليسير نحو مشاعر جماهيرها.. وتعرف أنها تخاطب وجدانه بأقصر الطرق وأوضحها وأجلها، بما يضمن لها النجاح والوصول إلى أكبر عدد ممكن من المشاهدين لهذا الفن.. ومع ذلك لم تستثمر السينما المصرية هذا (الضمان) كما يجب.. بل لم تحاول حتى الاجتهاد فى كون استغلال هذا الفن -كرسالة- فى خدمة الأديان كما كان مطروحا فى الغرب، وفى الشرق بعد ذلك عقب ظهور فن السينما إلى الوجود فى نهايات القرن التاسع عشر..

ولاشك أن أسباب ذلك التقصير عديدة ومتنوعة ومختلف عليها -لايزال- ولا تغيب على أى سينمائى أو باحث أو ناقد أو حتى متابع لهذا الفن.. ويعرف جيدا تدرج المعوقات -إذا جاز لنا أن نطلق عليها هذا التعبير- من إعداد جيد ومتقن للقصة السينمائية الدينية، أو التى ترمى إلى ذلك.. إلى تكاليف إنتاج باهظة.. إلى رقابة مازالت جامدة حيال مثل هذه الموضوعات، متخبطة بل متناقضة حيال ما هو مسموح به، وما هو ممنوع من العرض على الجمهور.. إلى شعور داخلى اتسم بالخوف والوجل بل والحيرة لدى السينمائيين أنفسهم مما يؤثرون صرف النظر كلية عن فكرة تقديم مثل هذه النوعية على شاشة السينما مع أهميتها القصوى بالنسبة للجماهير المتعطشة لهذا الاتجاه!.

ومع إدراك هذا المغزى فى الغرب حيث اكتشف علماء التربية -على سبيل المثال- أن تعليم الأطفال عن طريق المشاهدة له أعظم الأثر فى نفوسهم، وأقرب إلى مداركهم ونزعاتهم منه عن طريق القراءة والاستذكار، حتى أنهم أقبلوا على اتخاذ الأشرطة الدينية أداة للتعليم.. فإن الشرقيين، وخاصة فى مصر -باعتبارها المنتجة الأولى لفن السينما- مازالت نظرتهم قاصرة فى هذا الاتجاه.. قصورا يشى بتراجع واضح نحو هذا الهدف، وأهداف أخرى عديدة يمكن أن تتحقق إذا ما تم مراجعة هذه الأمور بجدية ونفاذ بصيرة حتى تحقق أهدافها المرجوة، والتى تكون أقلها هو سد احتياجات الجماهير لهذه النوعية من الأفلام السينمائية..

وحين تصديت للبحث فى هذا المجال فى طول تاريخ السينما المصرية وعرضه اصطدمت بالعديد من المشكلات.. أولها وأهمها أنه لا توجد مراجع أو أبحاث فى هذا الصدد يمكن لها أن تكون مرشدا ودليلا للوصول إلى الهدف المرجو.. بل إن هناك أفلاماً لم تعد موجودة أصلا.. أو تعذر الوصول إليها.. وكلها مشكلات أسبابها مختلفة تدخل فى دائرة التقصير والإهمال وما إلى ذلك من تعبيرات استهلك الحديث فيها حتى بات مملا وخانقا!..

وعندما بدأت الرحلة الشاقة والممتعة معا، لم أجد أمامى ما هو واضح مستبين أكثر من أفلام التاريخ الإسلامى.. ومع ذلك لم تكن معلوماتها كافية حتى أننى اضطررت إلى الرجوع إلى بعض من صنعوا هذه الأفلام من الموجودين، أو ممن شاركوا فيها لجمع بعض المعلومات الأساسية وذكرياتهم الخاصة بها.. ثم تناولت الأفلام الأخرى المعاصرة التى تناولت الدين أو العقيدة.. ولما كانت الأفلام التاريخية تعوزها المعلومات المجردة، فقد آثرت أن أقدمها بكل مفارقاتها المختلفة حتى يتوافر لدينا مادة أولية للبحث..

لذلك آثرت تقسيم الدراسة إلى بابين رئيسيين أولهما: الأفلام التاريخية الإسلامية.. وثانيهما: أفلام المجتمع المعاصر..

فالمعلوم انه لا توجد أفلام تاريخية مسيحية أو يهودية أو تنتمى لأية عقيدة أخرى، اللهم باستثناء بعض التجارب التى بدأت تنتجها الكنيسة مؤخراً ولكنها تطبع وتوزع على أشرطة الفيديو وفى نطاق محدود.. وهى بالطبع لا تحسب على تاريخ السينما المصرية لعدم توافر شرط العرض الجماهيرى العام.. وبالتالى فهى خارج نطاق دراستنا.

ولن أدعى أن البحث مستوفى كما كنت أرغب.. وإنما يكفينى شرف المحاولة، فاتحا به طريقا مرجعيا لآخرين يحاولون سد النقص فى هذا الصدد.. وقد استخدمت المنهج التحليلى مع المنهج الوصفى راصدا ظواهر تداخلت فيها عمليات الفيلم المختلفة من ظروف إنتاجه، إلى ظروف عرضه وخروجه إلى النور، إلى مدى تأثيره وتأثره بالمحيط به من حوادث ووقائع وتحليلها بما قد يفيد الدارسين والمهتمين بتاريخ السينما المصرية على وجه الخصوص وكذا المهتمين بهذه القضايا على وجه العموم.

المؤلف

الباب الأول :

الأفلام التاريخية

١ - (ظهور الإسلام)

نشر الدكتور «طه حسين» كتابه الشهير (الوعد الحق) في عام ١٩٥٠ لأول مرة.. وذلك استكمالا لسلسلة كتبه فى التاريخ الإسلامى والتى بادر فيها بمشروع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي.. وهو ما توافق مع رؤية بعض أبناء جيله فى هذا المضمار مثل: عباس محمود العقاد وأحمد أمين وإبراهيم الإبيارى وغيرهم.. وكاد د. طه حسين يحدد منهجه فى كتابة هذا التاريخ العظيم فى صورة مختلفة عما كان يفعله المؤرخون من قبل في كتاباتهم من حيث الاهتمام فقط بالوقائع والحوادث التى رصدتها المادة التاريخية.. ولكن طه حسين اهتم أكثر بالجانب الاجتماعى والثقافى، وبالحياة الأدبية فى هذا التاريخ.. وبذلك ظهرت أعماله فى شكل فنى جذاب بالرغم أنها تتناول أحداث التاريخ الإسلامى!.

وقد استهل طه حسين كتابه بالآية رقم (٥٥) من سورة النور بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾ صدق الله العظيم.

ثم بدأ يحدثنا بأسلوب ونظرة الأديب الفنان عن بعض المتقدمين فى الإسلام.. من هذه الصفوة المتميزة التى قامت على عاتقها الدعوة الإسلامية.. وعن هؤلاء المستضعفين فى الأرض الذين جاء الإسلام فنفخ فيهم من روحه.. وأشعرهم بكيانهم الإنسانى الكريم الذى لا يتأثر بسواد وجه أو بياضه، أو بحمرة بشرة أو بسمرتها، أو يفرق بين عربى وأعجمى.. كما لا يخضع لأى نظام جائر.. ذلك الإسلام شريعة الله السمحة التى وعدت بأن لا تقيم السدود بين الأحرار

والعبيد.. هؤلاء العبيد الذين علمهم الإسلام معنى الحرية ومعنى الكرامة الإنسانية.. فلم يفرق بين الناس لشرف مولد ولا لجاه منبت ومنشأ.. وإنما ميز بين النفوس بما قدمت من خير أو عملت من شر.. ومن هؤلاء الرجال الذين وعدهم الله ذلك الوعد الحق «عمار بن ياسر»، و«بلال بن رباح»، و«صهيب بن سنان» وغيرهم من الصحابة الكرام..

ويمضى الدكتور طه حسين فى هذا الكتاب ليقدم تحليلا لهذه الشخصيات.. وجهادهم فى سبيل إقامة دعائم الحق.. وأعمالهم من أجل نشر الدعوة واتصالهم بالرسول الكريم وبالخلفاء الراشدين من بعده.. وعطائهم للإسلام فى أعوامه الأولى.. فضلا عن جوانب عديدة من أخلاقهم وعلاقاتهم بالآخرين ومواقع كل واحد منهم ومشاركته فى بناء الدولة الإسلامية العظيمة.. فيعرض لنا بشىء من الاعتزاز كيف أن الإسلام يقدر رجاله فها هو ذا «صهيب الرومى» اماما للمسلمين يصلى وراءه الجميع ممن كانوا أرقاء وسادة قدماء بعد أن سوى الإسلام بين الجميع.. ويصبح «عبد الله بن مسعود» أميرًا لبيت مال المسلمين فى الكوفة.. ويخرج «بلال بن رباح» إلى الجهاد فى عهد أبى بكر ويقيم فى دمشق حتى يلقى ربه.. ويصبح «عمار بن ياسر» أميرًا للكوفة ثم يعود إلى المدينة حتى تقتله الفئة الباغية!.

***

السينما فى خدمة الدعوة!

فى تلك الأثناء كانت السينما فى العالم قد بدأت تقدم مجموعة متنوعة من الأفلام الدينية المسيحية التى تتناول حياة السيد المسيح وفترة اضطهاد دعوته من الشعب اليهودى وأحبارهم، ومن أباطرة الرومان وحكامهم.. ومن أمثلة هذه الأفلام فيلم (ملك الملوك) الذى حقق شهرة واسعة فى العالم وشاهده ملايين الناس من مختلف الديانات.. وعرض فى مصر فى تلك الفترة من نهاية

الأربعينيات.. وكم تمنى المسلمون فى مصر وفى بعض الدول العربية من محبى وعشاق السينما أن يوفق الله واحداً من المشتغلين بالسينما إلى إخراج فيلم يعالج فترة ظهور الإسلام، ويدعو دعوة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين.. وقد رغب فى تحقيق هذه الأمنية كثير من السينمائيين المصريين فسعوا فى محاولات مختلفة ومتباينة نحو هذا الهدف.. ولعل أولى هذه المحاولات -وأغربها فى نفس الوقت- هى محاولة الفنان الكبير يوسف وهبى لتجسيد شخصية النبى محمد «صلى الله عليه وسلم» على شاشة السينما فى فترة بدايات السينما المصرية عام ١٩٢٦، وذلك بايعاذ من شركة فرنسية ومندوبها فى مصر المخرج التركى اليهودى وداد عرفى!!

ولكن كبار علماء الأزهر الشريف ورجال الدين اعترضوا بشدة، وتصدوا بمنتهى القوة والحزم لهذا المشروع.. وطالبوا بعدم ظهور النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم وكافة الأنبياء والمرسلين والصحابة على الشاشة أو تمثيل هيئتهم المصونة.. فتوقف المشروع تماماً.. واعتذر يوسف وهبى على الملأ لعدم فهمه لهذه الأمور!. ووضح موقفه بأنه ما كان ليجرؤ على الخوض فى هذه المسألة دون الرجوع إلى رجال الدين..

وانتهى الأمر عند هذا الحد.. ولكن الأمر لم ينته بالنسبة لعلماء الأزهر ورجال الدين الذين أخذوا موقفا مبكرا من الفن السينمائى بسبب هذا الحادث.. فضلاً عما قدمته السينما المصرية بعد ذلك من أفلام تحمل موضوعات ومشاهد تحاكى فيها المجتمع الأوربى والأمريكى أكثر مما تعبر عن مجتمعاتنا الشرقية والعربية..

ولكن فكرة عمل فيلم دينى إسلامى لم تغرب عن أذهان كثير من السينمائيين الجادين.. لاعتقادهم الراسخ بأهمية استغلال هذا الفن المبتكر الساحر فى الدعوة الإسلامية وإبراز تاريخ هذه الدعوة، ومدى صمودها أمام قوى الكفر والإلحاد والشرك والفساد، وانتصاراتها عليها.. فتقدم بعضهم بالفعل يريد إنتاج فيلم

إسلامى، ولكن رجال الدين عارضوا هذه الرغبة أشد المعارضة.. بل ورموا السينما بأنها رجس من عمل الشيطان، خاصة أنهم كانوا دائمى الاعتراض والمطالبة بتشديد القبضة على بعض مشاهد الفتيات بالملابس المكشوفة، ومناظر تعاطى الخمور وغيرها من تلك المشاهد التي تخاطب الغرائز..

***

وظل الحال كذلك حتى عام ١٩٤٩ حينما عاد من الولايات المتحدة مخرج مصرى ومحام اسمه «إبراهيم عز الدين» كان قد تخرج فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وعمل بالمحاماة لفترة قصيرة، ثم اتجه إلى العمل الصحفى كاتباً لبعض المقالات الثقافية والفنية، بل وكان يكتب فى علم النفس، وهو الشقيق الأصغر للسياسى المعروف د. محمد صلاح الدين (باشا) وزير الخارجية فى حكومة الوفد.. وكان يحب المسرح، إلا أن السينما استهوته منذ زياراته الأولى لاستوديو مصر، ومشاركة شقيقه فى نشاطه الاجتماعي والفني حيث كان شقيقه رئيساً للجنة العليا لترقية فن التمثيل والسينما والموسيقى.. ولأن إبراهيم عز الدين كان فيه حب المغامرة.. فقد حزم أمتعته وقرر السفر إلى هوليوود عاصمة السينما فى العالم لدراسة الإخراج السينمائي وعلى نفقته الخاصة!.

وسافر إبراهيم عز الدين بالفعل إلى هوليوود فى نهاية عام ١٩٤٥ وبداية عام ١٩٤٦ وبعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها.. والتحق بأحد المعاهد هناك لدراسة السينما، ثم تنقل ما بين هوليوود ولوس انجيلوس وبعض الولايات الأمريكية الأخرى للعمل كمساعد فى بعض الأفلام الأمريكية.. خاصة أفلام الكاوبوى للإفادة بالخبرة العملية..

وعاد إبراهيم عز الدين بعد ثلاث سنوات وعدة أشهر إلى وطنه ليقدم ثمرة خبرته وعلمه واطلاعه الواسع فى فيلم سينمائى مصرى.. وقد استقبلته الصحافة خير استقبال، وظل الجميع يترقب عمله الأول.. وكانت المفاجأة!..

***

وزيران يقفان وراء ظهور الفيلم!

وسط دهشة الجميع وتطلعهم اختار إبراهيم عز الدين قصة الدكتور طه حسين الدينية (الوعد الحق) ليخوض بها تجربته الأولى فى الإنتاج.. وفى الإخراج!!

وفور علم رجال الدين بهذا الخبر قامت عاصفتهم بالهجوم على المشروع الوليد.. واتهموه بالفساد، «وأنه لن يستطيع مقاومة مغريات السينما فى استخدام المشوقات والمغريات التى تربط المتفرج بالشاشة رغبة فى تغذية حواسه وإشباع غرائزه التى يتملقها كل مخرج»..! هكذا جاء بالنص فى ردهم على اعتزام المخرج التصدى والخوض فى تجربة أول فيلم سينمائى دينى إسلامى يظهر على الشاشة فى العالم..!

وفى تلك الأثناء نصحه البعض بالابتعاد عن هذا الموضوع نهائياً.. وإذا كان مصراً على إخراج فيلم دينى فليكن معاصراً يتناول إحدى شخصيات التاريخ الإسلامى أو العربى الحديث.. ولكنه رفض النصيحة.. ولم ييأس فى إصراره على تقديم موضوعه الذى اختاره عن قناعة.. ومضى ينفذ ما اعتزمه.. وواصل إصراره على إقناع رجال الدين بأهمية السينما ودورها فى هذا المضمار.. وقد صرح إبراهيم عز الدين وقتها بأن هذا الفيلم إذا لم يقدم هنا.. فإن أمريكا تنتظره ليعرض هناك.. وبالقطع سينجح لريادة التجربة وحداثتها!..

وتمر الأيام.. وتخدمه السياسة فى تحقيق حلمه المنشود!!

ففى الأيام الأولى من شهر يناير عام ١٩٥٠ جرت الانتخابات العامة لمجلس النواب.. وكانت انتخابات حامية وعصبية فاز فيها حزب الوفد بالأغلبية.. حينئذ قدم رئيس مجلس الوزراء حسين سرى استقالة حكومته للملك فاروق الذى كلف مصطفى النحاس باشا بتشكيل الوزارة الجديدة.. وصبيحة يوم ١٢ يناير شكل النحاس باشا وزارته التى ضمت لأول مرة وزيرين لهما علاقة بالفيلم بشكل أو بآخر!!

الأول كان «د. محمد صلاح الدين بك» لوزارة الخارجية -وهو شقيق المخرج-، والثانى كان «د. طه حسين بك» لوزارة المعارف العمومية -وهو مؤلف القصة والحوار-، وكانا لم يحصلا على لقب (الباشاوية) بعد.. فقد حصل كل منهما بعد دخوله الوزارة على لقب (باشا) بمرسوم ملكى!

***

وكان «إبراهيم عز الدين» قد اشترى قصة (الوعد الحق) من الدكتور طه حسين عام ١٩٤٩ بمبلغ ثلاثمائة جنيه.. وقد رحب طه حسين بالفكرة أيما ترحيب.. ولكنه اشترط على المخرج أن يشارك فى وضع الحوار لضبطه.. فكتب إبراهيم عز الدين السيناريو وأسند كتابة الحوار بالكامل لطه حسين، وكانت المرة الأولى والأخيرة التى يكتب فيها طه حسين حوارا لفيلم سينمائى!. كما اتفقا على إطلاق اسم (ظهور الإسلام) بدلا من (الوعد الحق) لتبيان الهدف من الفيلم، وهو إظهار هذا الجانب المضىء من تاريخ الدعوة.. وحتى يكون واضحا لعامة الناس.. والحقيقة أنه كان تفهماً مبكراً وغير مسبوق من كاتب فى ثقل طه حسين لدور السينما.. وتوصيل رسالتها إلى الخاصة والعامة على حد سواء..

وقد حصل إبراهيم عز الدين على موافقة الرقابة التى كانت تتبع وزارة الداخلية فى ذلك الوقت على تصوير الفيلم.. ولم يبق أمامه سوى رفض بعض رجال الأزهر، الذين ما أنفكوا يهاجمون المشروع برمته على صفحات الجرائد والمجلات.. ولكن طه حسين -وكعادته- تصدى لهم رأياً برأى.. فجاءت معركة أهمية السينما فى خدمة المجتمع والعقيدة ضمن معاركه الهامة التى خاضها طوال حياته.. ومن ورائه سار الكتاب والمثقفون يدافعون عن الفكرة وعن صاحبها.. وعن أهمية ظهور مثل هذا الفيلم فى حياتنا المعاصرة ليكون نواة لإقدام كثير من المؤلفين والمخرجين والمنتجين على تقديم أفلام دينية.. وناشدوا رجال الدين

الإسلامى فى مصر الذين أصبحوا على درجة كبيرة من الوعى بالمخترعات الحديثة أن يدعوا للقائمين على الفيلم بالخير ليتفوقوا فى عملهم المنشود..

وقد قام بالفعل بعض رجال الدين بتأييد استغلال السينما فى الأعمال المشروعة.. بل وأخذ بعضهم يملى شروطاً واضحة جلية على الصور المرئية التى يحل عرضها على الشاشة.. ومنها: الاستغناء عن مغريات الجسد بانطلاق الروح.. وعن اللذات الملموسة بالنشوة المحسوسة.. وأن تخاطب القلوب والعقول خطابا واضحا مستنيرا حتى يحس الجمهور بأن السينما ترتفع به إلى ربه.. ولا تنزل إليه فى حمأة شهواته.. والالتزام بالملابس الشرعية بالنسبة للنساء، فلا يظهرن كاسيات عاريات بما يشف ويكشف ويجسم.. ولا مائلات مميلات بما يغرى ويقلد.. والابتعاد عن الأحضان والقبلات بعداً نهائياً..

وكانت هذه الآراء من أوائل ما اقترح -فى العالم أجمع- من أسس نحو سينما إسلامية..!

***

الفيلم يقدم أربعة نجوم للسينما!

وبدأ تصوير أول فيلم دينى مصرى بعد حوالى ربع قرن من دخول صناعة السينما فى مصر والشرق كله.. وبعد أكثر من نصف قرن من عروض السينما الأولى فى مصر بل ومن اختراع السينما فى العالم كله.. وذلك فى صيف عام ١٩٥٠.. وقد احتضن استوديو مصر الفيلم منذ بدايته برغم أنه من الإنتاج الخاص أو من خارج الاستوديو.. فإنه وضع كل معداته وآلاته وفنييه فى خدمة هذه الفكرة الإسلامية الجديدة.. فصور مشاهده الداخلية فى استوديو مصر، بينما كانت مشاهده الخارجية فى صحراء الهرم وأبو رواش، وقام بتصوير الفيلم المصور الأمريكى «ورنر هولكوم» الذى جاء مع المخرج فى رحلة عودته.. وقد بلغت تكاليف انتاج الفيلم حوالى سبعة آلاف جنيه فقط.. وذلك بسبب التيسيرات

المجانية التى كانت تنهال على المخرج المتنح من كل جانب.. لإحساس الجميع بأنهم يشاركون فى عمل روحانى يبتغون فيه وجه الله.. حتى أن بعض الممثلين اشترك فى الفيلم بدون أجر كالممثل عباس فارس.. كما قدمت وزارة الحربية آنذاك مئات من الجنود من الفرسان بخيولهم للاشتراك فى المعارك بدون مقابل بأمر وزيرها -فى ذلك الوقت- مصطفى نصرت.. فضلا عن اشتراك مجموعة كبيرة من الوجوه الجديدة فى أدوار بارزة..

وقام ببطولة الفيلم: كوكا وعباس فارس وعماد حمدى وسراج منير وسعد أردش وعبد الحفيظ التطاوى وعلى الغندور وزكريا سليمان..

و«كوكا» -بطلة الفيلم- اسمها الحقيقى «ناجية إبراهيم بلال» كانت النجمة المصرية الوحيدة التى تلعب أدوار البدوية.. وكادت تصبح ممثلة عالمية لهذه الأدوار.. فمنذ بدأت مع أم كلثوم فى فيلم (وداد) عام ١٩٣٦ بالشخصية البدوية حتى لمعت، فاستغل ذلك النجاح زوجها نيازى مصطفى فقدمها فى أدوار تاريخية صحراوية فى عدة أفلام ناجحة منها: (رابحة) ١٩٤٣، و(عنتر وعبلة) ١٩٤٥، و(ليلى العامرية) ١٩٤٨.. حتى مثلت أمام «بول روبسون» فيلما أمريكيا، ورآها المخرج «الكسندر كوردا» ورشحها لأدوار البطولة فى السينما العالمية، إلا أن صادفها سوء حظ فلم تكمل مسيرتها العالمية.. واكتفت بالعمل فى السينما المصرية.. بل وكبلت بالأدوار البدوية حتى توفيت يوم ٢٩ يناير عام ١٩٧٩ عن (٦٦ عاماً) بعد أن قدمت للسينما ٢٤ فيلماً طويلاً!

وقد لعبت «كوكا» فى الفيلم دور «سمية» أم عمار بن ياسر (أول شهيدة فى الإسلام)، والتى كانت قد آمنت بسيد الخلق نبى الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقتلها أبو جهل، وقتل زوجها ياسر، وعذب ابنهما عمار..

***

كما اشترك فى هذا الفيلم بالتمثيل لأول مرة: أحمد مظهر وكمال ياسين وتوفيق الدقن وعبد المنعم إبراهيم كوجوه جديدة!.

وكمال ياسين لعب دور «ياسر» أحد أوائل الشهداء فى الإسلام الذين نالوا غضب قريش وتعذيبها له.. وكان خريجا جديدا من معهد الفنون المسرحية.. ويعمل فى المسرح.. ونفس الشىء مع توفيق الدقن الذى كان (ظهور الإسلام) هو بداية ظهوره فى السينما، وتربعه بعد ذلك على أدوار الشر فى عشرات بل مئات الأفلام المصرية.. وقد تخرج فى نفس العام الذى عرض فيه الفيلم (١٩٥١) وحصل على دبلوم معهد التمثيل، ثم شارك أيضا فى المسرح والإذاعة أثناء مسيرته السينمائية الطويلة والتى امتدت حتى وفاته عام ١٩٨٨.. وكذلك عبد المنعم إبراهيم الذى تخرج هو أيضا فى معهد التمثيل عام ١٩٤٩ وعمل فى المسرح حتى اختاره إبراهيم عز الدين لـ(ظهور الإسلام)، ومنها انطلق إلى السينما التى استفادت منه كممثل كوميدى غزير الانتاج حتى توفى عام ١٩٨٧..

أما النجم أحمد مظهر فقد كان ضابطا فى سلاح الفرسان.. ووقع عليه اختيار المخرج لدور (أبو جهل) عدو الإسلام الأكبر لمظهره الصارم، وخشونته وقسوته التي تبدو على ملامحه رغم وداعة شخصيته الحقيقية.. وقد اضطر أحمد مظهر إلى أن يحصل على إذن خاص من القوات المسلحة .. وبالتحديد من حيدر باشا رئيس أركان الحرب لانتدابه للاشتراك فى فيلم (ظهور الإسلام).. وبعد الانتهاء من تصوير الفيلم عاد ضابط الفرسان إلى ثكنات الجيش ليمارس عمله العسكرى مرة أخرى.. وكان هذا الفيلم السبب فى عشقه للسينما والتضحية بوظيفته بعد أن وصل فيها إلى رتبة (العقيد) لكى يصبح من أهم نجوم السينما المصرية والعربية على الإطلاق..

ويروى أحمد مظهر ذكرياته عن هذا الفيلم فيقول:

- كانت هناك علاقة صداقة تربط بينى والمخرج إبراهيم عز الدين، والذى

عرض عليَّ الاشتراك فى فيلمه (ظهور الإسلام) حيث كان يحتاج إلى فرسان فى الفيلم.. وأخذ يدربنى على التمثيل تدريبات مكثفة.. فلم يكن مخرجاً فحسب.. بل كان معلماً واسع الثقافة والخبرة.. وصاحب مدرسة فى فن التمثيل التلقائى.. حيث كان يردد دائما عبارة: (أشعر بالحاجة واترك نفسك.. وسيظهر ما تقصده بشكل تلقائى).. وتمت موافقة الجيش على تمثيل الفيلم بشرط أن أعود بعدها مباشرة إلى قواعدى فى ثكنات الجيش وأنسى كل شىء.. وقد تم أيضاً انتداب ضابط آخر معى هو «أحمد عبد السلام كفافى» لقيادة الفرسان الذين ظهروا فى الفيلم.. كما استعان المخرج بمائة خيالة بجيادهم من الجيش!

***

رئيس وزراء مصر يحضر حفل الافتتاح!

والفيلم يقدم الحياة فى جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام حيث عبادة الأصنام والظلم والجهل منتشر فى كل مكان.. وكان ظهور الإسلام حيث الدعوة لعبادة الله الواحد الأحد، والتبشير بالرحمة والخير والحق والعدل.. ويعرض الفيلم أنواع العذاب التى تعرض لها المسلمون الأوائل.. وكيف كانت قوة العقيدة والإيمان أقوى من عذاب المشركين.. وكيف انتصر الإسلام وزاد عدد المؤمنين وأصبح له الكلمة العليا..

والفيلم مدة عرضه ٩٧ دقيقة.. وقد قام بعمل المونتاج كمال الشيخ الذى قال لى: إنه أثناء عمله فى مونتاج هذا الفيلم كان يستعد لإخراج فيلمه الأول (المنزل رقم ١٣) الذى عرض عام ١٩٥٢.. وإنه ظل يمارس عمله كمونتير حتى بعد أن أخرج فيلمه الأول.. ولكن ليس بصفة منتظمة.. بل بشكل شخصى وبناء على طلب وإصرار أصدقائه المخرجين أمثال أنور وجدى وغيره.!

ومن ذكرياته عن فيلم (ظهور الإسلام) يقول كمال الشيخ:

- كان المخرج إبراهيم عز الدين مبدعا رغم تجربته الأولى، وكان يصنع عملاً جديداً ورائداً فى السينما العربية.. باعتباره بداية لهذا اللون من الأفلام.. وقد أفاده فى عمله المصور الأمريكى الذى أحضره معه.. ولكنه صور أفلام خام، أو مادة فيلمية كثيرة.. وكان علىّ أن أختار وأفاضل بين اللقطات وبين بعضها البعض.. حتى أننى استغرقت فى مونتاج هذا الفيلم أكثر من ثلاثة شهور متواصلة وبشكل يومى..

***

وانتهى العمل فى فيلم (ظهور الإسلام).. وقدم الدكتور طه حسين الفيلم بكلمة بصوته المميز كان لها أثر طيب فى نفوس المشاهدين.. حيث قال فيها: «إن هذا الفنان يجرب فنه فى ظهور الإسلام.. وكيف شع ظهور نوره على هذه البقعة من الأرض.. فأضاءت وأضاء ما حولها»..

وقد حرص د. طه حسين والسيدة قرينته وبعض رجال السياسة والصحافة والفن على حضور العرض الخاص الذى أقامه المنتج والمخرج إبراهيم عز الدين فى صالة العرض باستوديو مصر فى الأسبوع الأول من شهر إبريل عام ١٩٥١.. وأبدى الجميع إعجابهم بالفيلم أيما إعجاب..

وفى يوم الإثنين ٩ أبريل عام ١٩٥١ عرض فيلم (ظهور الإسلام) بدار سينما ستوديو مصر بالقاهرة، ودار سينما ريتس بالإسكندرية.. وبعدها بأسبوعين عرض فى جميع دور العرض بالأقاليم.. وقد استقبله الجمهور استقبالاً لم يحدث لأى فيلم عربى من قبل..

وكان قد حضر حفل «البرميير» فى ماتينيه يوم الأحد ٨ أبريل رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت «مصطفى النحاس باشا» مع د. طه حسين وزير المعارف وإبراهيم عز الدين المخرج وبعض أبطال الفيلم.. وكان فى صحبة رئيس الوزراء

مجموعة كبيرة من الوزراء فى حكومته.. وفى نهاية العرض هنأ مخرج الفيلم وأبدى له إعجابه به وبأفكاره التى حببت إليه الإقدام على انتاج وإخراج هذه النوعية من الأفلام.. وأخذت الصور التذكارية لهم بهذه المناسبة..

وحقق الفيلم نجاحاً كبيراً.. وحقق دوياً هائلاً فى وسائل الإعلام المختلفة.. وأقبل الجمهور يستقبل الفيلم بحب وشوق ورغبة بل ورهبة.. وبمشاعر فياضة لم يعهدها أى فيلم سينمائى آخر منذ عرفت مصر السينما منذ عام ١٨٩٦.. فقد رأى الجمهور لأول مرة على الشاشة المسلمين يعذبون من أجل كلمة الحق.. بل ورأى أول شهداء للإسلام يموتون فى سبيل الله وفى سبيل دعوته العصماء.. فكانوا يهتفون فى دور العرض فيهللون ويكبرون بصوت مرتفع..

واستمر عرض الفيلم بنجاحه الكبير فى دار سينما ستوديو مصر لمدة ثمانية أسابيع كاملة حقق خلالها إيراداً قدره أكثر من ثلاثة عشر ألف جنيه.. وبذلك غطى تكاليف إنتاجه وزاد من عرضه الأول فقط.. خاصة إذا علمنا أن أنجح الأفلام فى تلك الفترة لا يستغرق عرضه لأكثر من أربعة أسابيع.. وأن سعر التذكرة بضعة قروش قليلة..

***

أما فى المنطقة العربية وفى بلاد العالم المختلفة فقد قام المخرج والمنتج بنفسه بالسفر إلى البلاد العربية للتعاقد على بيعه، بل والإشراف على عروض الفيلم المتعددة.. حتى أن نسخة الفيلم بيعت فى بعض المناطق العربية بمبالغ كبيرة جداً بالمقارنة بأسعار الأفلام المصرية الأخرى فى هذه المناطق.. فمثلا بيع فى شمال أفريقيا بعشرة آلاف جنيه.. بينما نسخة الفيلم المصرى كانت تباع فى تلك الفترة فى حدود ألفين من الجنيهات.. حتى أن نجاح فيلم (ظهور الإسلام) المذهل لفت أنظار السينمائيين بشدة إلى هذه النوعية من الأفلام، التى تجذب الجماهير فكان سببا رئيسيا فى إقدام المنتجين على إنتاجها..

وبعدها عرض الفيلم فى بعض دول العالم الإسلامية.. فاستقبله الجمهور استقبالاً خرافياً.. حتى قيل: إن الجمهور فى «إندونيسيا» كانوا يخلعون أحذيتهم قبل الدخول إلى دار العرض ليشاهدوا الفيلم.. وذلك لإحساسهم وشدة مشاعرهم بأنهم مقبلون على مشاهدة أعمال دينية مقدسة!!

***

ومن المفارقات التى وقعت فى أعقاب عرض هذا الفيلم الرائد (ظهور الإسلام).. أن مؤلف قصته وكاتب حواره الدكتور طه حسين أبدى عدم رضائه عن الفيلم بعد ذلك بعدة سنوات.. وقال: إنه لم يكن متفائلاً كل التفاؤل عن التجربة التى ألقى إليها بكتابه «الوعد الحق».. لأنه حدث فى أثناء تصوير هذا الفيلم ما جعل طه حسين يقاطع السينما، ويرى أنها شر وبلاء بالنسبة للأعمال الأدبية.. وأخذ يرجو مشاهديه بأن يكونوا رحيمين به.. ثم نصحهم بأن يعودوا إلى قراءة الكتاب!!

***

ورغم موقف د. طه حسين المعلن هذا من الفيلم فإن المخرج التسجيلى محمود سامى عطا الله يروى واقعة طريفة حدثت له أثناء دراسته فى كلية الحقوق تبين مدى اهتمام المبدع -أياً كانت مكانته أو موقعه أو رأيه- بالنقد الذى يتناول عمله.. حتى ولو كان صادراً من طالب مازال يدرس فى الجامعة!!

يقول محمود سامى عطا الله:

- كانت هناك جريدة أسبوعية فى أوائل الخمسينيات اسمها (السوادى) تهتم بالأدب والنقد بأنواعه المختلفة، فأردت أن أكتب نقداً سينمائياً لها عن طريق زميل دراسة فى الكلية، فأعجب صاحب الجريدة بالمقال وطلب مقابلتى، ولما التقيت به هنأنى على أسلوبى فى النقد، وكلفنى بمشاهدة فيلم (ظهور الإسلام)

الذى كان معروضاً فى ذلك الوقت وكتابة نقد عنه.. فشاهدت الفيلم.. وعدت للبيت وقضيت الليل كله فى كتابة المقال وفى الصباح ذهبت لمقر الجريدة فلم أجد صاحبها فتركت له المقال على مكتبه، وغادرت المكان ونسيت الموضوع..

بعدها بأسبوع تقريباً ذهبت لكليتى كعادتى كل صباح لأفاجأ باستدعاء لمقابلة عميد الكلية.. اضطربت جداً وخشيت أن أكون قد فعلت شيئاً أغضبه.. ولما ذهبت إليه فوجئت به ينهض، ويرحب بى وأنا فى حالة ذهول وهو يقول: مكتب الدكتور طه حسين وزير المعارف اتصل بالكلية.. وأن معالى الوزير يطلبك ويريد أن يراك باكراً فى مقر الوزارة ليخبرك برأيه فى المقال!.

يستطرد سامى عطا الله قائلاً: كانت صدمة بالنسبة لى، ولكنها سعيدة طبعاً.. وتعجبت أن يطلب طه حسين تلميذاً فى السنة الثانية بكلية الحقوق لمناقشته فى مقال كتبه عن فيلم.. والتقيت بالدكتور طه حسين الذى كان فى قمة التواضع.. فنهض من خلف مكتبه واقفا يرحب بى، ويمد يده ليسلم علىّ فى ود وحرارة ودعانى للجلوس وقال لى: أهنئك على موضوعيتك، وسلامة أسلوبك، وأتمنى لك مستقبلاً باهراً فى مجال النقد السينمائى!.

أما منتجه ومخرجه إبراهيم عز الدين الذى سافر إلى أمريكا وتعلم السينما هناك، واشترى على نفقته بعض آلات التصوير بل والعرض.. وأنفق على هذا الفيلم كل وقته وجهده وماله.. وكان يطمح فى إحداث ثورة فى مسارات السينما المصرية والعربية.. فقد اختفى بعد عرض هذا الفيلم تماما عن الساحة الفنية.. واعتزل العمل فى السينما نهائياً، وتفرغ لعمله كدبلوماسى فى جامعة الدول العربية.. وقيل: إنه مارس التجارة فى بعض الوقت..

وقد أثير الكثير حول اختفاء هذا المنتج والمخرج المفاجىء بعد أن قدم فيلمه الأول والأخير الذى أثار به ضجة لم تحدث لأى فيلم آخر قبله.. بل ووضع يده

على النجاح الجماهيرى المنشود بتقديمه أول عمل إسلامى على الشاشة كانت الجماهير تتطلع إليه.. وكان بعض رجال الدين يقفون حائلاً دون ظهوره..

فقد قيل: إن «إبراهيم عز الدين» اعتبر من العهد البائد بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، حيث كان محسوباً على النظام القديم بصفته شقيقاً لوزير خارجية حكومة الوفد.. وقيل: إنه خشى من نجاح فيلمه الأول فلم يجرؤ على الإقدام لعمل فيلم آخر غير مضمون النجاح ويهز صورته.. وقيل: إنه أراد أن يسير فى نفس الطريق الذى انتهجه فى عمل سينما إسلامية جديدة لا تتناول إلا الموضوعات الدينية، ولكن أحوال السينما المنهارة هزمته فى تحقيق أحلامه..

وقد توفى «إبراهيم عز الدين» فى مطلع التسعينيات عن عمر يناهز الثمانين دون أن يشعر به أحد.. وطويت معه صفحة ناصعة رائدة فى تاريخ السينما المصرية..

٢- (انتصار الإسلام)

أثار النجاح الفنى والتجارى لأول فيلم دينى إسلامى فى تاريخ السينما على ظهر الأرض فضول وحماس العديد من السينمائيين، فضلاً عن الكتاب والمثقفين.. واعتقد الجميع أن ثمة باباً سحرياً فياضاً بالخير، والشهرة والمجد قد فتح على مصراعيه.. ليس فقط من حيث النوعية الجديدة المتمثلة فى انتاج أفلام سينمائية ذات الطابع الدينى..، أو فى تحقيق المكاسب الوفيرة بسبب النجاح الكبير وإقبال المسلمين فى جميع أنحاء العالم الإسلامى حيث غطى الفيلم الأول (ظهور الإسلام) تكاليفه وزادت من العرض الأول فقط.. وإنما أيضاً سماح رجال الدين الإسلامى -خاصة رجال الأزهر منهم- ومباركتهم لهؤلاء الذين يتصدون لمثل هذه الأعمال الدينية العظيمة فى مواجهة الأعمال الاجتماعية الهابطة التى كانت تقدمها السينما فى تلك الفترة.. بشرط الالتزام بالقواعد الأساسية العامة التى وضعها بعض رجال الأزهر.. وفى مقدمتها ضرورة مراجعة الأزهر لسيناريو الفيلم الإسلامى قبل الشروع فى انتاجه.. وهو التزام أدبى طرح من خلال المناقشات التى دارت إبان عمل الفيلم الدينى الأول (ظهور الإسلام).. ولم تكن الحكومات قد قررته بعد فى قوانينها ولوائحها الرقابية!.

***

الفيلم يواجه المشكلات المالية!

فى أواخر عام ١٩٥١ وعقب النجاح المذهل الذى حققه (ظهور الإسلام)، التقى شابان من وجهاء المجتمع فى ذلك الحين حول فكرة السينما الدينية.. وكلاهما لم يكن له تواجد فنى فى مصر من قبل.. وتم الاتفاق بينهما على مشروع فيلم (انتصار الإسلام) وهو الفيلم الدينى الثانى فى تاريخ السينما المصرية..

كان الأول هو الكاتب والمخرج السينمائى «أحمد الطوخى» وهو من عائلة معروفة.. وكان قد اكتسب خبرة سينمائية من استوديوهات لندن وباريس وروما التى قام بزيارتها ومتابعة نشاطها، والمشاركة فيها أحيانا عن طريق بعض أصدقائه هناك، كما قيل: إنه درس السينما دراسة علمية ونظرية فى أكبر معاهد فرنسا للسينما.. وكان هذا الفيلم هو الأول بالنسبة له.!

أما الثانى فهو منتج الفيلم الوجيه الشاب «محمد حلمى شلتوت» الذى أنشأ شركة إنتاج مخصوصة أطلق عليها اسم (أفلام شلتوت) لانتاج وتمويل الأفلام الدينية الإسلامية فقط، وبعض الأفلام الاجتماعية الهادفة والتى تخدم الدعوة.. وكان هذا هو اتفاقه مع أحمد الطوخى.. حتى أن الأخير أعلن فى الصحف أنه سيتخصص -كمخرج وكاتب سيناريو- فى إخراج الأفلام الدينية فقط (وهو ما حدث بالفعل.. حيث اعتزل العمل السينمائى بعد تقديمه ثلاثة أفلام فقط.. وكلها أفلام دينية)!!

وقد استقبلت الصحف فى ذلك الحين نبأ هذا المشروع بكثير من الاستحسان حتى أنه نشر خبراً بارزاً فى مجلة (الفن) يقول بالنص: (ظفر ميدان الإنتاج السينمائى بشخصية جديدة هى الوجيه الأستاذ محمد حلمى شلتوت، وقد رأى أن يبدأ باكورة انتاجه بفيلم إسلامى هو «انتصار الإسلام» وسيخرجه المخرج أحمد الطوخى، وسيبدأ تصوير الفيلم فى منتصف الشهر القادم باستوديو الأهرام)..

وذكر فى موقع آخر:

(قدر للسينما المصرية أن تكتسب شخصية هامة أخيراً، باجتذابها الوجيه محمد حلمى شلتوت إلى صفوفها، الذى آمن برسالة السينما، فنزل الميدان السينمائى لأول مرة فى حياته، وقرر انتاج فيلم باسم «انتصار الإسلام»..

ولما كان الوجيه محمد حلمى شلتوت مؤمناً بفكرة الفيلم، لذلك فقد استعد له استعداداً كبيراً مشرفاً للسينما المصرية، وقرر ألا يتوانى فى الإنفاق على الفيلم ببذخ حتى يأتى الفيلم رائعاً، فيحقق الغرض الذى من أجله أنتج ألا وهو إظهار عظمة الإسلام الحقة)..

وكانت هذه الأخبار والتعليقات التى تناولتها الصحف والمجلات فى تلك الفترة عن منتج الفيلم الجديد محققة، حيث كان شلتوت فعلاً متحمساً أشد الحماس للاتجاه بالسينما المصرية فى مسار جديد، لدرجة أنه كان ينوى إقامة مشروعات فنية عديدة، والإنفاق عليها بسخاء.. ومنها بناء ستوديو كبير.. بدأ بالفعل فى شراء الأرض التى سيقيم عليها الاستوديو الذى قرر تزويده بعد بنائه بأحدث الآلات والمعدات السينمائية المستوردة من الخارج..

ولكن الذى حدث بعد ذلك أن الفيلم لم يحقق الإيرادات المتوقعة.. ثم واجه المنتج العديد من المشكلات المالية.. فصرف النظر كلية عن إنشاء الاستوديو المنتظر.. بل وصرف النظر كلية عن الخوض فى تجربة انتاج أخرى بعد هذا الفيلم!. خاصة وقد قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بعد ذلك.. فما كان من شلتوت وغيره من وجهاء وأثرياء المجتمع المصرى إلا الانزواء بأموالهم، والتقوقع بعيداً عن الحياة الاقتصادية خوفاً من أى حدث يطرأ من الضباط الذين يحكمون البلد.. وصل بحال بعضهم -أو قل معظمهم- إلى الإسراع بتهريب أموالهم إلى الخارج خوفاً وهلعاً..

وبالتالى كانت هذه التجربة -تجربة انتاج فيلم انتصار الإسلام- الأولى والأخيرة للمنتج شلتوت الذى أنشأ شركة انتاج مخصوصة لم تنتج سوى هذا الفيلم!!

***

نجمة جديدة للسينما!

بدأ إنتاج الفيلم فى الأيام الأخيرة من عام ١٩٥١ بتكلفة وصلت إلى ٤٠ ألف جنيه.. وهو رقم كبير بالمقارنة بميزانية أى فيلم فى تلك الفترة.. ولأنه فيلم دينى يحتاج إلى الكثير من الملابس التاريخية وإعداد المجاميع الكبيرة ارتفعت ميزانية الفيلم.. وقام بعمل الديكور والمناظر «شارفنبرج».. وبعمل المونتاج «أحمد إسماعيل»..

وصور الفيلم مدير التصوير «أوهان جورج» فى مشاهده الخارجية فى صحراء الهرم، وبالتحديد في منطقة (أبو رواش)، بينما كانت المشاهد الداخلية باستوديو الأهرام.. وقد استغرق التصوير مدة شهرين..

والمصور «أوهان» واحد من أشهر عشاق السينما الأجانب فى مصر، فهو أرمنى الأصل، ولد وعاش فى مصر، أسس ستوديو الأهرام عام ١٩٤٤.. وأدخل أول معمل ألوان به.. وكان يهتم بتقنية العمل السينمائى، خاصة فى مجال كاميرات التصوير حيث قام بإجراء العديد من التعديلات، وبعض التطوير عليها أفادت الكثير من المخرجين فى تصوير أفلامهم.. وفجأة ابتعد عن السينما وظل وحيداً مع آلاته ومخترعاته فى بيته القابع على ربوة المقطم!!

وكتب قصة الفيلم والسيناريو المخرج أحمد الطوخى.. بينما أسند مهمة كتابة الحوار للشاعر الغنائى «إمام الصفطاوى».. الذى كتب أيضاً أغنية قام بتلحينها الموسيقار «حسين جنيد» الذى وضع الموسيقى التصويرية أيضاً.. والأغنية هى (يا مفارقين الأحباب) يقول مطلعها:

يا مفارقين الأحباب والدمع مالى العين
ياريت عندى حجاب يجمع الشملين

أما الأغنية الثانية فكانت بعنوان (الرسول) تأليف: عبد العزيز سلام، وتلحين: حسين جنيد أيضا.. ويقول مطلعها:

يا رسول الله.. يا حبيب الله
يا نبى الله.. يابن عبد الله
محمد اسمك الطاهر حروف من نور
كتبها ربنا بفضله صلاة وسلام
ورحنا بقلبنا العامر لمكة نزور
نبى الله ونشهد له على الإسلام
لا إله إلا الله.. محمد رسول الله..

***

وقد قام بالتمثيل فى الفيلم: ماجدة ومحسن سرحان وعباس فارس وفريد شوقى وحسن البارودى ورياض القصبجى ولولا عبده وهند رستم وعزيزة حلمى وعبد العزيز سعيد وأنور زكى وأحمد أباظة وعبد الحميد بدوى وشفيق جلال..

وماجدة -منذ هذا الفيلم- ارتبط اسمها بالسينما الدينية فى مصر ارتباطاً وثيقاً حتى أنها أصبحت الأخيرة جزءاً من شهرتها الواسعة برغم أنها لم تقدم سوى ثلاثة أفلام دينية فقط من بين اثنى عشر فيلماً، كان من بينها هذا الفيلم.. وقد يكون سبب ذلك هو دخولها ميدان الانتاج كسيدة لأحد أشهر هذه الأفلام فيما بعد وهو (هجرة الرسول) عام ١٩٦٤..

وماجدة اسمها الحقيقى «عفاف على كامل الصباحى».. وهى حفيدة إحدى الأسر العريقة القدامى.. اكتشفها المخرج سيف الدين شوكت، والمنتج محسن سابو كوجه جديد يحمل السمات الشرقية والعربية الأصيلة، وقدماها فى أول بطولة

لها أمام إسماعيل ياسين فى فيلم (الناصح) عام ١٩٤٩.. وكان فيلم (انتصار الإسلام) -الذى عرض عام ١٩٥٢- الفيلم الحادى عشر بالنسبة لها.. والملاحظ أنه كم انتاج كبير بالنسبة لها كممثلة جديدة فى فترة ثلاث سنوات فقط!

وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على مدى احتياج السينما المصرية -فى تلك الفترة- إلى الوجوه الجديدة من النساء والرجال فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، والتى أفرزت بدائل عديدة فى كافة المجالات الفنية ليواكب الكم المطلوب من هذه السينما.. حيث بدأت مرحلة غزارة الانتاج.. ولكنه كان انتاجاً تجارياً استهلاكياً أكثر منه انتاجاً فنياً!!

وكذلك كان الحال مع بطل الفيلم محسن سرحان، ومع فريد شوقى كبدائل طبيعيين للنجوم الأوائل الذين كانوا موجودين فى الساحة فى فترة الإحلال والتجديد التى تطلبتها المرحلة!.

أما «عباس فارس» فقد أهله صوته وملامحه وأداؤه المسرحى لمثل هذه الأدوار.. خاصة فى مرحلة الارهاصات الأولى للسينما الدينية.. حيث قدم وحده خمسة أفلام دينية من الاثنى عشر فيلما.. بدأت بالفيلم الدينى الأول (ظهور الإسلام)، ثم هذا الفيلم الذى نحن بصدد الحديث عنه (انتصار الإسلام)، ثم تلاها فى ثلاثة أفلام أخرى.. وقد توفى عام ١٩٧٨ عن (٧٦ عاماً)!

وقد حصلت ماجدة على أجر قدره (٥٠٠) جنيه عن دورها فى الفيلم.. وحصل محسن سرحان على (٤٥٠) جنيهاً.. بينما حصل كل من عباس فارس وفريد شوقى على (٢٠٠) جنيه!!

***

مفتش عام الوعاظ يحضر تصوير الفيلم!

حرص مخرج الفيلم أحمد الطوخى، ومنتجه محمد شلتوت على عرض

سيناريو الفيلم فى مرحلته النهائية -وقبل البدء فى تصوير الفيلم- على أحد كبار علماء الأزهر المعروفين حرصاً منهم على الدقة.. وحتى لا يكون هناك أية ملحوظات يمكن أن تنال غضب رجال الدين.. خاصة بعدما كتب بعضهم يؤيد فكرة عمل أفلام دينية بشرط الالتزام بحوادث التاريخ الحقيقية، وعدم ظهور ما يمس جلال الأنبياء، وشخصيات بعض الصحابة المقربين والمبشرين بالجنة..

وكان رجل الدين الذى عرض عليه سيناريو الفيلم هو فضيلة الشيخ «محمد الزينى» مفتش عام وعظ مديرية الجيزة.. فأبدى الشيخ الزينى إعجابه بالقصة أولاً.. ثم إعجابه بطريقة معالجتها فى السيناريو.. وقد حرص بطل الفيلم محسن سرحان، وبطلته ماجدة على مقابلة الشيخ الزينى أكثر من مرة بعد موافقته على السيناريو للاستفادة من علمه، وأخذ الصور التذكارية معه!.

وكانت موافقة الشيخ الزينى على السيناريو وإبداء إعجابه به مكتوبا عليه.. يعنى -فى الحقيقة- موافقة الرقابة أو جهاز المطبوعات -الذى كان يتبع وزارة الداخلية فى ذلك الوقت- دون أية مناقشة..

بل وقد حضر الشيخ الزينى ومعه بعض رجال الدين أحد أيام التصوير فى استوديو الأهرام بناء على دعوة مخرجه ومنتجه والعاملين فى الفيلم تبركاً به!!

***

تبلغ مدة عرض الفيلم ٩٥ دقيقة.. وتبدأ أحداثه بظهور الإسلام وانتصاره على الكفار.. تهب طائفة مؤمنة بزعامة «عمرو بن الهادى» -محسن سرحان- الذى انقشعت عن قلبه ظلمات الشرك، وأشرق قلبه بنور الدين الحنيف.. نور الإسلام.. لنشر تعاليمه حتى اشتهر بالتقوى والمروءة.. ولكن تتعرض هذه الطائفة لأشد أنواع العذاب والهوان من جانب قبيلة «قاسم» الكافرة.. وتظهر «جميلة» -ماجدة- التى أراد أبوها ذبحها عندما بُشر بمولدها.. ولكن أحد الكفار تبناها، وأبقى على حياتها!.

وتلتقى «جميلة» مع «عمرو» وتسلم على يديه.. ويأخذ على عاتقه إنقاذها من الزواج بالمشرك «قاسم» ويرحل بها بعيداً.. ولكن والدها يستردها مرة أخرى.. ويقرر تزويجها من «شهاب» ابن عمها فى الوقت الذى يكون فيه المشرك يحاول خطفها.. إلا أن شعاع الإيمان يدخل إلى قلب ابن عمها «شهاب» فيسلم وجهه لله الواحد القهار.. ويبدأ فى معاونة «عمرو» لاسترداد «جميلة» والقضاء على أفول الشرك والوثنية!.

***

استمد من وحى الدين: النصر!

وقد روى لى بطل الفيلم الفنان الكبير الراحل محسن سرحان ذكرياته عن فيلم (انتصار الإسلام) فقال:

- أذكر حادثة وقعت لى أيام تصوير هذا الفيلم كدت أقتل فيها.. ولذلك هى التى بقيت فى ذاكرتى دون أى ذكريات أخرى.. فقد كان المنتج محمد شلتوت من عاداته بعد تصوير بعض المشاهد الجيدة من الفيلم أن يقيم لنا مأدبة عشاء فى بيته تكريماً لنا وتشجيعاً على مواصلة العمل بحماس.. وذات مرة وجه الدعوة إلى كل أبطال الفيلم، وكنت بالطبع من بينهم رغم أننى حاولت الاعتذار يومها بالذات لاننى كنت أعانى من مشاكل عائلية.. حيث كنت قد طلقت زوجتى، وهى إحدى الفنانات الشابات وكنت قد تزوجتها وهى مازالت على عتبات الفن الأولى، وذلك بعد خلاف حاد دب فى حياتنا الزوجية -(علمت منه بعد ذلك أنها الفنانة سميحة أيوب)-! وأراد المنتج أن يهدىء نفوسنا، فوجه لها الدعوة هى الأخرى، لنلتقى على مائدة واحدة..

وفجأة قامت هذه الفنانة تتجول فى منزل المنتج، فوجدت مجموعة نادرة من المسدسات فى تابلوه على الحائط.. فالتقطت مسدساً أعجبت بشكله.. وفى ضيق

وغيظ صوبته على رأسى.. وحين همت بالضغط على الزناد قفز المنتج من مقعده بسرعة وضرب ذراعها بقوة.. فانطلقت الرصاصة بالفعل فى جدران وسقف الحجرة، ومن قوتها اصطدمت وارتدت حتى أنها هشمت تحفة ضخمة!.

وأصيب الجميع بحالة من الذهول والهيستيريا.. وقال لها المنتج معاتباً:

-(كدت تقتلى الراجل يا شيخة.. المسدس محشو رصاصات).. ثم استطرد: (لكن الحمد لله أن تصوير الفيلم سيستمر، وإلا كان اتخرب بيتى)!!

وكنا فى صباح نفس اليوم قد انتهينا من تصوير ثلاثة أرباع الفيلم، وباق لى مشاهد كثيرة فى أواخر الفيلم.. وكأن المنتج لا يعنيه سوى أن أكمل فيلمه.. ولا يعنيه موتى صريعاً برصاصات مسدسه، وبأيدى مطلقتى!!

***

انتهى تصوير الفيلم.. وبدأ جاهزاً للعرض.. وقد حرص مخرج الفيلم «أحمد الطوخى» على كتابة كلمة فى مقدمة عناوينه -مثلما فعل طه حسين فى الفيلم الأول- يقول فيها:

(باسم الله العلى الكريم.. أتقدم للشعب المصرى والعالم العربى بقصة «انتصار الإسلام» هى أول ما كتبت وأخرجت مستمداً من وحى الدين النصر والعون.. راجياً من الله التوفيق والرضا).. كما حرص المنتج «محمد شلتوت» أيضا على ذكر العديد من الآيات القرآنية فى كافة صور الدعاية الخاصة بالفيلم مثل صورة «النصر» وآية الشهداء وذكر الشهادتين.. وقد قام بتوزيع الفيلم «نجيب نصر» لجميع أنحاء العالم..

وعرض الفيلم الإسلامى الثانى فى السينما المصرية لأول مرة فى الأقاليم المصرية -وهو أسلوب كان يتبع أحياناً لضمان تحقيق الإيرادات المطلوبة!- وذلك يوم الاثنين ٧ أبريل عام ١٩٥٢ فى سينما (عدن) بالمنصورة، وسينما (سلمى)

بالزقازيق، وسينما (فاروق) بدمنهور.. ثم عرض بالعاصمة ابتداء من يوم الاثنين ٢٨ أبريل فى سينما (رويال) و(النصر) بالقاهرة، ومن أول مايو بسينما (ركس) بالاسكندرية.. وهو عكس ما ذكر فى بعض الكتب والدوريات التى تهتم بذكر تاريخ عروض الأفلام فى العاصمة فقط..

ثم بعد ذلك بيع الفيلم لكثير من الدول العربية والإسلامية، ولكنه لم يحقق نفس نجاح الفيلم الأول!.

***

وقد أثار عرض فيلم «انتصار الإسلام» كثيراً من الآراء المختلفة.. فقد كان الحماس كبيراً لانتاج وعرض أى فيلم دينى إسلامى بغض النظر عن مستواه الفنى والتقنى.. وذلك تشجيعاً من بعض المتحفظين على الفن السينمائى عموماً -خاصة المعروض منه فى ذلك الوقت- لإقبال المنتجين على هذه النوعية من الأفلام.. كما رأى البعض الآخر أنه امتداد للفيلم الإسلامى الأول «ظهور الإسلام»، إلا أنه ظهر أقل فى المستوى من الفيلم الأول -وكلاهما التجربة الأولى للمخرج فى السيناريو والإخراج- بينما رأى آخرون أنه فيلم ضعيف لا يسترعى الانتباه.. خاصة وقد ظهر فيه عيوب كثيرة فى تصوير بعض المشاهد، وكذلك فى المونتاج من حيث تسلسل المناظر والأحداث.. وأن الديكور بدا ضعيفاً فى بعض المشاهد حتى ظهر وكأنه مصنوع من الورق المقوى!.

٣- (بلال مؤذن الرسول)

«أحد.. أحد..»

كان نداء واحداً أشبه بالصرخة.. اهتزت لها الدنيا بأسرها.. صرخة الحرية والتحرر، أطلقها «بلال بن رباح» فى وجه زعماء الكفر والضلال.. صرخة أرسلت الرعب فى قلوب الأعداء حتى صارت كأسطورة تروى للأجيال جيلاً بعد جيل.. صرخة حارب بها «بلال» شتى أنواع التعذيب التى تعرض لها بصورة لم يتعرض لها إنسان عبر التاريخ.. فكان «رضى الله عنه» لا يتزحزح ولا يضعف.. وإنما يصرخ فى وجه الطغاة والدنيا كلها: «أحد.. أحد..».

كانوا يخرجون به فى الظهيرة إلى جحيم الصحراء، ويطرحونه عرياناً على حصاها الملتهب.. ويربطون حجراً كبيراً كالنار فوق بطنه فلا يتراجع.. يقلبونه عرياناً فوق الجمر فلا يتزحزح.. يربطون عنقه فى حبل ويأمرون الصبية بأن يطوفوا به مكة فى كل أجزائها فلا يخرج عن دينه.. يضربونه بالرماح حتى لا يترك فى جسده موضع واحد لم ينزف دماً.. ويلقون الماء المغلى على هذه الجروح ليعاودوا الكرة فى تعذيبه فلا يضيق.. ويردد فى ثبات ويقين: «أحد.. أحد».

تهتز جنبات مكة لهذا الصمود العجيب من العبد الحبشى.. ويجرى «أبو بكر الصديق» فى محاولة لانقاذه، ويصرخ فى وجه كبير الطغاة «أميه بن خلف» بأن يتركه حراً، ويأخذ أكثر من ثمنه.. فيقبل على مضض ليتخلص من عناده.. ويصبح العبد حراً.. ليصير مؤذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).. وأول مؤذن فى الإسلام عندما تقرر الأذان للصلاة.. ثم يصبح واحداً من أهم صحابة رسول الله يتعلم منه، ويعلم الناس دينهم..

***

ثالث فيلم دينى.. وثانى فيلم للمخرج!

كانت قصة حياة (بلال مؤذن الرسول) واحدة من أشهر قصص التاريخ الإسلامى التى لفتت أنظار السينمائيين، الذين اهتموا بتقديم سلسلة الأفلام الدينية التى انطلقت حديثاً فى السينما المصرية..

وكان بالطبع أول من لفتت نظره هو المخرج «أحمد الطوخى» الذى كان قد أخذ على عاتقه التفرغ لهذا اللون من الموضوعات، والتى وجدت ترحيباً كبيراً من كافة الأوساط فى مصر، والعالم العربى والإسلامى.. حتى أن بعض الموزعين للأفلام السينمائية -ومن بينهم من هم على غير دين الإسلام- بدأوا يطلبون الفيلم الدينى تحديداً، حيث إنه يحقق أرباحاً طائلة.. فضلاً عن أنهم قد اكتشفوا أن الفيلم الإسلامى يعمر أكثر من الفيلم العادى، لأنه يظل مطلوباً فى أسواق التصدير لسنوات طويلة، ولا ينتهى الإقبال عليه أبداً!!

من هنا فكر «أحمد الطوخى» أن يلاحق عمله الأول (انتصار الإسلام) ١٩٥٢ بالفيلم الثانى له (بلال مؤذن الرسول) فى العام التالى مباشرة ١٩٥٣، وهو الفيلم الدينى الثالث فى تاريخ السينما المصرية..

***

أنتج الفيلم الموزع اللبنانى الشهير فى ذلك الوقت «أنطون خورى».. وكان قد قام برحلة قبل الشروع فى انتاج هذا الفيلم إلى سوريا ولبنان لعدة أسابيع، وعاد ليتفق مع المخرج «أحمد الطوخى» على تنفيذه بعد أن تعاقد على توزيعه فى معظم البلاد العربية، ومنها إلى كافة البلاد الإسلامية..

وكان «أحمدالطوخى» قد أعد سيناريو الفيلم الذى كتبه عن قصة لشقيقه فؤاد الطوخى الذى أسند إليه أيضاً كتابة الحوار لأن شقيقه هذا كانت له محاولات فى الأدب والشعر، كما كان يأخذ نفس اتجاه أخيه فى الميل إلى الموضوعات الإسلامية..

وعاد «أنطون خورى»، واتفق من فوره مع أحمد الطوخى على خوض تجربة الفيلم الإسلامى الثالث.. وبدأ تصويره فى ثلاثة استوديوهات هى نحاس وخورى ووهبى.. بينما كان التحميض والطبع فى معامل ناصيبيان الشهيرة.. وكلها كانت استوديوهات ومعامل خاصة ملكاً لأصحابها الذين تتصدر عليها أسماءهم فى سنى الثورة الأولى وقبل تأميم بعضها.. وإفلاس وهروب بعضها الآخر بعد ذلك ببضع سنوات!!

وقد بلغت تكاليف إنتاج الفيلم (١٨) ألف جنيه.. حصل بطل الفيلم يحيى شاهين على أجر قدره (٩٠٠) جنيه.. بينما حصلت ماجدة على ألف جنيه، وحصل محمود المليجى على (٤٠٠) جنيه.. وبلغت تكاليف اكسسوارات الفيلم وحدها ثلاثة آلاف جنيه..

وكان المخرج قد رشح يحيى شاهين لدور «بلال».. وكان يحيى شاهين من أرباب المسرح، حتى قيل: إنه هدية المسرح للسينما، وكان فى وقت إنتاج هذا الفيلم من النجوم البارزين على شاشة السينما.. حيث يعد هذا الفيلم رقم (٣٨) فى مسيرته السينمائية منذ بدأها عام ١٩٤٠ بفيلم (دنانير) مع أم كلثوم وإخراج: أحمد بدرخان.. كما كان قد خاض تجربته الأولى فى الإنتاج قبل تمثيله لفيلم (بلال) بعام كامل، وهو فيلم (سلو قلبى) عام ١٩٥٢ أمام فاتن حمامة، وحقق الفيلم له كمنتج نجاحاً لا بأس به!

وقد ظل «يحيى شاهين» يعتز بدور (بلال) هذا طوال حياته، وحتى مماته كما قال لى فى أحد الأيام، وعد فيلم (بلال) من أهم عشرة أفلام فى حياته حيث مثل (١٧٠) فيلماً روائياً طويلاً! حتى أنه كان يشيد بهذا الفيلم وبتمثيله لهذا الدور فى معظم لقاءاته الصحفية والإذاعية والتليفزيونية، واعتبره أهم دور فى حياته.. وذلك نظراً لشهرته فى معظم الدول العربية والإسلامية حيث كان الجميع يرحبون

به إيما ترحيب.. ويؤثرون الحديث معه عن (بلال)، ويسألونه فى كل زيارة: لماذا لا تقدم لنا شخصيات إسلامية أخرى مثل شخصية (بلال)؟!

أما ماجدة.. فقد رشحها المخرج لدور (هند) زوجة بلال التى جاهدت معه فأعزها الله.. وحسين رياض فى دور رسول أبى بكر الصديق الذى اشترى بلالاً.. ثم اعتقه لوجه الله.. ومحمود المليجى فى دور أمية الذى حمل راية العصيان ووقف يحارب دعوة الحق فخذله الله.. وعزيزة حلمى فى دور أم بلال التى أبقت على حياته، انتظاراً لدين الحق والنور والسلام.. كما اشترك فى الفيلم كل من: حسن البارودى ومحمد الطوخى وشفيق نور الدين ولولا عبده وسناء جميل..

وقد قام بتصوير الفيلم عبد العزيز فهمى الذى قدم صورة جديدة أخاذة لفتت إليها الأنظار، حتى أننا نلاحظ أن تصوير عبد العزيز فهمى فى هذا الفيلم تفوق على التصوير فى الفيلمين الدينيين السابقين.. وذلك بتنويعاته فى استخدام عنصر الإضاءة والظلال حيث كان متفوقاً فى آليانهما، فضلاً عن اختياره لبعض زوايا التصوير الموحية والمؤصلة لدراما الفيلم التى تقدم على شريط أبيض وأسود.. فكان يتفرد بمحاولة إيجاد مساحات لدرجات هذين اللونين الأثيرين!!

وقام بعمل مونتاج الفيلم: البير نجيب وكان يساعده المهندس الشهير حسين أحمد، والصوت: كريكور، والماكياج: عيسى أحمد، والديكور: حبيب خورى، وإدارة الانتاج: إلياس خورى والأخيرين أخوة لمنتج الفيلم وموزعه.. بينما كانت الملابس: لعبد العزيز نصار..

***

المسرح الإسلامى يشارك فى السينما الإسلامية!

مدة الفيلم ١١٠ دقائق.. وقد تضمن أغنيتين هما (على سير الجمال) و(يا نور

محمد) تأليف شاعر العامية الكبير: بيرم التونسى.. وتلحين: يوسف صالح.. وقامت بغناء الأنشودة الأولى: فاطمة على، بينما غنى الثانية الملحن نفسه.. وجاء فى الأولى: (على سير الجمال)

على سير الجمال والله   تعيد القول يا حادى
على حجاج بيت الله   وزوار النبى الهادى

كورس: على سير الجمال.. والله

ونا يا مين يخلينى   أشاهد روضته بعينى
ودمع الشوق يكفينى   شرابى واجعله زادى

كورس: على سير الجمال.. والله

مواطننا هجرناها   وأحبابنا فارقناها
قلوب الحب ناداها   نادينا يا حبيب نادى

كورس: على سير الجمال.. والله.

وجاء فى الثانية: (يا نور محمد)

يا نور محمد على أرض الحجاز هليت
ومعاك جبريل يرفرف على الحرم والبيت
الله أكبر الله أكبر
نادى محمد وأعلى كلمة الإسلام
وقوله الله أكبر هزت الأصنام
الله أكبر الله أكبر
عار يا رجال القبايل والمداين عار

تستعبدوا الناس وأنتم تعبدوا الأحجار

الله أكبر الله أكبر

يا ناصر الله أصبر عالأذى يومين

النصر للصابرين مضمون فى الدارين

الله أكبر الله أكبر.

***

وقد اشترك فى الفيلم، ولأول مرة مجموعة من أبطال المسرح الإسلامى لجماعة الشبان المسلمين.. فى محاولة منهم للمشاركة فى تأصيل السينما الإسلامية بعدما نجحوا فى ذلك فى الحركة المسرحية بكل جد ونشاط خاصة فى تلك الفترة..

والطريف أن جماعة الشبان المسلمين كانوا قد مثلوا على مسرحهم رواية بعنوان (بلال بن رباح) وقد لاقت المسرحية نجاحاً كبيراً فى القاهرة.. لذا حين شُرع فى عمل فيلم (بلال مؤذن الرسول) رؤى الاستعانة بالفرقة التى اشتهرت بنفس العمل!.

***

«بلال» وقصته مع «أمية»!

روى لى الممثل الراحل يحيى شاهين ذكرياته عن هذا الفيلم قائلا:

– طلب المخرج أحمد الطوخى من ثلاثة من الكومبارس أن يقوموا بعملية تعذيبى حينما رفضت أن أعبد الأصنام كما فى أحداث الفيلم.. ودارت الكاميرا وأنا ممثل لهم تماماً.. وأمسك أحدهم بالكرباج وأخذ يضرب على الهواء وكأنه يضربنى، وأنا أفتعل الصراخ.. ولكن المخرج أوقف التصوير.. وصرخ فيهم.. وطلب أن يلمس الكرباج جسمى حتى يظهر المشهد حقيقياً!.

ودارت الكاميرا مرة أخرى.. ولكنهم ترددوا ولم يستطيعوا ضربى حتى قلت لهم: (اضربونى.. اضربونى بجد)!! وساعتها فقط تشجعوا.. وتحمسوا.. وأوسعونى ضرباً حقيقياً.. وأنا أصرخ من الألم حتى أن سياطهم علمت على ظهرى لمدة طويلة!..

***

وتدور أحداث الفيلم حول شخصية العبد الأسود «بلال بن رباح» الذى كان أول ما سمع عن النبى (صلى الله عليه وسلم) فى مجالس القوم وهو يخدمهم.. وبالذات من «أمية بن خلف» أحد زعماء الجاهلية حيث كان بلالاً (رضى الله عنه) واحداً من عبيدهم..

كان يسمع «أمية» وزواره وهم يتحدثون عن أخبار محمد بن عبد الله رسول الله وخاتم أنبيائه.. ويسخرون من دعوة الإسلام التى يرفع لواءها، داعياً إلى الله فى وحدانية مطلقة ومساواة كاملة.. ثم يعجب من هؤلاء القوم كيف يسخرون من هذه الدعوة العادلة ولا يؤمنون بها.. ثم لماذا يعاملون العبيد كالحيوانات أو أقل، وكأن لا عقل لهم ولا شعور أو إحساس؟!

وكان بلال يضيق ذرعاً بتلك المعاملة ويسائل نفسه: لماذا يوجد عبيد وأسياد؟ وما هو فضل الأسياد على العبيد؟!

وفى رحلة من الرحلات التجارية إلى الشام، وكان يصاحب فيها «أبو بكر الصديق»، رأى «بلال» رضى الله عنه مناماً قصه على أحد الرهبان، فكان تفسيره أنه سيظهر بمكة نبى يكون هادياً للبشر يدعو لعبادة إله واحد، لا شريك له، إله ينفع ويضر، خالق السموات والأرض، لا تلك الأحجار الصماء التى يعبدها آل مكة..

وأخذ «بلال» بما سمع، وراح يفكر هل يعبد اللات والعزى، وهى أصنام لا تستطيع أن تحمى نفسها.. ولا أن تفيد البشر، ولا أن تحقق المساواة بين الناس؟!..

ثم عاد إلى مكة يحمل لسيده مغانمه.. ولكن السيد ظل لا يعترف له بفضل.. فهو مهما عمل.. عبد أسود.. رخيص!!

وفى ليلة من الليالى.. إذا «بأبى بكر» يذهب إلى دار «بلال» ليناديه فى سكون الليل ويبشره بأن النبى «محمد بن عبد الله» قد ظهر.. وأنه جاء هادياً ومبشراً ونذيراً.. يدعو لدين الحق ويسوى بين الجميع.. لا فرق بين عربى أو حبشى إلا بالتقوى..

وفى تلك الليلة آمن «بلال» بمحمد وبدين محمد ورب محمد خالق السموات والأرض.. فكان «أبو بكر» أول من آمن بمحمد من السادة.. وكان «بلال» أول من آمن بمحمد من العبيد..

وفى الليلة التالية لإيمان «بلال».. قابل فى دجى الله «محمداً» عليه صلوات الله وسلامه.. ثم عاد من عنده والدين الجديد يملأ قلبه ونفسه.. وما كان «بلال» ليعلم أنه سيلقى مثل العذاب الذى أبتلى به حين اكتشف إيمانه برب «محمد».. فإن مؤمناً بمحمد ودينه لم ينل من العذاب مثل ما نال «بلال» رضوان الله ورحمته عليه..

حاول مولاه «أمية بن خلف».. ومعه «أبو جهل» أن يرداه عن دين الحق.. بأن قيداه بالحبال من رقبته ودفعا به إلى صبية قريش ليسيروا به طيلة النهار وهم يتصايحون حوله.. ويرمونه بلواذع الكلم.. ويقذفونه بالحجارة.. فما كان «بلال» ليشكو أو يتذمر.. وكان كلما طلب إليه أن يعود إلى عبادة اللات والعزى.. قال:

- أحد.. أحد..

وكان كلما زاد صبر «بلال» على المكاره التى تصيبه من مولاه وأبو جهل كان الغيظ يكاد يقتلهما..

ثم أخذ مولاه يرميه وسط الصحراء.. ويلبسه درعاً من الحديد ليزيد التهاب

الشمس بجسده.. ويأمر عبيده أن يضعوا على جسد «بلال» صخوراً ثقيلة.. وأن يحرموه من الماء والطعام.. فكان لا يزيد على قوله:

- أحد.. أحد..!

حتى إذا ما مر «أبو بكر الصديق» يوماً.. و«بلال» يعانى فى صبر عذابه.. عرض على مولاه أن يشتريه بخمس أوقيات من الذهب.. فقال له «أمية»:

- لو أبيت إلا أوقية لبعناك..

فقال «أبو بكر»:

- لو أبيتم إلا مئة أوقية لأخذته..

وعتق «أبو بكر» بلالاً.. ويصبح حراً.. عبداً لله وحده.. فيعمل خازناً لأبى بكر.. ثم خازناً لرسول الله.. حتى يصير مؤذناً بصوته الرخيم للإسلام.. ومنذ ذلك الحين لم يترك رسول الله قط.. يتعلم منه.. ويعلم الناس.. ويدعوهم إلى دين الله.. ويصحب الرسول فى كل غزواته ومعاركه.. حتى كان يوم (بدر) حين مكنه الله من رأس الكفر «أمية بن خلف» فصرخ: (لا نجوت ان نجا)!..

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يذكُره بالخير.. فكان يقول: (أين أنتم من رجل من أهل الجنة.. أين أنتم من بلال).. حتى توفى الرسول وهو راض عن «بلال»..

***

سجادة «بلال»!!..

عرض الفيلم لأول مرة يوم الاثنين ٧ سبتمبر ١٩٥٣ بسينما الكورسال بالقاهرة (موقع مسرح محمد فريد الآن)، ومن ١٤ سبتمبر بسينما ريتس بالاسكندرية ومصر بطنطا.. ثم عرض فى كل دور العرض فى المحافظات

المختلفة بمصر وشاهده عدد كبير من الجمهور.. كما شاهده بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة الشبان، وفى مقدمتهم جمال عبد الناصر وأنورالسادات وحسين الشافعى.. وذلك فى دار سينما الكورسال.. ويومها هنأوا المخرج أحمد الطوخى وأشادوا بالسينما الإسلامية وطالبوا بالمزيد من الأفلام الدينية..

وكان المخرج والمنتج يحرصان على وضع الآية القرآنية رقم (٢١٨) من سورة (البقرة) فى مقدمة دعايتهما عن الفيلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ صدق الله العظيم.. ثم كلمات الآذان تزين أطر الاعلانات..

وقد عرض فيلم (بلال مؤذن الرسول) فى كافة الدول العربية والإسلامية محققاً بذلك نجاحاً جماهيرياً مذهلاً.. وإيرادات كبيرة للمنتج والموزع «أنطون خورى» الذى حقق ثروة طائلة من هذا الفيلم وحده!.

وتصادف حين تم عرضه فى بعض البلاد الاسيوية الإسلامية أن كان يحيى شاهين فى زيارة إلى الهند، فقامت الجالية الإسلامية فى الهند بإهدائه سجادة صلاة فاخرة.. ظل يحيى شاهين محتفظاً بها فى ركنه المفضل داخل بيته بشارع النيل بالجيزة.. وكان شديد الإعجاب بها حتى أنه كان يطلق عليها «سجادة بلال»!..

والفيلم فى مجمله يعد أفضل الأفلام الدينية التى انتجت حتى ذلك الحين.. خاصة أنه أول فيلم يتناول ترجمة ذاتية لحياة واحد من الصحابة العظام لنجح الإخراج والتصوير فى التعبير عن الشخصية.. كما وفق الممثل «يحيى شاهين» فى تمثيل شخصية «بلال» باستثناء بعض المبالغة التى اتسم بها أداؤه فى بعض المشاهد.. حيث كان أسير العمل الدينى أكثر من أسره بالشخصية!.

٤- (السيد أحمد البدوى)

«السيد أحمد البدوى» هو أحد أئمة التصوف وولى من الصالحين وأحد الأقطاب الإسلامية المعروفة.. ويرجع نسبه إلى سيد الشهداء الإمام الحسين بن على رضى الله عنه.. وقد لقب بالبدوى لتلثمه على عادة البدو فى شمال أفريقيا..

ولد فى زقاق الحجر بمدينة «فاس» بالمغرب عام ٥٩٦ هجرية (١١٩٩ ميلادية)، وبشر بمولده ولى الله الصالح الإمام عبد الجليل النيسابورى.. انتقل وهو فى السابعة من عمره مع أبيه إلى مكة المكرمة مسقط رأس عائلته.. وفيها حفظ القرآن الكريم.. وأجاد فن التجويد.. وأتقن علم القراءات.. واشتغل فى أثناء ذلك بالفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه، كما جالس علماء عصره ونهل من علمهم السديد.. وأخذت مواهبه تتفتح بصورة واضحة.. فقد تعلم الفروسية، وأتقنها حتى قيل إنه لم يكن فى فرسان مكة والمدينة من هو أشجع منه.. حتى لقب بالعطاب أو الفارس المقدام.. كما لقب أيضاً بأبى الفتيان وأبى فراج وشيخ العرب.. وعاش السيد البدوى حياة مستغرقة فى الله لا إثم فيها ولا معصية.. يتعبد فى جبل أبى قبيس، ويسير فى الطريق الصوفى المألوف الذى رسمه السالكون إلى الله حتى صفت نفسه صفاء كريماً لا انحدار فيها ولا ضلال.. فأصبح شيخاً له مريدون وهو فى الثلاثين من عمره!.

وفى سنة ٦٣٤ هجرية توفى والده فرحل السيد البدوى إلى العراق.. وكان العراق وقتذاك برزخ الصالحين ومركز الصوفية وموطن الأشياخ.. كما كان موطن الجمال والفتنة والإغراء.. وانتصر البدوى لعلمه وتقواه.. وانتزع الراية وعلم الصوفية، وهزم فتنة الدنيا المجسمة فى بنت برى أميرة العراق.. وبذلك سار البدوى فى طريق نور الإيمان فأقيمت له أول زاوية وهو حى بالعراق..

وفى سنة ٦٣٧ هجرية سافر البدوى إلى مصر.. كنانة الله فى أرضه.. وفى مدينة طنطا أو (طندتا) كما كان يطلق عليها حينذاك قضى حياته على سطح الدار متعبداً متهجداً صائماً قائماً تشع أنواره فيضاً بعد فيض ويعلو صيته فى كل مكان تصل إليه سيرته.. وتغدو داره (دار ركين) مناراً للتقوى ومركزاً للصوفية.. وتسعى الحرب إليه فيسعى إليها ويخرج ظافراً، وتمنيه الملوك بنفائس الدنيا فيرفضها وهو من الزاهدين.. حتى ازدهرت طريقته التى تعرف الآن (بالأحمدية)، وكثر أتباعه الذين اتخذوا العمامة الحمراء والعلم الأحمر رمزاً لهم..

وقد قضى البدوى فى مصر أربعين عاماً كلها جهاد وكفاح حتى مات عام ٦٧٥ هجرية (١٢٧٦ ميلادية) وقد غدت داره بعد وفاته مسجداً ومزاراً.. ويحتفل بمولده احتفالاً كبيراً..

***

نيازى مصطفى مستشارا فنيا للفيلم!

من المفارقات أنه فى نفس فترة إعداد وتصوير فيلم المخرج أحمد الطوخى (بلال مؤذن الرسول).. كان فيلم (السيد البدوى) يعد أيضا للتصوير.. بل فى الوقت الذى كان المنتج أنطون خورى يصور مشاهد فيلم (بلال) فى استوديو نحاس، كان المنتج شارل نحاس يصور مشاهد فيلم (السيد البدوى) فى استوديو جلال!! رغم أن شارل نحاس هذا كان أحد شركاء استوديو نحاس.. ولكن هكذا كانت السينما فى ذلك الوقت.. حماس وتعاون فنى إلى أقصى الحدود!. وبذلك انتهى تصوير الفيلمين فى وقت واحد تقريباً -شهرى يوليو وأغسطس ١٩٥٣- وأجرى عليهما عمليات المونتاج.. ولكن سبق فيلم (بلال) فى العرض (٧ سبتمبر)، بينما عرض فيلم السيد البدوى يوم (١٢ أكتوبر) من نفس العام ١٩٥٣.. بل وفى نفس دار العرض (سينما الكورسال) بالقاهرة!!

***

وكان المخرج السينمائى بهاء الدين شرف قد صاغ قصة (السيد البدوى) من الكثير من المراجع التاريخية ليقدمها فى فيلم سينمائى.. كتب له السيناريو بنفسه.. ثم أسند كتابة الحوار والأغانى للزجال المعروف بيرم التونسى.. وقد اعتمد الفيلم على الحوار بصفته الوسيلة الأساسية للمجادلة والإقناع!

وبهاء الدين شرف مخرج مصرى من أصل شامى هوى السينما منذ صغره.. ولما كبر أتم دراسته بالمعهد العالى للدراسات السينمائية فى باريس.. وعاد إلى القاهرة ليخرج أول أفلامه عام ١٩٥٠ بعنوان (الهام) بطولة: مارى كوينى ويحيى شاهين.. وبعد فيلم (السيد البدوى) فيلمه الثانى، ثم قدم بعد ذلك ثلاثة أفلام هى: (كابتن مصر) عام ١٩٥٥ بطولة: زهرة العلى ومحمد الكحلاوى وإسماعيل ياسين، وفى نفس العام قدم فيلماً آخر بعنوان (من رضى بقليله) بطولة: نزهة يونس وعمر الحريرى وشكوكو، ثم قدم آخر أفلامه بالقاهرة (أيام ضائعة) عام ١٩٦٥ بطولة: ليلى طاهر وعماد حمدى ومحسن سرحان.. ثم بعدها هاجر ضمن من هاجر من السينمائيين إلى بيروت واستقر فيها..

وتقدم بهاء الدين شرف بنسخة السيناريو إلى المنتج شارل نحاس لانتاج الفيلم الذى اتفق على توزيعه مع «ليفشتز» فى جميع أنحاء العالم.. ورصد له ميزانية مبدئية قدرت بنحو ٢٥ ألف جنيه زادت إلى ألفين من الجنيهات أثناء تصوير الفيلم.. وقد صورت مشاهد الفيلم الخارجية فى مدينة (طنطا) وبجوار الجامع الأحمدى، وقام بالتصوير: محمود نصر، بينما كانت مشاهده الداخلية والطبع والتحميض باستوديو جلال، وقام بعمل الديكور والمناظر: حبيب خورى وشارفنبرج.. ونظراً لأن الفيلم دينى تاريخى فقد تم الاتفاق مع المخرج نيازى مصطفى -وهو زوج إحدى بطلات الفيلم كوكا- على أن يكون مستشاراً فنياً للفيلم.. لأن نيازى له خبرة ودراية كبيرة بأفلام البداوة والصحراء.. حيث قدم مع كوكا العديد من نوعيات هذه الأفلام، كما كان الشيخ محمد البنا مستشاراً دينياً للفيلم..

***

عباس فارس من دور العبيط إلى البدوى!

ومن الطريف أن التى وضعت الموسيقى التصويرية لفيلم (السيد البدوى) هى الفنانة المعروفة «بهيجة حافظ» وهى إحدى رائدات السينما المصرية.. والتى كانت قد ابتعدت عن السينما منذ الأربعينيات، وتفرغت لصالونها الموسيقى والأدبى بعد أن منيت بالعديد من الهزائم بسبب القضاء على فيلمها الشهير (ليلى بنت الصحراء) من قبل السلطات!!

وبهيجة حافظ نشأت فى أسرة ارستقراطية تهوى الموسيقى، وتمارسها فظهرت موهبتها مبكراً وهى فى سن الرابعة.. فكانت تؤلف المقطوعات الموسيقية وتعزفها على زميلاتها فى المدرسة، ولما كبرت سافرت إلى باريس وحصلت على دبلوم فى التأليف الموسيقى، وعادت إلى مصر لتطبع أعمالها على اسطوانات فحققت شهرة واسعة.. إلى أن قابلها المخرج «محمد كريم» بعد أن شاهد صورتها على أغلفة المجلات.. وعرض عليها بطولة فيلم (زينب) الصامت، والذى عرض عام ١٩٣٠.. وظلت بهيجة حافظ حائرة ما بين الموسيقى والسينما إلى أن حسمت «السلطة» المسألة حينما قضت على كل أحلامها بمنع عرض فيلمها (ليلى بنت الصحراء) أو (ليلى البدوية) فيما بعد لأسباب سياسية فخسرت بسبب هذا المنع كل أموالها.. فعادت لمؤلفاتها الموسيقية صاغرة غير آسفة عما وقع لها!!

***

أما بطل الفيلم «عباس فارس» والذى لعب دور (السيد أحمد البدوى) فهو ممثل مسرحى وسينمائى بارز، وذو صوت مميز.. أحب التمثيل منذ صغره حيث اشترك فى فرق الهواة إلى أن انضم كممثل محترف فى فرقة جورج أبيض عام ١٩١٧، بعدها تنقل فى عدة فرق منها فرقة الريحانى، حيث اشترك فى مسرحية سيد درويش الشهيرة (العشرة الطيبة) حتى انضم إلى الفرقة القومية..

بدأ عباس فارس فى السينما مبكراً فاشترك فى السينما الصامتة فى فيلم (بنت النيل) عام ١٩٢٩، ثم توالت أعماله وتنوعت شخصياته من دور العبيط إلى تاجر الأسلحة إلى أدوار الثرى والباشا وحتى دور المعلم.. حتى بلغت أعماله السينمائية حوالى ٨٠ فيلماً كان آخرها فيلم (خللى بالك من زوزو) عام ١٩٧٣، وقد ظهر فى العديد من الأفلام الدينية والتاريخية وتوفى يوم ١٣ فبراير عام ١٩٧٨..

وبطلة الفيلم تحية كاريوكا التى لعبت دور (بنت برى) جميلة أميرات العراق التى حاولت أن تفتن «السيد البدوى» بجمالها.. فهزمها بنور الإيمان فتابت إلى الله ووزعت أملاكها على الفقراء، وأصبحت من أتباع السيد البدوى!.

وتحية كاريوكا اسمها الحقيقى «تحية محمد كريم» بدأت عملها فى السينما عام ١٩٣٥ بفيلم (الدكتور فرحات) حتى قدمت أكثر من مائة فيلم طوال مشوارها الفنى الزاخر بالعديد من الأحداث والمفارقات الغريبة مثل: زواجها من ١٣ رجلاً، واشتراكها فى الدفاع المدنى والحياة الاجتماعية العامة، وأدائها للعمرة والحج، واشتراكها فى المهرجانات العالمية، وإقامتها لمسرح يحمل اسمها لسنوات طويلة.. برغم أنها أشهر راقصة عرفتها السينما المصرية!!

وقد اشترك فى الفيلم أيضاً بجانب عباس فارس وتحية كاريوكا كل من: كوكا (فى دور ليلى)، وسراج منير (الشيخ عبد المجيد الأنصارى)، وفاخر فاخر (الشيخ عبد العال الأنصارى)، وأحمد علام (والد البدوى)، وسميحة توفيق (تحفة)، ومونا فؤاد (شجرة الدر)، ووداد حمدى (هند)، وعزيزة حلمى (أم السيد البدوى)، ودنيا زاد (خضرة الشريفة)، وجمالات زايد (زوجة الشيخ ركين)، وعبد العزيز أحمد (الشيخ ركين)، وعبد السلام النابلسى (الأمير زيد)، وشفيق نور الدين (سلام)، وعبد المجيد شكرى (الإمام النيسابورى).. كما اشترك فى الفيلم أيضاً أكثر من ٢٠ ممثلاً وممثلة فى أدوار صغيرة مثل: محمد رضا ورياض القصبجى وعبد الغنى قمر..

***

ثلاثة أسسوا لمدرسته فى التصوف؟!

وقد تضمن الفيلم أربع أغنيات من تأليف: بيرم التونسى، وتلحين: يوسف صالح هى: (يا بنت برّى) و(يا بدوى) من غناء: دنيا زاد.. و(وقتيش تحن) و(القافلة) من غناء: شافية أحمد.. كما تضمن إنشادا دينيا للمنشد الشيخ فريد السنديونى بعنوان (الذكر) جاء فيه:

سألت إلهى فى حياتى نظرة

إلى طيبة الفيحاء والقبة الخضرا

الذاكرون: لا إله إلا الله.

وأدخل من باب السلام مسلماً

على المصطفى الهادى وأفرح بالبشرى

الذاكرون: لا إله إلا الله.

وأقول يا رسول الله جئتك قاصداً

فكن لى شفيعاً يا أجل الورى قدراً

الذاكرون: لا إله إلا الله.

***

وحقيقة الأمر أن فيلم (السيد البدوى) قد ركز على شخصية أحمد البدوى كصوفى ناسك فقط.. له معجزات أشبه بالسحر.. فوقع فى كثير من الملل بسبب مواعظه المباشرة ومعجزاته الخيالية.. ولم يقدم صورة حقيقية لهذه الشخصية الغنية المليئة بالمواقف والأحداث الجسام.. حتى أن الفيلم كان زاخراً بالرقصات والملابس العارية بدون داع -رغم أنه فيلم دينى- بحجة إظهار قدرة البدوى على تغيير أحوال الناس والخروج بهم من الظلمات إلى النور.. كما لم يظهر دوره البطولى

فى الكفاح ضد الاستعمار والغاصبين بما يليق بسيرة الرجل الشائعة عنه برغم دوره الكبير فى الفكر الصوفى حتى قيل: إنه قد أصبحت له مدرسة خاصة تقوم على ثلاثة أسس وهى: القرآن الكريم والسنة المطهرة ومكارم الأخلاق.. كما يدعو تلاميذه للعمل.. فأعلى من قيمته وضمنها فى أول مبادئه الصوفية.. التى تتضمن أيضاً: عدم الكذب، وألا يأتى أحد بفاحشة، وأن يغض البصر عن المحارم، وأن يكون طاهر الذيل عفيف النفس خائفاً من الله عز وجل عاملاً بكتابه، وأن يكون ملازماً للذكر.. دائم الفكر.. ولا تشمت بمصيبة أحد.. ولا تنطق بغيبة أو نميمة ولا تؤذ من يؤذيك..

وبذلك أرسى البدوى دعائم مدرسة عرفت باسمه منذ القرن السابع الهجرى.. حتى قال عنه شيخ الأزهر الراحل عبد الحليم محمود: إنه مقتدى أهل العرفان.. ذو الأنفاس الطاهرة السعيدة، والأحوال الظاهرة السديدة.. وإنه عاش حياة لا إثم فيها ولا معصية.. إلا أنها لم تكن مستغرقة فى التصوف.. بل كانت كلها هداية وإرشاداً وعملاً وجهاداً..

***

ما بين ابن إياس ومحمود السعدنى!

ويبدو أن المراجع التى رجع إليها المخرج بهاء الدين شرف عن حياة السيد أحمد البدوى لم تكن كافية.. أو يكون هو نفسه قد اختار من بينها ما يراه ملائماً لفيلم ينشد فيه الجماهيرية.. فاستغرق فى ملزات الأحداث الحسية أكثر من أن يعمق أحداث ومواقف الشخصية المتعددة والثرية!.

ولعل من أشهر المراجع التى تناولت شخصية السيد البدوى «تاريخ الجبرتى» فى متفرقات منه، وتاريخ ابن إياس فى كتابه الشهير (بدائع الزهور فى وقائع الدهور).. وقد ذكر ابن إياس فى أحداث عام ٦٧٥هـ أيام سلطنة الظاهر بيبرس البندقدارى ما نصه:

(فيها، فى ثانى عشرين ربيع الأول، توفى سيدى أحمد البدوى، رضى الله عنه، وهو أبو العباس أحمد بن على بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر القرشى أبو الفتيان، ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة، وأمه تسمى فاطمة بنت محمد بن أحمد، وتوفى أبوه بمكة سنة سبع وعشرين وخمسمائة..

وإنما عرف بالبدوى لملازمته اللثام، وكان لـه لثامان لا يفارقهما، وعرض عليه التزويج فامتنع من ذلك، وأقبل على العبادة، وكان يحفظ القرآن، وشيئاً من الفقه على مذهب الشافعى رضى الله عنه، وكان يعطب من يؤذيه من الأوباش، ثم إنه لازم الصمت، حتى أنه صار لا يتكلم إلا بالإشارة، واعتزل عن الناس قاطبة..

فلما كان المحرم سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، رأى فى النوم من يبشره أن سيكون له حالة حسنة بمصر، وكان له أخ يسمى حسن، سافر إلى العراق، فلما دخل سيدى أحمد إلى مصر لازم الصيام، فكان يطوى أربعين يوماً، لا يتناول طعاماً ولا شراباً ولا ينام، وهو رافع بصره إلى السماء، وعيناه كالجمرتين..

ثم توجه إلى طندتا سنة أربع وثلاثين وستمائة، فأقام بها على سطح دار يصيح ليلاً ونهاراً، وكان طويل القامة، كبير الوجه، ولونه بين البياض والسمرة، واستمر على ذلك مدة طويلة.

وظهر له كرامات خارقة، منها أن امرأة شكت له، أن ولدها أسر ببلاد الفرنج، فأحضره إليها فى قيوده، فاشتهرت كرامته فى الآفاق، ونمت بركته على الإطلاق، إلى أن مات فى تلك السنة كما تقدم، انتهى ذلك).

***

أما جهاده ومعاركه ضد الاستعمار، والتى اشتهر بها «السيد البدوى» حتى

غنت لـه العامة من الناس فى الموالد والأعياد، والتى لم يذكر منها «ابن إياس» شيئاً، بينما أشار إليها الشيخ «عبد الحليم محمود».. فقد ذكرها «محمود السعدنى» بشىء من التفاصيل حيث قال:

– لايزال الفلاحون فى ريف مصر يغنون لسيد المجاهدين السيد أحمد البدوى فى أفراحهم، ويمجدون بطولاته فى سهراتهم، ولايزالون بعد مرور مئات السنين يرددون فى حماس وفى بهجة شديدة (يا بدوى جاب اليسرى).. وأصل الحكاية أن السيد البدوى ترك خلوته ليشترك فى معركة المنصورة ضد الجيش الفرنساوى بقيادة الملك لويس.. كان جيش مصر بقيادة فرسان المماليك عز الدين أيبك التركمانى، وقطز، والظاهر بيبرس يواجهون جيش فرنسا فى المنصورة.. بينما كان السيد البدوى مع جماعته من السطوحيين يهاجمون مؤخرة الجيش الفرنساوى.. وينزلون به ضربات قاصمة.. وكان من عادة السيد البدوى أن يعود إلى طندتا أو طنطا كما أصبحت تسمى فيما بعد.. يعود ليشق طرقاتها وخلفه عشرات من عسكر الفرنسيين مربوطين بالحبال.. فقد كان من عادة السيد البدوى قتل عساكر فرنسا الذين يصرون على مواصلة القتال.. أما الذين يستسلمون منهم فكان يأخذهم أسرى ويعود بهم إلى طنطا.. وكان أهل طنطا يقابلون موكبه بالهتاف له.. البدوى جاب اليسرى.. أى السيد البدوى جاء بالأسرى.. ولاتزال هذه الأغنية تتردد حتى الآن فى أسواق الفلاحين وعلى مصاطبهم..

ثم يروى «محمود السعدنى» حكاية بنت برى –وهى القصة التى اعتمد عليها الفيلم دون غيرها فى تقديم سيرة البدوى– قائلاً:

– ولم يكن السيد البدوى قادراً على قهر الأعداء فقط.. ولكنه كان قادراً أيضاً على قهر النفس.. وحكايته مع فاطمة بنت برى معروفة.. كانت فاطمة شابة مليحة تتفجر أنوثة.. وكانت ذكية ولعوباً وواسعة الثراء..

وقد حاول أغلب المقتدرين من رجال عصرها أن يتقربوا منها وأن يفوزوا بودها.. ولكنها استعصت عليهم جميعاً.. وبلغ بها الأمر حد فتنة الصالحين من الرجال.. يأتون لهدايتها فتجرهم إلى بحور المعصية..

تشغل قلوبهم بفتنتها فيخرج الإيمان منها ثم تركلهم بقدمها.. وأخيراً ذهبت فاطمة بنت برى إلى حيث يقيم السيد، وأقامت مع تلاميذه من السطوحيين.. وذهبت فاطمة بنية غواية السيد.. فماذا كانت النتيجة؟ خضعت فاطمة ودانت وذلت وركعت أمام السيد.. وتوسلت إليه أن يتزوجها.. ولكنه أفهمها بصريح العبارة أنه ليس فى حياته مكان للزواج والعائلة.. لأنه لا يريد ما يشغله عن ربه.. ثم أخذ عليها العهد والميثاق بأن تلجأ إلى الله.. وأن تنصرف عن فتنة الرجال وإغرائهم.. وبفضل السيد البدوى تحولت فاطمة بنت برى التى عبدها الرجال إلى عبدة ذليلة تطلب رضاء الله وغفرانه.. وماتت وهى أصفى من الماء القراح.. كما وصفها أهل زمانها!!

***

وهكذا حصر الفيلم موضوعه فى طريقين يصلان إلى شباك التذاكر فى سرعة ويسر.. أولهما جانب الغواية من بنت برى والتى قامت بدورها «تحية كاريوكا» بتقديمها رقصات مثيرة.. وثانيهما طريق المعجزات الخيالية التى أشار ابن إياس إلى طرفة منها.. وهذا ما يثير العامة أيضا وهو فى رأيى لا يقل عن طريق الغواية المثير.. بل هى الغواية بعينها التى حاربها الإسلام وحرمها.. لأنها تصل ببعض الأتباع إلى نوع من التقديس للشخص، وإلى وثنية الأضرحة وتقديسها.. وتقبيل أعتابها وتقديم النذور لها والدعاء على أبوابها ونوافذها وهو درجة من درجات الجهالة والجاهلية.

بينما غفل الفيلم أهم جانب فى حياة الرجل الصالح وهو تقديره لقيمة العمل والعبادة معاً.. والجهاد فى سبيل الله ضد الغاصب والمستعمر حتى أبلى بلاء حسناً.. وهو ما جعله حقاً من أولياء الله الصالحين..

***

وقد عرض الفيلم -ومدة عرضه ١٢٠ دقيقة- يوم الاثنين ١٢ أكتوبر عام ١٩٥٣ بسينما الكورسال بالقاهرة -عقب انتهاء عرض فيلم «بلال» مباشرة- كما عرض فى نفس اليوم بسينما مصر بطنطا التى ضاقت بجمهورها الغفير حتى تهشمت أبوابها من كثرة الزحام.. وهى المدنية التى بها ضريح السيد البدوى.. وقد استغل المنتج شارل نحاس ذلك بوضع صورة ضخمة للمسجد الأحمدى فى صدر إعلاناته فى الصحف والمجلات وعلى واجهات دور العرض.. كما حقق الفيلم بعض النجاح فى الدول العربية والإسلامية.. بينما تحفظت دول أخرى على عرضه بسبب مشاهد الإثارة التى احتواها الفيلم فأعملت فيه مقص الرقيب!

٥ - (بيت الله الحرام)

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ
يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن
سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾ صدق الله العظيم.

هذه آيات خمس لسورة كاملة فى القرآن الكريم سميت بسورة الفيل.. وهى تروى قصة معجزة من معجزات الله فى أرضه.. تمت فى عام مولد رسول الله محمد «صلى الله عليه وسلم»..

وقد ذكر ابن هشام فى سيرته: أن الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الحادثة مما يَعُدُّ على قريش من نعمته عليهم، وفضله ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم..

بينما ذكر الإمام فخر الرازى فى تفسيره الكبير: ولاشك أن هذه الواقعة كانت دالة على قدرة الصانع وعلمه وحكمته، وكانت دالة على شرف محمد «صلى الله عليه وسلم».. لأنه يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تأسيساً لنبوتهم وإرهاصاً لها.. والإرهاص إنما يحتاج إليه قبل قدومه، أما بعد قدومه وتأكد نبوته بالدلائل القاطعة فلا حاجة إلى شيء من ذلك..

***

أما قصة الفيل.. أو مأساة الشقى «أبرهة الأشرم» ملك اليمن فى تلك الفترة، فتتلخص فى أن اليمن كانت تحت حكم الأحباش، وكان هناك من ينازع أبرهة فى حكم اليمن.. فنازله أبرهة وقضى عليه.. ووصلت أخباره إلى النجاشى ملك الحبشة فثار وأقسم لينتقمن منه لقتله أحد أمرائه.. فأراد أبرهة أن يسترضيه بأن

بنى له كنيسة كبيرة بصنعاء سماها (القُلّيس) جعلها تحفة عصره وزينها بالذهب والفضة.. وادعى أنها ستكون كعبة المريدين من كافة أنحاء الأرض، وستصرف بهائها حجاج العرب عن بيت الله الحرام فى مكة.. فاستجاب له النجاشى وأيده.. وتم بناء (القليس) وانتظر النجاشى وانتظر معه أبرهة أن يتحول حجاج العرب عن الكعبة المعظمة إلى صنعاء، ولكنه لم يحدث!. فغضب أبرهة وزاد من غضبه حين علم أن هناك من أحدث فيها، ووصل هذا النبأ للنجاشى الذى استقدم أبرهة وسخر منه ومن بنائه.. فما كان من أبرهة إلا اتهام العرب فى هذا الفعل.. ثم استأذنه فى هدم الكعبة ومحوها من الوجود!!

وأعد أبرهة جيشاً جراراً من الجنود والأحباش مزود بفيل ضخم مدرب على اقتحام المعارك.. وسار به إلى الكعبة يريد هدمها.. وفى الطريق وجد من يتصدى له من العرب ولكنه كان يأخذهم أسارى وطوع أمره.. حتى عسكر أبرهة على حدود مكة، وأرسل رجاله للتحرش بأهل تهامة فاغتصبوا الأموال وأصابوا البعير التى كانت لعبد المطلب سيد قريش.. وعلم عبد المطلب بما انتواه أبرهة.. وأدرك بفطنته أن المعركة مع أبرهة غير متكافئة، وقد تضيع فيها قريش بأكملها أمام طاغية لا يرحم.. فقال لرجاله: اتركوا الأمر لله وحده..

ولكن أبرهة تقابل مع سيد قريش بعد وساطة بينهما.. وحين تقابلا قال له أبرهة: ما حاجتك؟ فرد عبد المطلب قائلاً: حاجتى أن ترد علىّ المائتى بعير التى أصبتها لى!.

فدهش أبرهة وقال بسخرية: أنت شريف مكة وصاحب الأمر والنهى فيها جئت تكلم أبرهة العظيم فى مائتى بعير؟! هل نسيت أننى قد جئت أهدم بيت عبادتكم.. أهدم كعبتكم المعظمة فتكلمنى عن البعير!! فأجابه عبد المطلب فى هدوء: مهلاً أيها الملك.. إننى أنا رب الإبل.. وإن للبيت رباً يحميه..

ورد أبرهة لعبد المطلب إبله وهو ماض فى عزمه بعناد!.

وفى اليوم المشهود اتجه أبرهة بجيوشه الجرارة وفيله الضخم إلى الكعبة.. ووسط دهشة الجميع برك الفيل ساجداً أمام الكعبة.. وتفشل كل المحاولات لتحريكه قيد أنملة.. وعندما يأسوا منه انطلقوا إلى الكعبة يهدمونها.. وفجأة شعروا بسحابة سوداء تقترب منهم.. ثم فجأة يرون طيوراً غريبة الشكل سوداء اللون.. تنقض على رؤوس الجنود وتسقط عليهم أحجاراً صغيرة تصرعهم فى الحال.. وهلكوا جميعاً أمام رؤوس الأشهاد من أهل قريش الذين هللوا وكبروا شاكرين حامدين المولى الذى منّ عليهم بالنجاة وحفظ للبيت الحرام مكانته..

وقد ضاعف من فرح قريش بهذا اليوم السعيد أن وُلِدَ لسيدها عبد المطلب حفيده ابن ولده عبد الله.. وحين علم البشرى أسرع يحمله ويطوف به الكعبة.. وحين سأله أحدهم ماذا ستطلق عليه، أجابه على الفور: «محمد».. نعم «محمد» ليكون محموداً فى الأرض وفى السماء..

***

شركات الإنتاج ترفض الفيلم!

كتب قصة الفيلم والحوار الممثل الأديب «فؤاد الطوخى».. بينما كتب السيناريو مخرج الفيلم أحمد الطوخى الذى تخصص فى الأفلام الدينية وقدم من قبل فيلمين هما: (انتصار الإسلام) ١٩٥٢، و(بلال مؤذن الرسول) ١٩٥٣، وكان هذا الفيلم (بيت الله الحرام) هو الثالث والأخير له.. ويبدو أنه يئس من إخراج هذه النوعية من الأفلام -بعد حماسته الأولى- بسبب عدم إقبال المنتجين عليها بعد تعثر توزيع الفيلمين الدينيين الأخيرين.. فضلاً عن عدم توفير الامكانات اللازمة لانتاج مثل هذه النوعية من الأفلام التى أصبحت تتطلب ميزانيات كبيرة لبناء الديكورات وعمل الملابس التاريخية وتوفير المجاميع الضخمة.. الخ.. ولم يدرك -هو والآخرون أو أدركوا!- أن الأزمة أيضاً كانت فى نوعية الموضوعات التى يختارونها للخوض بها فى مجال الفيلم الدينى.. فضلاً عن كم المحرمات

التى وضعت كعراقيل أمام تناول الكثير من الشخصيات الإسلامية على شاشة السينما!!

وكانت محصلة كل هذا بالإضافة إلى ظهور اتجاهات جديدة فى السينما المصرية تميل نحو الأفلام الواقعية والأفلام الاجتماعية وأفلام الحركة! فوجد أحمد الطوخى نفسه محاصراً بعد أن أفرغ نفسه -ولن أقول وهب نفسه- لإخراج الأفلام الدينية والتاريخية.. فهاجر إلى لبنان عام ١٩٥٨، وهناك أخرج فيلمين لبنانيين عام ١٩٦٠ أولهما اجتماعى دينى بعنوان (فى قلبها نار) والثانى دينى بعنوان (مولد الرسول) وقيل إنه هجر السينما بعدها!.

***

راجع سيناريو الفيلم بعد كتابته من الناحية التاريخية الدكتور فؤاد حسنين وهو أحد أساتذة الجامعات المتخصصين فى التاريخ الإسلامى.. وكان حرصاً من المخرج على أن تأتى المعلومات التاريخية والدينية فى الفيلم فى مستوى الدقة والأمانة.. وتقدم أحمد الطوخى بسيناريو الفيلم على أكثر من منتج.. وكانت المفاجأة هى الرفض التام.. فقد قال له أحدهم أن الفيلم سيتكلف كثيراً وقد لا يحقق الأرباح المتوقعة منه.. حيث يحتاج إلى بناء نموذج مشابه للكعبة.. ثم يحتاج إلى أفيال وطيور وخدع قد لا تتوافر فى مصر فى الوقت الحالى -وقت بداية انتاج الفيلم فى نهاية عام ١٩٥٦- كما قيل له: إن البلد فى حالة حرب ولا تحتمل مثل هذه النوعية من الأفلام.. وتحدث معه آخرون فى مسألة صعوبة التوزيع فى البلاد العربية والإسلامية فى الوقت الراهن..

واحتار المخرج أحمد الطوخى وضاق ذرعاً بتلك الحجج والمزاعم والعراقيل التى تقف أمام مشروعه الجديد.. بل وكافة مشروعاته الطموحة فى السينما الإسلامية..

وحدث أن بث المخرج أحمد الطوخى بشكواه لأحد أصدقائه الصحفيين.. وهو «محمود سمهان» رئيس تحرير جريدة (بلادى) التى كانت تصدر فى ذاك الوقت.. والذى كان يتابع نشاطه واتجاهاته فى هذا المضمار.. وهو رجل مثقف ومتدين.. فوجىء الطوخى بسمهان يعرض عليه انتاج الفيلم بنفسه على أن تلعب بطولته «برلنتى عبد الحميد» زوجة سمهان فى ذلك الوقت!! ووعده سمهان بتوفير كافة الإمكانات لخروج الفيلم بالصورة المطلوبة.. وتم تعديل السيناريو لإبراز قصة حب فى الفيلم -كعادة السينما فى تلك الفترة حتى ولو كان فيلماً دينياً!- وتم التعديل -من أجل عيون البطلة زوجة المنتج!- على مضض من المخرج الذى بدأ يضيق أيضا بمتطلبات التوزيع فى هذا الصدد.. وكانت قصة الحب الساذجة فى الفيلم التى «حشرت» ضمن أحداث القصة العظيمة التى رواها القرآن الكريم .. وهى أن ابنة «أبرهة» وتدعى «زهرة» -التى قامت بدورها برلنتى عبد الحميد- تقع فى حب أحد رجال قريش ويدعى «نوفيل بن حبيب» فكانت تساعده وتساعد قبيلته سراً لعدم إيمانها بأفعال والدها الملك الطاغية!!

***

وداع البيت.. والراعية!

وبدأ تصوير مشاهد الفيلم الخارجية فى صحراء أبو رواش بالهرم حيث تم بناء جزء كبير يمثل الكعبة المشرفة.. بينما كانت مشاهده الداخلية باستوديو الأهرام مع اقتراب نهاية فترة حرب العدوان الثلاثى ١٩٥٦ (الانجليزى/ الفرنسى/ الإسرائيلى) على مصر..

وقام بأدوار الفيلم الرئيسية: برلنتى عبد الحميد فى دور (زهرة ابنة أبرهة)، وعباس فارس (أبرهة ملك اليمن)، وعمر الحريرى (نوفيل بن حبيب)، وحسين رياض (عبد المطلب جد الرسول)، وفؤاد الطوخى (كاتب قصة وحوار الفيلم فى دور أبو يكسوم)، ونعيمة وصفى (الأم)، وممثلة يونانية مقيمة فى مصر تدعى مس

بريل (فى دور محظية أبرهة)، ومجموعة أخرى من الممثلين فى أدوار ثانوية.. ولكن افتقر الفيلم للمجاميع حيث لم يوفر المنتج للمخرج القدر الكافى منهم!.

قام بتصوير الفيلم المصور الايطالى المتمصر «كليليو»، والمونتاج: البير نجيب، والماكياج: رمضان إمام، والمناظر: عبد المنعم شكرى، والموسيقى التصويرية: فؤاد الظاهرى..

وتضمن الفيلم أغنيتين.. الأولى بعنوان (وداع البيت) كلمات: عبد الحميد ربيع، ولحن: عبد العظيم عبد الحق، وغناء الكورس تقول كلماتها:

أيها البيت سلاماً ... لك ما عشنا دواما
قد قضينا فيك عهداً ... لم يكن إلا ابتساما
تكرم الضيف وترعى ... بين واديك اليتامى
فرمتنا يد طاغ ... لم يرد إلا انتقاما
فغدوت اليوم خلوا ... لا طواف ولا وثاما
ربنا اهلك عدانا ... واجعل البيت سلاما.

أما الأغنية الثانية وعنوانها (الراعية) كلمات: إمام الصفطاوى، ولحن: عبد العظيم عبد الحق أيضاً.. ولكنها من غناء: عائشة حسن، تقول كلماتها:

سيرى على هذا النغم ... وانسى الهجير
دا المرعى قرب يا غنم ... والخير كثير
بالزرع الأخضر والهوا والمى
تحلى الحياة وانت جصاد عنى
هنيا امرحى واتمتعى بالسرى

من عين باردة ما يعادلهاشى
سيرى الهوينا والحليب بيجول
غير المجدر يا غنم ما نطول
ليش ترعى والصحراء مالها طول
كاليل عند العاشج المشغول
سيرى على هذا النغم.

***

مشكلة (فيل) من حديقة الحيوان!

أما بطلة الفيلم «برلنتى عبد الحميد» فقد كان نجمها فى ذاك الوقت بدأ يسطع.. بعد أن شاركت فى الأدوار الثانوية فى أكثر من عمل.. وقد أهلها شكلها وحجم جسمها وأداؤها المندفع اللافت للنظر، والذى يميل كثيراً إلى شكل أدوار الإغراء إلى اعتلاء صفوف النجمات الأول بسرعة.. وكان هذا الفيلم هو أول بطولة لها فى السينما.. ولكن نجمها هذا كان يسطع ويأفل فى ومضات متناقضة حتى اختفت تماماً عن شاشة السينما حينما تزوجها المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية المصرية سراً فى مارس عام ١٩٦٣!.

وبرلنتى عبد الحميد اسمها الحقيقى «نفيسة عبد الحميد حواس» من مواليد حى السيدة زينب بالقاهرة فى ٩ نوفمبر عام ١٩٣٩ تخرجت فى المعهد العالى للفنون المسرحية، وعملت فى أدوار صغيرة فى المسرح والسينما، حتى لفتت إليها الأنظار.. تزوجت لأول مرة من الصحفى محمود سمهان صاحب جريدة «بلادى» ومنتج هذا الفيلم، ثم تزوجت للمرة الثانية من المشير عبد الحكيم عامر الذى أنجبت له ابنها «عمرو» عام ١٩٦٧ وهو نفسه عام النكسة، وأيضاً العام الذى توفى فيه المشير!!

وقد بلغت تكاليف انتاج الفيلم حوالى ٣٥ ألف جنيه.. وحاول المنتج على قدر طاقته توفير كافة الامكانات الفنية والمادية للفيلم.. فكان يصرح لمن حوله: إننى أريد عمل فيلم دينى تاريخى يعيش طويلاً ويتحدث عنه العالم.. أريد عمل تحفة فنية رائعة تضارع أقوى أفلام هوليوود التاريخية مثل (الرداء) و(كوفاديس) وغيرهما!!

وقد استدعى تصوير بعض مشاهد الفيلم إلى المئات من الفرسان والخيول والجمال لتصوير جيش أبرهة أثناء سيره من اليمن متجهاً إلى مكة.. وإلى مئات أخرى من الرجال والنساء والأطفال ومعهم متاعهم، ودوابهم أثناء هجرة أهل مكة إلى الجبال خوفاً من جيش أبرهة.. كما استعان المخرج والمنتج بفيل ضخم من حدائق الحيوان بالجيزة ليلعب دور فيل أبرهة الشهير والذى سميت السورة رقم (١٠٥) فى القرآن الكريم باسمه!

والطريف أن المخرج لاقى فى ذلك صعوبات جمة لنقل الفيل من حديقة الحيوان إلى موقع التصوير فى الصحراء.. حيث رفض مدير الحديقة إخراج الفيل منها.. وطلب تصوير مشاهد الفيلم فى الحديقة!! وطبعا رفض المخرج لأنه لابد من وجوده فى الصحراء وبجوار المكان الذى تم فيه بناء نموذج للكعبة.. وهدد المخرج بالاستعانة بفيل من أفريقيا.. أو السفر إلى الصحراء الأفريقية لتصوير الفيلم هناك.. وبعد عدة مشكلات ومفاوضات وتدخل بعض المسئولين أمكن خروج الفيل إلى موقع التصوير فى سيارة نقل كبيرة وتحت حراسة مشددة، وبعد دفع مبالغ مالية على سبيل التأمين عليه لو حدث له مكروه!!

كما واجه المخرج مشكلة أخرى وهى كيفية إظهار الطير الأبابيل على الشاشة التى اختلف البعض على تفسيرها مما اضطر المخرج الأمريكى «وليم ديترلى» الذى أخرج فيلم (النبى يوسف) للاستعانة ببعض آراء علماء الدين المصريين لتفسير قصة الطير الأبابيل قبل شروعه فى إخراج فيلمه.. فاهتم المنتج بهذا الجانب

واستعان فى سبيل إظهاره على هذه الصورة بعدد من الفنيين المصريين والأجانب الذين كانوا موجودين فى تلك الفترة تحت إشراف المخرج أحمد الطوخى..

وقد صرح الممثل «حسين رياض» للصحفيين أثناء تصوير الفيلم بأنه كان يتمنى طوال حياته أداء شخصية إسلامية بارزة.. حتى جاءته الفرصة فى هذا الفيلم بأداء شخصية عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم..

***

المحاولة الفاشلة لدبلجة الفيلم!

وانتهى تصوير الفيلم الذى استغرق شهرين كاملين ما بين صحراء الهرم واستوديو الأهرام.. وأصبحت نسخته الكاملة والتى تستغرق مدة عرضها ٩٠ دقيقة، وحصل على موافقة الرقابة دون أية ملاحظات.. وكان السينمائيون المصريون -فى تلك الفترة- يهمهم بالدرجة الأولى لفت نظر الأجانب لأعمالهم.. فعرض المنتج الفيلم على بعض الصحفيين الأجانب الذين كانوا يزورون مصر عقب انتهاء حرب ١٩٥٦ فى عرض خاص.. فأبدى بعضهم اعجابهم بالتجربة حتى قال أحدهم إن هذا الفيلم لا يقل روعة عن الأفلام الأمريكية بل وطالب المنتج بترجمته ليتسنى للشعوب الأوروبية مشاهدته.. بينما رأى آخرون أن المعالجة جاءت بطيئة.. وأن المخرج حاول قدر استطاعته الاستفادة إلى أقصى حد بالامكانات الضئيلة التى وضعت تحت تصرفه!!

بينما احتفلت الصحافة المصرية بالفيلم، وكتب الصحفى والمنتج «محمود سمهان» يقول:

(هذا هو فيلم «بيت الله الحرام» أقدمت على انتاجه للعرب والمسلمين، قطعة حية من تاريخهم المجيد، وصفحة ناصعة من سجل بطولاتهم الخالدة.. إنها قصة تصور لنا البطولة والتضحية والفداء، فهذا شيخ مكة وعميد العرب «عبد المطلب»

جد الرسول صلى الله عليه وسلم يأبى الضيم ويثور فى وجه الأعداء ولا يخضع لأبرهة الطاغية.. وهذا نفيل بن حبيب الزعيم العربى المؤمن الغيور يتحمل راضياً صابراً صنوف العذاب فى سبيل الاحتفاظ بمبدئه وقوميته.. وتلك هى الأم العربية تضحى بفلذة كبدها فى سبيل عروبتها ووطنيتها..

وبينما يتضرج أديم الجزيرة العربية بدماء الأبرياء الذين طغى عليهم أبرهة الجبار، الذى يصبح ويمشى بين الكأس والنساء، تتورد حواشى الأفق بشفق العاطفة العارمة القوية بين «زهرة» ابنة الطاغية التى حولها الحب إلى ملاك يضيق بجبروت أبيها، وبين نفيل البطل العربى المقدام وقد آمنت بجلال البيت وقدسيته..

لقد أقدمت على إنتاج هذا الفيلم -رغم علمى بكل ما سيعترضنى من صعاب- مؤمناً بأن الله لن يتخلى عنى، فكان النجاح حليفى بفضل الله الذى مكننى من إظهاره فى إطار مهيب، وهأنذا أتقدم إلى الأمة العربية والشعوب الإسلامية بهذه القصة التى أحجمت الشركات الأجنبية عن إنتاجها وإخراجها، لا لعيب فيها، ولا لضيق فى أفقها، بل لأنها صفحة عاطرة بشذى العروبة وروح الإسلام).

***

وعرض الفيلم عرضه الأول يوم الاثنين ١١ فبراير عام ١٩٥٧ فى خمس عشرة دار عرض فى القاهرة والمحافظات، وكذلك عرض فى كثير من الدول العربية والإسلامية، ولم يحقق الفيلم النجاح المتوقع له مثل الأفلام الدينية الأولى فى السينما المصرية، ولكنه لم يخسر.. وقد حاول منتجه جاهداً لدبلجة الفيلم باللغة الانجليزية أو الفرنسية حتى يتمكن من عرضه فى بعض الدول الغربية كما نصحوه بذلك.. ولكن محاولاته باءت بالفشل لارتفاع تكلفة هذه العملية بالخارج!.

٦- (خالد بن الوليد)

عندما ازدهرت السينما الدينية فى مصر.. بتقديمها خمسة أفلام فى الفترة من عام ١٩٥١ وحتى عام ١٩٥٧ حققت نجاحات جماهيرية وتجارية فى مصر وفى الدول العربية وبعض الدول الإسلامية.. لم يكن ليغيب هذا عن نجم السينما المصرية الكبير حسين صدقى.. الفنان الذى عرف عنه الالتزام والاستقامة والتدين أن يدلو بدلوه فى هذه السينما.. فقد كانت الحياة الفنية فى فترة الاربعينيات والخمسينيات موصومة بالعديد من التهم التى كانت تتناقلها صحف ومجلات تلك الفترة بكثير من الإثارة.. حيث يكثر الكلام عن لقاءات الفنانين حول موائد الخمر والقمار فى السهرات الحمراء.. حتى بات لقب الفنان أو الفنانة ملتصقاً بصفات المجون والعربدة والمزاج المتقلب.. ولاشك أن ما أطلق عليها اسم «الصحافة الصفراء» قد ساهمت فى هذا التصور بقدر.. كما ساهمت تصرفات زمرة من الفنانين غير المسئولة بنفس القدر!!

وسط هذا كله انفرد الفنان حسين صدقى بصفات حميدة فى غير ادعاء.. حيث كان الرجل بطبيعته سامى المبادىء والمشاعر.. متمسكاً بالخلق والفضيلة حتى لو وصم بأنه متزمت ورجعى، عزوف عن الاختلاط.. يؤثر الحياة الأسرية.. لا يعرف غير بيته وعمله!.

***

فكر «حسين صدقى» كثيراً فى عمل فيلم دينى كبير منذ أول فيلم أنتجته السينما المصرية فى هذا المجال عام ١٩٥١.. ولكنه كان يبحث عن الشخصية المناسبة.. وعن الوقت المناسب.. كان حسين صدقى مشغولاً فى تلك الفترة بعمل أفلامه الاجتماعية والوطنية.. سواء تلك التى قدمها كممثل.. أو كمخرج بالإضافة إلى أعماله الأخرى كمنتج وسيناريست وممثل أيضاً.

وحسين صدقى ولد فى ٩ يوليو عام ١٩١٧، وبدأ حياته الفنية ممثلاً فى فيلم (تيتا وونج) عام ١٩٣٧ إخراج أمينة محمد التى اكتشفته وقدمته لأول مرة فى دور الفتى الأول.. ثم توالت أفلامه الإنسانية.. خاض تجربة الانتاج مبكراً فى عام ١٩٤٢ حين أسس شركته السينمائية (أفلام مصر الحديثة) وكان باكورة انتاجه فيلم (العامل) إخراج أحمد كامل مرسى عام ١٩٤٣.. قدم حوالى ٣٦ فيلماً ما بين تمثيل وتأليف وانتاج وإخراج.. إلى أن اعتزل العمل فى السينما فى بداية الستينيات، وكذلك كافة الأنشطة الفنية متفرغاً لنشاطه الاجتماعى والسياسى..

ومنذ ظهور الأفلام الدينية فى مصر بفيلم (ظهور الإسلام) وحسين صدقى يفكر جدياً فى تقديم فيلم دينى كبير يعتد به ويفخر ويكون له صفة العالمية.. فكر فى بادىء الأمر فى (حياة محمد) كتاب د. هيكل الشهير.. ولكن صادفته عقبات كثيرة أبرزها ظهور عدد كبير من الصحابة.. ففكر فى شخصية (عمر بن الخطاب) وبهر بها.. حتى أنه عايشها معايشة كاملة.. فاصطدم بمنع الأزهر لظهور الخلفاء الراشدين على الشاشة.. وقد كان حسين صدقى صديقاً لكثير من مشايخ الأزهر.. يستنير برأيهم وعلمهم.. وكان فى مقدمتهم الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الحليم محمود والشيخ أحمد الشرباصى.. وقد وصلت الصداقة بينهم إلى حد الزيارات المنزلية المتبادلة والمتكررة.. ثم فكر فى شخصية (طارق بن زياد)، ولكنه استقر على شخصية (خالد بن الوليد) لقربه تاريخياً من مرحلة النبوة ومعاصرته لها.. وحصل على موافقة الأزهر على الفكرة..

***

السفر للتعاقد مع نجمات ايطاليا!

بدأ حسين صدقى العمل فى فيلم (خالد بن الوليد) فى نهاية عام ١٩٥٥ بينما عرض الفيلم فى عام ١٩٥٨.. أى استغرق العمل فيه ثلاث سنوات كاملة.. وقد مر على مرحلة إعداد الفيلم معركة السويس الشهيرة عام ١٩٥٦وما

أعقبها من فرحة غامرة بالانتصار السياسى الذى تحقق.. وما واكبه من رفع شعار الوحدة العربية القائمة على العزة والكرامة والفخار..

كان كل ذلك يسرى فى عروق نجمنا الفارس ومعه كافة العاملين والفنيين والفنانين بالفيلم.. فتوهج الحماس لعمل أنشودة سينمائية كبرى يراها القاصى والدانى.. ويفخر بها المصريون أمام العالم بأسره.. حيث كانت السينما الهليوودية تسيطر على ألباب السينمائيين المصريين.. فغشيهم الإحساس بمحاكاتها.. أو على الأقل بمحاولة مجاراتها فى حدود المتاح والممكن لدينا!!

من هنا قرر «حسين صدقى» أن يكون فيلمه ضخم الانتاج.. وبالألوان الطبيعية.. ويصور بطريقة السكوب.. بل ويمثل فيه نجوم أجانب ليضمن له العالمية.. فضلاً عن ترجمته إلى ثمان من اللغات الحية لعرضه فى جميع أنحاء العالم!!

ولكن المسألة لم تكن سهلة كما حلم «حسين صدقى»!..

***

أول صدمة تلقاها «حسين صدقى» حين سافر إلى إيطاليا للتعاقد مع النجمة الشهيرة «صوفيا لورين» لبطولة الفيلم أمامه.. فالدور لفتاة رومية تدعى (ليلى) وقع فى حبها (خالد).. وبعد فراق لسنوات يلتقى بها مرة أخرى حين جاءته ليصفح عن زوجها الأسير فيعلم (خالد) أنه قتل فأصبحت أرملة، حاول تعويضها بالمال ولكنها رفضت، وحين يعرض عليها الزواج يقف أهل القتيل ضدهما.. فآثرت الابتعاد عنه!.

وحين قرأت «صوفيا لورين» ترجمة لدورها هالها الموضوع.. وغالت فى أجرها، وفى طلباتها بقصد اعتذار الطرف الآخر.. فما كان من «حسين صدقى» إلا أن سحب عرضه.. وتقدم بنفس الدور للممثلة «جينا لولو بريجيدا» التى

فعلت نفس ما فعلته صوفيا لورين.. فأدرك «حسين صدقى» بفطنته أن الممثلات الغربيات لن يوافقن على العمل فى فيلم كهذا يمجد فى شخصية إسلامية بارزة.. فعاد محبطاً.. راضيا بامكانات ممثلات الشرق.. وأسند دور الرومية على الفور إلى «مريم فخر الدين».. ودور زوجته المجاهدة إلى «مديحة يسرى»!.

***

الفيلم برعاية وزراء الحربية والداخلية والاقتصاد!

كتب سيناريو وحوار الفيلم: حسين صدقى وحسين حلمى المهندس وعبد العزيز سلام.. وكانت المفاجأة هى اشتراك الشيخ أحمد الشرباصى فى السيناريو والحوار! وهو من كبار علماء الأزهر الشريف، وهذا يدل على مدى تفهم الأزهر وعلمائه رسالة السينما عموماً، وأهمية الفيلم الدينى على وجه الخصوص.. وقد روى لى السيناريست والمخرج حسين حلمى المهندس أن حماس الشيخ الشرباصى فى كتابة الفيلم كان لا يقل عن حماسهم.. بل إنه كان يبتكر مشاهد فى السيناريو مثل أى محترف فى هذا المجال.. حتى أنه فى نهاية العمل سجل السيناريو والحوار كله بصوته على شرائط التسجيل بأداء تمثيلى حتى نستمع إليه فى المراجعة النهائية له.. ونكتشف نقاط الضعف والقوة فى السيناريو.. فضلاً عن حواره المتميز الذى ينم عن تمكن وتذوق فنى عال..

ولم يفت حسين حلمى المهندس أن يضيف: إن حسين صدقى -للأسف- تدخل كممثل ومخرج ومنتج للفيلم فى بعض المشاهد بعد الانتهاء من كتابة السيناريو تماماً.. وأنا للحقيقة غير راض عنها.. ولكنها ممكن أن تمر على المشاهد العادى.. إلا أنها فى رأيى اضافات لدوره لم يكن لها داع!!

وقد استعان حسين صدقى بخمسة مساعدين للإخراج هم: لطفى نور الدين ومحمد جلال وحسين عمر وفوزى على ورشاد عبد العزيز.. فضلاً عن عبد الرحيم الزرقانى كمراقب للحوار..

وقام بتصوير الفيلم وديد سرى بالألوان الطبيعية وبنظام السكوب داخلياً ولمدة شهر كامل فى ستوديو الأهرام.. بينما كانت المشاهد الخارجية فى صحراء الهرم وأبو رواش وسقارة حيث استغرق التصوير فيها ستة أشهر.. وبلغت تكاليف انتاج الفيلم أكثر من ٦٥ ألف جنيه!

قام بعمل الديكورات والمناظر: عبد الفتاح البيلى وحبيب خورى وروبير شارفنبرج، وتصميم الملابس صلاح الشيتى ونفذها حبيب خورى وقد تكلفت هذه العمليات وحدها ٣٠ ألف جنيه أى حوالى نصف ميزانية الفيلم.. كما شارك فيه عشرة آلاف من الممثلين والمجاميع تصحبهم ثلاثة آلاف من الجمال والخيول.. واضطلع بالأدوار الرئيسية: حسين صدقى ومريم فخر الدين ومديحة يسرى وعمر الحريرى وعباس فارس وزكى طليمات وأحمد علام ومحمد السبع ومحمود السباع وتوفيق الدقن وعبد الرحيم الزرقانى والهام زكى وزينب عبد الرحيم والراقصة نعمت مختار.

أقام حسين صدقى ديكوراً يمثل مدينة مكة المكرمة وبداخله نموذج للكعبة المشرفة على مساحة قدرها ٥٠ فداناً فى واد تحيط به الجبال من كل جانب فى أبى رواش.. وقد استغرق بناء هذه المدينة وحدها ستة أشهر قبل التصوير وتكلفت حوالى ٢٠ ألف جنيه..

وكان «حسين صدقى» يبدأ العمل فى الرابعة صباحاً ويختمه فى الخامسة مساء قبل غروب الشمس.. وقد أقام مخيماً كبيراً بعيداً عن موقع التصوير أنشأ فيه غرفاً مريحة للممثلين والممثلات مثلما يحدث فى الخارج.. ولما كان المخيم بعيداً عن موقع التصوير فقد أعد له أكثر من سيارة لخدمة طاقم العمل.. كما أعد جهاز تليفون ذا خطوط متعددة ليكون الاتصال مستمراً وميسراً بين المخيم وموقع التصوير.. وحينما ينتقلون إلى موقع آخر كانت تنتقل معهم كافة الأجهزة!.

وفى منطقة سقارة تم على مساحة عشرين فداناً بناء سوق ضخمة كنموذج

لسوق عكاظ المعروفة فى التاريخ.. زاخرة بالخيام وشتى متاجر البيع المعروفة فى تلك الفترة.. تعج بالمئات من الباعة والمشترين والجوارى والعبيد، وفيه أيضا سامر وندوة للشعراء.. وقد استغرق بناء هذه السوق وحدها ثلاثة أشهر كاملة قبل التصوير، وتكلف بناؤها عشرة آلاف من الجنيهات..

أما ميدان القتال فقد أقيم فى صحراء العباسية –حى مدينة نصر الآن– على مساحة خمسين فداناً أخرى.. حيث تلتقى الجيوش العربية بجيوش الفرس والرومان فى عدة معارك فاصلة!.

وقد قدمت جهات رسمية عديدة فى الدولة الكثير من المساعدات لحسين صدقى أثناء تصوير الفيلم منها فرسان الجيش والشرطة، ومجموعة من المعدات برغبة وحماس وزراء تلك الفترة: المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة وزير الحربية، وزكريا محيى الدين وزير الداخلية، ود. عبد المنعم القيسونى وزير الاقتصاد.. كما بذل أنور السادات السكرتير العام للمؤتمر الإسلامى جهداً مكثفاً فى الوقوف بجانب الفيلم حتى خرج إلى النور.. مما أوجب على حسين صدقى شكرهم فى عناوين الفيلم!.

***

كيف تناول الفيلم شخصية «خالد بن الوليد»؟!

أبرز مؤلفو السيناريو نجومية خالد بين قومه حيث كان الشباب يتطلع إليه كمثل أعلى لهم فى البطولة والشجاعة وميادين القتال.. وتحلم به النساء كرجل توافرت له كل مقومات فتى الأحلام.. ولكنه عندما التقى بليلى فى سوق عكاظ.. مال إليها وفتح لها قلبه فقد وجد عندها ما لم يجده فى كل من عرف من النساء.. فكر خالد فى ليلى كزوجة له.. وقرر أن يرحل إلى ديارها طالبا يدها.. ولكنه قبل أن يرحل فوجىء بقومه يهزمون أمام جيش المسلمين فى موقعة

(بدر) أول معركة نشبت بين المسلمين والمشركين.. وثار خالد لهزيمة قومه واستل سيفه ليدفع عنهم العار.. وانتصر على المسلمين فى موقعة (أحد)!

وعاد خالد من معركته متوجاً بأكاليل النصر وفى رأسه حلم جميل لعش جميل يضمه مع فتاة قلبه.. ليلى.. وذهب إلى ديارها ليعلن انتصاره على المسلمين فى موقعة (أحد) وليطلبها للزواج.. وفوجىء خالد بليلاه وقد أسلمت وآمنت بمحمد.. هى ووالدها.. وفوجىء بها تدعوه للإسلام.. ورفض خالد أن يستبدل بعقائده ودين أجداده.. عقيدة جديدة.. ودينا جديداً من أجل امرأة وعاد خالد إلى دياره وفى قلبه حب.. ولا أمل!.

وفى مكة وجد الذين حوله يؤمنون بالرسالة الجديدة واحدا بعد الآخر.. حتى أن شقيقه قد أعلن إسلامه وذهب يدعوه للإسلام.. وفكر خالد.. وأعلن البطل إسلامه.. وأطلق عليه محمد رسول الله لقب سيف الله.. واهتزت دعامات المشركين الذين يحاربون رسالة الله عندما أعلن خالد إسلامه وتولى جيش المسلمين، وخاض سيف الله بفرسان الإسلام معارك عديدة تركت على كل شبر من جسده آثارها.. وحققت له النصر بعد النصر..

ومرة أخرى التقى خالد بن الوليد بحبيبته وقد جاءت تطلب منه أن يسمح لها بزيارة زوجها الذى أسره جند المسلمين.. وعرف خالد يومها أنها زوجة رجل آخر.. واكتشفت ليلى أن زوجها قد قتل عن غير قصد.. وقتله رجال خالد.. وأصبحت بلا رجل.. وحاول خالد أن يعوضها عن زوجها بالمال.. فرفضت.. وشعر خالد بأنه مازال يحب ليلى ويريدها.. وعرف أنها تبادله نفس الشعور.. واتفقا على الزواج.. وعلم بهذا الاتفاق أهل زوجها القتيل.. وهددوها بإثارة الفضيحة حول رجلها الجديد.. وفضلت ليلى أن تختفى من حياة خالد حتى لا تعرضه لما هددها به أهل زوجها.. فاختفت عنه..

وخاض خالد حرباً طاحنة ضد مسيلمة المتنبىء الكذاب الذى ادعى النبوة بعد

وفاة الرسول عليه السلام.. فانتصر عليه وقضى على الفتنة التى كادت تقضى على العرب.. وتعرف خالد على فاطمة.. ودخل قلبها.. وارتاح لها فتزوجها.. وعلى رأس جيش المسلمين سار خالد ليطرد الفرس ويسدل ستاراً على إحدى صور الاحتلال الأجنبى للأراضى العربية.. فطهر أرض العراق.. وحارب القائد العربى الروم فى سوريا وأخرجهم منها.. وطبقت شهرته الآفاق.. وأصبح عملاقاً يسكن كل القلوب.. ويفتح لرسالة الله الأفئدة المغلقة..

وخشى الخليفة عمر بن الخطاب على العرب من الافتتان بخالد.. فأمر بعزله وأسند قيادة الجيش لأبى عبيدة بن الجراح..

وماتت فاطمة زوجته.. وأصبح البطل ليجد نفسه وحيداً.. هده المرض.. وهزمه.. ولم تهزمه المعارك العديدة التى خاضها.. ولم تهده السيوف التى هدها.. ولم يخيفه الموت.. وجاءه الموت هذه المرة ليلتقى به فى ميدان لا معارك فيه ولا سيوف.. وجاءت ليلى وكلها أمل فى أن تسعد نفسها به.. وتسعده بها.. ولكنه مات بعد أن التقى بها لآخر مرة!..

***

أنور السادات يحضر العرض الخاص للفيلم!

وانتهى تصوير الفيلم الذى استغرق العمل فيه ثلاث سنوات ما بين الإعداد والكتابة والتنفيذ الفنى والتصوير فى أوائل عام ١٩٥٨.. وسافر به حسين صدقى إلى انجلترا لتحميضه وطبعه بمعامل «دينهام» بلندن حيث الفيلم مصور بالألوان الطبيعية وعدسات السكوب لإظهار ضخامة الديكور والمجاميع وازدحام المشاهد بالحركة والشخوص.. وقد استغرق عرضه على الشاشة مدة ساعتين ونصف الساعة.. وقد قرر حسين صدقى أن يدبلج الفيلم إلى ثمان من اللغات الحية لعرضه فى جميع أنحاء العالم.. إلا أنه لم يستطع أن يقوم بهذا العمل نظراً

لاختلافه مع بعض الخبراء الأجانب فى هذا الصدد.. فاكتفى بترجمته إلى اللغتين الانجليزية والفرنسية.. ويتردد أنه ترجم لعدة لغات آسيوية أخرى بعدها بسنوات!.

وفى أول يونيو عام ١٩٥٨ أقام حسين صدقى عرضاً خاصاً لفيلم (خالد بن الوليد) دعا إليه بعض المسئولين والنقاد والصحفيين فى قاعة سينما ريفولى.. حضره «أنور السادات» والصاغ «على شفيق» السكرتير العسكرى للمشير «عبد الحكيم عامر» وقد أشاد الحضور بالفيلم.. وقام أنور السادات باحتضانه وتقبيله ثم قال له: إنه فيلم يشرف كل مسلم وكل عربى..

ويوم ١٦ يونيو عام ١٩٥٨ عرض الفيلم بدار سينما ريفولى بالقاهرة وراديو بالاسكندرية، وعرض فى نفس الوقت بسينما دمشق بالعاصمة السورية.. وفى معظم دور السينما فى المحافظات وحقق نجاحاً كبيراً، كما تم تصديره إلى العديد من البلاد العربية والإسلامية وحقق بها نفس النجاح.. وقد أشاد به معظم النقاد فى مصر.. وقالوا ضمن ما قالوه: إنه وثيقة المجد والشرف للسينما العربية وتاريخ العروبة، وإنه يحقق أهداف العرب فى الوحدة والحرية والسلام.. حيث كانت بوادر الوحدة العربية قد بدأت فى تلك المرحلة تداعب أحلام أبناء العروبة من المشرق إلى المغرب.. وبدأت تيارها الجارف يهب نسيماً عليلاً ينعش القوة الروحية فى الأنفس والأبدان..

بينما أخذ بعض النقاد على الفيلم بعض الملاحظات النقدية أبرزها ضعف الصوت برغم تحميضه وطبعه فى الخارج!. وكذلك طول الفيلم الذى أوقع بعض مشاهده فى الملل.. وافتعال بعض مشاهد المعارك خاصة فى حركات المتبارزين بالسيوف.. كما أشار أحدهم -عبد الفتاح البارودى- (١) بوضوح إلى عدم انتقال الفيلم من مرحلة السرد إلى المرحلة الفنية.. وأن الفيلم قدم عرضاً تاريخياً مستنداً إلى الكتب والمراجع دون تفسير فنى أو تقديم وجهة نظر فنية!..

***

رجل دين: تمثيل الفيلم كان مسخا وتشويها!

أما رجال الدين فقد امتنع معظمهم عن الخوض فى مسألة تقييم الفيلم.. وإذا تحدث أحدهم حديثاً عابراً وجاءت سيرة فيلم (خالد بن الوليد) فانه يتحمد صانعيه على مجهوداتهم فى إظهار هذا الفيلم بهذه الصورة.. بينما أشاد بعضهم بأداء الممثل «حسين صدقى» فقط!.

إلا أن الشيخ د. محمد سعاد جلال -الشهير بمعاركه الدينية- كتب بعد عرض الفيلم بأكثر من عام مقالاً تحت عنوان (عندما رأيت خالد بن الوليد على شاشة السينما) يقول فيه:

- (حضرت رواية خالد بن الوليد على شاشة السينما.. وكنت -طبعاً- أقارن طول الوقت بين الموجود فى ذهنى من التصورات الحقة الرائعة عن خالد بن الوليد ومواقفه البطولية العظيمة.. ومظاهر عبقريته العسكرية الخارقة، وبين هذا الذى كنت أشاهده من التمثيل حينذاك.. فلا أرى فى عمل الممثلين إلا مسخاً وتشويهاً لسيرة هذا البطل الإسلامى العظيم..

وأشد ما ساءنى حينذاك دور الممثلة الذى كان لا يعبر إلا عن معان وصور فى غاية التفاهة والغثاثة، وتصغير شأن الممثل لهم.. وكأن البطل وهو يؤدى دوره إنسان مخلد للأرض وأنه ليحاول جاهداً أن يتعلق بالسماء ولا سبيل له إلى ذلك أبداً.. ولقد استطعت أنا أن ألاحظ أن تمثيل رواية خالد بن الوليد كان مسخاً وتشويها، وأن مواقف هذه الرواية الأصلية كان أكبر، وأكبر بكثير من طاقة الممثلين.. وجهدهم فى الفطرة والصناعة.. لأنى كنت عارفاً بتاريخ خالد بن الوليد، وفى خيالى صور مشبوبة منيرة صادقة عن حقائق سيرته المتعالية العظيمة، فأما الذين لم يكن لهم سبق هذا العرفان ممن شاهدوا الرواية فلا شك أنهم خرجوا بانطباع تافه.. ومكتوب عن سيرة هذا البطل الجليل وفى ذلك من مسارب

استهانة الخلف بأقدار السلف.. ما يبتغيه الذين يريدون انتزاع ثقة المسلمين بأنفسهم وبتاريخهم وارتدادهم على أعقابهم خائبين..

ومما يدل أيضاً على أن هذه الفتنة التى طار شرارها فى المسلمين بالدعوة الملحة فى هذا الوقت على تمثيل أهل البيت وجلة الصحابة، إنما تشير إلى مخطط صادر عن قوى مضادة للإسلام.. كذلك المخطط الذى استهدف بأقلام طائفة من غير المتحفظين ترجمة نص القرآن من قبل ربع قرن أو تزيد، وساهمنا حينذاك مساهمة جادة فى إبطال تلك الفتنة المأجورة حتى أطفأ الله نارها وأيأس منها المدبرين لها..)!.

***

وقد قدم «حسين صدقى» بعد هذا الفيلم فيلمين آخرين هما: (وطنى حبى) ١٩٦٠، و(أنا العدالة) ١٩٦١ ثم اعتزل العمل السينمائى بعد انتخابه عضواً فى مجلس الأمة عن دائرة المعادى.. وتوفى فى ١٦ فبراير عام ١٩٧٦ بعد أن قدم العديد من المسرحيات فى بداية حياته الفنية، ثم مجموعة أفلامه السينمائية التى جمع فى بعضها ما بين التمثيل والإخراج والتأليف والانتاج!.

وكان «حسين صدقى» يعتد بكل أفلامه، ولكنه كان يرى (خالداً) على قمتها وفى مقدمتها.. ويحمد الله أنه ساهم ولو بقدر فى طرح مشكلات عصره السياسية والاجتماعية فى ظل ظروف صعبة.. وقد قال مدافعا عن نفسه (٢) :

- إنه اضطر إلى اللجوء للسينما المباشرة التى تقوم على الخطابة أحياناً لأن وعى الجمهور السينمائى فى تلك الفترة لم يكن قد تطور بعد ليتذوق العمل الفنى ويستشف الهدف من ورائه بطريق غير مباشر!.

أما الدور الذى كان يعتز به كممثل فقى فيلمين هما: (خالد بن الوليد) و(المصرى أفندى).. والفيلم الذى يعتز به كمخرج كان (خالد بن الوليد) وكمنتج أيضاً!.

وقد أشاع أحد الصحفيين الفنيين [٣] أن «حسين صدقى» طلب قبل وفاته من أسرته حرق جميع أفلامه باستثناء (خالد بن الوليد)، وأن أسرته قد نفذت الوصية على الأقل فيما كان تحت يدها!! وبالطبع هـذا الكلام يتناقض مع حديثه السابق الذى أدلى به قبيل وفاته مباشرة!.

***

والعجيب أن فيلم (خالد بن الوليد) بالذات لم يكن يراه جمهور المنازل من خلال محطات التليفزيون المختلفة مثل بقية أفلام «حسين صدقى» الأخرى.. حتى قيل إنه قد اختفى أو فقد أو تلف، ولم يعد له وجود سوى اسمه المدون فى قوائم السينما المصرية.. إلا أنه فى أواخر عام ١٩٩٤ قام أحد الموزعين بشراء مجموعة من الأفلام المصرية القديمة لحساب إحدى المحطات العربية، واكتشف بالصدفة أن بينها فيلم (خالد بن الوليد) ولكنه -ومع بعض الأفلام الأخرى- غير صالح فنياً للعرض السينمائى.. فقد كانت نسخة فيلم (خالد بن الوليد) بالذات بها تلفيات كثيرة بسبب سوء التخزين.. فقرر أن يعيد إصلاح نسخة الفيلم، وتقديمها للجمهور..

٧- (الله أكبر)

أراد الموزع السينمائى نجيب نصر الخوض فى تجربة الانتاج السينمائى بعدما علم من خلال اتصالاته كموزع مدى تحقيق الفيلم الدينى الإسلامى من نجاح فى الدول العربية والإسلامية وفى كثير من بلدان العالم وتحقيق الربح الوفير..

حتى أن بعض الأفلام التى أنتجت من سنوات (الأفلام الخمسة الأولى) كانت ولاتزال -وحتى انتاج الفيلم السادس (خالد بن الوليد)- تطلب بإلحاح!.

اتفق نجيب نصر مع المؤلف «فؤاد الطوخى» على إعداد قصة إسلامية تصلح لعمل فيلم سينمائى يخوض بها تجربته كمنتج فى هذا اللون.. وخاصة أن فؤاد الطوخى سبق له وأن قدم -كمؤلف- للسينما الدينية التاريخية فيلمى (بلال مؤذن الرسول) ١٩٥٣، و(بيت الله الحرام) ١٩٥٧ كمؤلف للقصة والحوار معاً.. ونفس الشيء فعله أيضا فؤاد الطوخى فى هذا الفيلم (الله أكبر) ١٩٥٩.. حيث وضع للمنتج الموزع نجيب نصر قصة الفيلم التى قرأها وانفعل بها.. فأسند على الفور كتابة السيناريو للكاتب الكبير «نجيب محفوظ».. ثم عاد وأسند كتابة الحوار لفؤاد الطوخى نظراً لسبق خبرته فى مجال الفيلم الدينى..

ونجيب محفوظ حتى كتابة سيناريو (الله أكبر) كان قد برز فى عمله كسيناريست.. حيث قدم للسينما المصرية مجموعة من الأفلام الناجحة أمثال: (المنتقم) و(مغامرات عنتر وعبلة) و(لك يوم يا ظالم) و(ريا وسكينة) و(الوحش) و(الفتوة) وغيرها.. حتى أنه فى العام الذى كتب فيه سيناريو (الله أكبر) -عام ١٩٥٨- كان قد انتهى من كتابة فيلمين قبله هما: (مجرم فى إجازة) عن قصة كامل التلمسانى، و(الطريق المسدود) عن قصة إحسان عبد القدوس.. وهذا دليل واضح على مدى نشاط نجيب محفوظ فى تلك الفترة فى عمله ككاتب سيناريو

لقصص مؤلفين آخرين.. وهو يقول عن تلك المرحلة (٤): ظللت مدة طويلة أشتغل بكتابة السيناريو إذ لم تطلب منى قصة للسينما قبل عام ١٩٥٧.. وكان للسيناريو فضل كبير علىّ كأديب.. فقد عصمنى من العسر المادى الذى كنت أعانيه، وكان الأدب وقتها رخيص السعر يباع بقروش.. فأسعفتنى السينما بفلوسها.. ولولا ذلك لكانت حياتى من الصعب تصورها.. السينما مكنتنى من أن أقدم لها المطلوب لأتفرغ للأدب الذى أريده!.

***

الفيلم الأول والأخير لمخرجه الجديد!

اتفق المنتج الموزع نجيب نصر مع المخرج حسام الدين مصطفى على إخراج الفيلم.. وحسام الدين مصطفى السيد مصطفى -وهذا اسمه بالكامل- من مواليد مدينة بورسعيد، وتخرج فى مدرسة بورسعيد الثانوية، سافر إلى أمريكا حيث درس الإخراج السينمائى فى لوس أنجيلوس، وبعد تخرجه عمل لفترة كمساعد لعدد من المخرجين أهمهم «سيسيل دى ميل» الذى عمل معه فى الخارج وفى مصر حينما أخرج فيلمه الشهير (الوصايا العشر).. بدأ مشواره مع السينما المصرية عام ١٩٥٦ حينما قدم أول أفلامه (كفاية يا عين).. واستمر مشواره السينمائى حتى بلغ مائة فيلم مصرى طويل!..

وفى نفس عام إعداد وتصوير فيلم (الله أكبر) ١٩٥٨ كان يعرض لحسام الدين مصطفى فى هذا الموسم فيلمين هما (إسماعيل يس للبيع) بطولة: إسماعيل يس وفيروز، و(هل أقتل زوجى) بطولة: سميرة أحمد ومحسن سرحان.. وأثناء الإعداد للفيلم حدث أن اختلف حسام الدين مصطفى مع نجيب نصر حول ميزانية الفيلم.. فقد كانت خبرة حسام مع الأفلام التاريخية أيام عمله كمساعد مخرج قد أعطته دفعة حماسية لعمل فيلم دينى كبير.. ولكنه اصطدم بميزانية المنتج الضئيلة والتى لم تتجاوز ٢٥ ألف جنيه فقط!. وحين احتدم الخلاف

اعتذر حسام الدين مصطفى عن إخراج الفيلم بعد حجز الاستوديو وإقامة الديكورات وتحديد موعد التصوير!. فأقسم المنتج أن يواصل مشواره فى إنتاج الفيلم الذى كان قد تعاقد على توزيعه فى أكثر من بلد عربى وإسلامى مرشحاً له أى مخرج أياً كان!!

وكان نتيجة لهذا الخلاف أن قرر المنتج إسناد إخراج الفيلم إلى المساعد الأول للمخرج حسام الدين مصطفى فى هذا الفيلم والمشارك فى الكثير من عمليات الإعداد له.. وهو «إبراهيم السيد» لخوض تجربة الإخراج الأولى له!!

***

و«إبراهيم السيد» كان من السينمائيين الشبان الذين أحبوا السينما واشتغلوا بها فى نهاية فترة الاربعينيات وبداية فترة الخمسينيات.. وبدأ عاملاً للكلاكيت ثم تدرج إلى مساعد ثان ثم مساعد أول إلى أن حصل على فرصته فى هذا الفيلم.. فقد عمل مساعداً للعديد من المخرجين المصريين من بينهم: فطين عبد الوهاب وكمال عطية وحسن رمزى وحسين حلمى المهندس والسيد زيادة.. و«إبراهيم السيد» لم يكن مساعد مخرج عادي.. فقد كان حماسه وحبه للعمل وثقافته المتنوعة تجعل كثيراً من المخرجين يشركونه فى فترة الإعداد الأولى للفيلم.. فيشارك أحياناً فى كتابة السيناريو أو فى تعديله.. وكذا بالمشاركة فى كثير من أعمال المخرج لثقتهم فيه..

بينما تفرغ حسام الدين مصطفى بعدها لإخراج فيلمين من نوع الميلودراما هما: (بفكر فى اللى ناسينى) تمثيل: هند رستم وشكرى سرحان، و(أنا بريئة) تمثيل: أحمد مظهر وإيمان.. واللذين عرضا فى نفس موسم عرض فيلم (الله أكبر) عام ١٩٥٩.. وطرح فكرة إخراج فيلم دينى إسلامى جانباً.. حتى واتته الفرصة بعدها بثلاثة عشر عاماً حين أخرج فيلمه الشهير (الشيماء)!!

***

أما «إبراهيم السيد» فلم يواصل مشواره كمخرج بعد هذا الفيلم الوحيد الذى أخرجه.. والغريب أنه عاد للعمل كمساعد مخرج أول فى بعض الأفلام حتى افتتح التليفزيون العربى عام ١٩٦٠.. فالتحق به وعمل فيه كمخرج تليفزيونى!.

***

قصة نجمين من على خشبة المسرح!

بدأ «إبراهيم السيد» تصوير المشاهد الخارجية من الفيلم فى صحراء الهرم.. بينما كانت مشاهده الداخلية فى ستوديو الأهرام بالجيزة.. واستغرق تصويره شهرين.. وقد رشح لبطولة الفيلم أسماء شابة ضغطاً لتكاليف الإنتاج.. فى مقدمتهم: زهرة العلى فى دور (هند)، والوجه الجديد محمد الدفراوى فى دور (الأمير نعمان).. كما اشترك فى الفيلم: عبد الوارث عسر (عمرو) وعبد العزيز خليل (الحاكم) وحسن حامد (صحو)، وسيد الريس (ياسر) وكوثر رمزى (جوهرة) وعواطف رمضان (السجينة) ونعمات سامى (سلمى) وعبد العزيز سعيد (العبد).. كما شارك المطرب شفيق جلال بالغناء، ونعمت مختار بالرقص..

و«زهرة العلى بكير» كان قد بدأ اسمها يبرز فى تلك الفترة فى العديد من الأعمال السينمائية.. وهى من الرعيل الأول من خريجات المعهد العالى للفنون المسرحية، وتلميذة للمخرج المعروف زكى طليمات.. اقتحمت السينما مبكراً وهى مازالت طالبة فى فيلم (خدعنى أبى) عام ١٩٥١ للمخرج محمود ذو الفقار.. ثم توالت أعمالها فى أدوار البطولة المطلقة أو المشاركة مثل: (حضرة المحترم) و(جحيم الغيرة) و(عائشة) و(انتصار الحب) و(بنت الجيران) و(آثار فى الرمال) و(الملاك الظالم) و(ارحم دموعى) و(رد قلبى)، وغيرها من الأفلام حتى فيلم (الله أكبر) واستمر مشوارها بعد ذلك حتى لعبت أدوار الأم على الشاشة..

وفى نفس عام تصوير فيلم (الله أكبر) كانت زهرة العلى تضطلع ببطولة ثلاثة أفلام أخرى هى: (بحبوح أفندى) و(إسماعيل يس بوليس حربى) و(أبو عيون جريئة) وكلها أمام نجم الكوميديا إسماعيل ياسين!!

***

أما «محمد الدفراوى» فقد كان دور (الأمير نعمان) أول أدواره فى السينما فى دور البطولة.. وكان المخرج حسام الدين مصطفى والمخرج إبراهيم السيد والمنتج الموزع نجيب نصر قد رأوه يعتلى خشبة المسرح القومى متمكناً من دوره فى مسرحية (سلطان الظلام) إخراج فتوح نشاطى.. فتعاقدوا معه على الفور للدور بأجر قدره خمسمائة جنيه!.

والدفراوى من مواليد ٢٩ مايو عام ١٩٣١ تخرج فى المعهد العالى للفنون المسرحية عام ١٩٥٥.. وقدم خلال مشواره الفنى مائة مسرحية، كما عمل فى الإذاعة طويلاً، وكذلك فى التليفزيون منذ بث إرساله.. أما فى السينما فقد تعثر مشواره مع أدوار البطولة التى بدأ بها.. ولكنه استمر بالعمل فى أدوار أخرى عديدة..

***

أدار تصوير الفيلم «حسن داهش».. وقام بعمل المونتاج «فكرى رستم» تحت إشراف المونتير الكبير «كمال أبو العلا».. ونظراً لضعف الإنتاج فى فيلم دينى كهذا يعد تاريخياً أيضاً فقد بذل مهندس المناظر «عبد المنعم شكرى» جهداً كبيراً بمساعدة «نجيب خورى» منسق المناظر فى محاولة استغلال ما هو متاح من امكانات لإظهار الفيلم فى صورة مقبولة.. ساعدهم على ذلك سيناريو «نجيب محفوظ» الذى كانت أغلب مشاهده فى الصحراء وفى الخيام!!

قام بعمل المكياج «سيد فرج».. وساعد المخرج الجديد كل من «أحمد عيسى

ومحمد مفتاح».. وقد تضمن الفيلم رقصة مثيرة أقحمت فى بداية الأحداث لإثبات مجون، واستهتار الوثنيين أدتها «نعمت مختار» على موسيقى «حسين جنيد» الذى قدم أيضاً أغنيتين من تلحينه.. الأولى عبارة عن نشيد يحمل اسم الفيلم (الله أكبر) يقول:

الله أكبر الله أكبر　　صلى وسلم بارك وكبر
على محمد على محمد

يامنصف المظلوم من ظلامه　　يامنقذ المحكوم من حكامه
ساويت بين الناس لا عبد　　ولا سيد ولا عهد طغى بظلامه
ولكنا برضاك نسير نحو هداك

الله أكبر الله أكبر　　صلى وسلم بارك وكبر
على محمد على محمد

الله أكبر يارسول الله　　الله أكبر ياحبيب الله
يا خاتماً للمرسلين.. وناشرا　　نور الهداية يا ابن عبدالله
ياكاسر الأصنام　　يا ناصر الإسلام

الله أكبر الله أكبر　　صلى وسلم بارك وكبر
على محمد على محمد

* * *

أما الثانية فتحمل عنوان (هيا رجال البيد) وتقول كلماتها:

هيا رجال البيد هيا هى　　هيا بنا نطوى البوادى طى
هيا بنا نسعى إلى أحبابنا　　ومن الديار نسير نحو ديارنا

فالشوق تعصف ناره بقلوبنا　　والروح قد حنت لأهل الدار
هيا رجال البيد هيا هى　　هيا بنا نطوى البوادى طى
هيا رجال البيد هيا هى

الزاد والزواد قل كثيرة　　وطريقنا كالصبر طال مداه
والماء فى الصحراء ضل غديره　　والقيظ أحرقنا بحر لظاه
هيا رجال البيد هيا هى　　هيا بنا نطوى البوادى طى
هيا رجال البيد هيا هى

* * *

الرقابة تعترض على عنوان الفيلم!!

قبل تصوير فيلم (الله أكبر) بشهرين كاملين.. قام المنتج نجيب نصر والمخرج ابراهيم السيد بالاتفاق مع مدرب نادى الفروسية لتدريب النجم الجديد محمد الدفراوى على ركوب الخيل.. وكذلك مدرب من نادى السلاح المصرى (الشيش) لتدريبه على المبارزة.. وقد كانت فرصة للنجم المسرحى الشاب لأن يخوض تجربة الحركة فى هذا الفيلم، للأسف لم يستفد منها فى فيلم آخر.. حيث لم تعرض عليه أفلام تاريخية أو دينية أخرى!!

* * *

وتدور أحداث الفيلم حول قصة حب تنشأ بين الأمير نعمان (محمد الدفراوى) ابن أحد شيوخ قبيلة بنى عامر الوثنى، وبين هند (زهرة العلى) الوثنية ابنة عمرو بن سعيد (عبدالوارث عسر) أحد التجار فى نفس القبيلة، والذى آمن بالإسلام حديثا.. وحين يتقدم نعمان ليخطب هند يرفض أبوها تزويجها له بسبب وثنيته، ويصارح ابنته بحقيقة الدين الجديد فتعلن هند إسلامها.. وفى

نفس الوقت يتعرض المسلمون فى هذه القبيلة للتعذيب بسبب إسلامهم من قبل الحاكم (عبدالعزيز خليل) وهو نفسه والد نعمان.. ولكنهم يصمدون ويرفضون العودة الى الجاهلية.. فيتدخل نعمان لدى والده بالكف عنهم.. فيسمح الحاكم لهم بالهجرة من القبيلة.. فيهاجر التاجر مع زوجته وابنته.. ونلاحظ أن نعمان بن الحاكم ضمن المهاجرين بعد أن آمن بالدين الجديد، وفر بدينه معهم من البطش والتعذيب والاضطهاد..

* * *

انتهى تصوير الفيلم فى خريف عام ١٩٥٨.. وقام المخرج بعمل مونتاجه.. وأصبحت نسخته جاهزة للعرض ومدتها ٧٥ دقيقة فقط.. وحين تقدم منتجه الى الرقابة على المصنفات الفنية، فوجىء برفض الرقابة إعطاء التصريح بعرض الفيلم!!

وجاء فى أسباب الرفض التى دونها الرقباء أن الفيلم ضعيف،ويتسم بالسذاجة فى بعض مشاهده.. كما أن به رقصة مثيرة أقحمت فى بداية الفيلم بدون داع.. وأيضا كان التناول بعيداً عن إبراز دور الدعوة الحقيقى بالنسبة له كفيلم دينى!!

كما اعترضت الرقابة بشدة على عنوان الفيلم (الله أكبر) والذى يحمل نداء قدسياً لا يتفق وأحداث ومسار القصة السينمائية!!

وهكذا كان رأى الرقابة فنيا أكثر منه قانونيا.. ويحمل وجهات نظر أكثر مما يحمل من تطبيقات للوائح تهدف ـ فيما تدعى ـ لحماية المجتمع!!

وأسقط قرار الرقابة فى أيدي الجميع.. وحاول صانعو الفيلم الشكوى من تعنت الرقباء حيال الفيلم دون جدوى.. وتقدم المنتج مرة أخرى بتقرير مفصل عن الفيلم.. جاء فيه:

(ـ إنه انتاج متميز يصور فيه مجد الإسلام وعزته.. وإنه قد حشد له مجموعة

من أكفأ الفنانين وأقدر الفنيين الذين عرفوا بحرصهم على أداء واجبهم الفنى.. وقد ساهموا بجهودهم فى الارتقاء بالفيلم المصرى.. ويشترك فى بطولة الفيلم زهرة العلى وعبدالوارث عسر وعبدالعزيز خليل مع مجموعة من الوجوه الجديدة يتقدمهم محمد الدفراوى ممثل المسرح المعروف، عدا عشرات من الممثلين والممثلات، كما أن كاتب السيناريو ـ نجيب محفوظ ـ وكاتب القصة والحوار ـ فؤاد الطوخى ـ من خيرة أدباء البلد.. ومع ذلك لم يشفع له كل هذا عند الرقابة التى أصرت على المنع!)

* * *

اللجنة العليا تترك الحكم للجمهور!!

وحين تفاقمت مشكلة الفيلم مع الرقابة اقترح مدير مصلحة الفنون ـ الأديب الكبير يحيى حقى ـ على المنتج استخدام حقه القانونى بالتظلم من قرار الرقابة أمام لجنة التظلمات العليا..

وكان القانون رقم ٤٣٠ لعام ١٩٥٥ قد حدد فى المادة (١٢) منه أنه يجوز لصاحب المصنف الفنى التظلم من القرارات التى تصدرها السلطة القائمة على الرقابة.. وذلك حتى لاتكون قراراتها مستبدة.. وقد حددت المادة طريقة تشكيل اللجنة من:

١ ـ مدير عام مصلحة الاستعلامات أو من ينوبه لذلك (رئيسا).

٢ ـ مندوب من مجلس الدولة يندبه رئيس إدارة الفتوى والتشريع المختصة.

٣ ـ رئيس نقابة السينمائيين أو من يختاره مجلس النقابة.

ثم حددت المادة التى تليها رقم (١٣) كيفية التظلم.. وظل الحال كذلك حتى أنشئت وزارة الثقافة فى نهاية عام ١٩٥٨ فأصبح وكيل الوزارة المختص بالرقابة رئيسا بدلاً من مدير مصلحة الاستعلامات.

***

وعرض فيلم (الله أكبر) على لجنة التظلمات العليا فى اكتوبر عام ١٩٥٨ ـ وكانت المفاجأة أن أبدى جميع أعضائها اعجابهم بالفيلم.. وقالوا أنها محاولة جادة من صانعيه لإبراز الدعوة الإسلامية فى أول عهدها.. وما تعرض له المؤمنون من اضطهاد وتعنت.. ولهذا يجوز عرض الفيلم كاملاً بدون حذف أى مشهد منه.. كما قدرت جهود منتجه فأبقت اسمه كما هو بلا تغيير أو تبديل..

وهكذا قررت لجنة التظلمات الإفراج عن فيلم (الله أكبر) ليعرض فى الداخل مع إجازة تصديره للخارج.. وقالت فى نهاية تقريرها: أن الجمهور هو الذى يصدر الحكم على الفيلم من الناحية الفنية (٥)!

* * *

وعرض فيلم (الله أكبر) يوم الاثنين ٢٣ مارس عام ١٩٥٩ بدار سينما (ريتس) بالقاهرة.. كما عرض فى نفس اليوم بعدة دور عرض فى محافظات مصر المختلفة.. وظل الفيلم فى دور العرض لمدة أربعة أسابيع فقط محققاً بعض النجاح والقبول.. وعرض فى نفس الوقت أيضا فى سوريا مع بدايات عهد الوحدة.. بعدها عرض فى بعض الدول العربية والإسلامية الأخرى..

وبعد مرور أكثر من ٣٠ عاماً على إنتاج الفيلم.. ومع افتتاح المحطات التليفزيونية العربية العديدة أصبح الفيلم مادة أساسية فى برامجها.. خاصة فى المناسبات الدينية والروحية!

٨- (شهيدة الحب الإلهى)

منذ بدأت مسيرة السينما الدينية التاريخية فى مصر مع بداية الخمسينيات وفكرة عمل فيلم دينى عن شخصية (رابعة العدوية) تراود معظم السينمائيين الذين انشغلوا بالخوض فى هذا الاتجاه.. والطريف أن أول من فكر فى انتاج فيلم عن (رابعة) كان الفنان محمود المليجى حيث نشرت الصحف(٦) فى عام ١٩٥٣ خبراً فى بضعة سطور تحت عنوان (حدث هذا الاسبوع) جاء ما نصه: (يبدأ إخراج فيلم «رابعة العدوية» فى أوائل مايو القادم وهو من انتاج الأستاذ محمود المليجى، وقد اتفق الأستاذ المليجى مع الأستاذ أحمد كامل مرسى على انتاج فيلمه الثانى).. ولم يوضح لنا الخبر من التى كانت مرشحة للقيام بدور الصوفية الكبيرة.. بل لم توضح لنا الصحف بعد ذلك ماهو مصير هذا المشروع الذى لم ينفذ بالطبع؟ أو لماذا توقف الحديث عنه بعد نشر هذا الخبر؟!

وتمر الأيام والسنون.. ويتردد مشروع فيلم عن (رابعة العدوية) فى مناسبات متفرقة ومتباعدة حتى طويت سيرته مع ما استجد من أحداث ومن مشروعات.. إلى أن بدأ الموزعون فى الدول العربية يثيرون الموضوع مرة أخرى مع بعض المنتجين المصريين حيث وجدوا فيه مادة رابحة خاصة أن البطولة فيه نسائية يسمح بتناولها وعرضها على شاشة السينما دون أية اعتراضات دينية أو رقابية!!

وفى خريف عام ١٩٦١ بدأت الحركة تدب فى اعداد أكثر من مشروع عن (رابعة العدوية)!! وبدا واضحاً أن الموزعين العرب قد أثاروا رغبة المنتجين المصريين ولهفتهم لانجاز فيلم (رابعة) بحجة أنه أصبح مطلوباً ومضموناً تسويقياً

فى كافة الدول العربية والإسلامية، وبالتحديد بعد موافقة رجال الأزهر الشريف المبدئية على إمكانية تقديم سيرة هذه الصوفية المهاجرة إلى الله على الشاشة دون غضاضة أو حتى رقابة!

* * *

التفسير الوجودى لحياة (رابعة العدوية)!!

كان الكاتب والمؤرخ الإسلامى ابراهيم الابيارى قد أعد قصة عن (رابعة العدوية) بالاتفاق والاشتراك مع المخرج عباس كامل.. وذلك لحساب المنتج أحمد محمد شعبان.. وفى نفس الوقت كانت المؤلفة سنية قراعة تفكر فى تحويل قصتها (عروس الزهد) إلى سيناريو وحوار بالاتفاق مع المخرج نيازى مصطفى والشاعر عبدالفتاح مصطفى لحساب المنتج حلمى رفلة!!

ولكن كان العمل فى القصة الأولى أسبق من العمل فى القصة الثانية.. فقد كان ابراهيم الابيارى وعباس كامل قد وقعا بالفعل على تأليف وإخراج فيلم (رابعة العدوية) مع المنتج أحمد محمد شعبان صاحب شركة أفلام الخليج العربى.. ولسرعة انتاج الفيلم دخل معه المنتج صبحى فرحات صاحب شركة المتحدة للسينما حتى تتوافر للفيلم الميزانية المطلوبة، والتى تجاوزت الثلاثين ألفا من الجنيهات..

وبدأ المخرج عباس كامل العمل بجدية وإصرار على تنفيذ فيلمه أولاً.. خاصة حينما علم باتجاه نية نيازى مصطفى بعمل فيلم عن نفس الموضوع، وحتى لا يقع لبس بين الفيلمين أطلق على فيلمه اسم (شهيدة الحب الإلهى).

كتب عباس كامل السيناريو والحوار وقد عاونه فى الحوار أيضاً ابراهيم الأبيارى..

وعباس كامل مؤلف ومخرج سينمائى من الرعيل الأول حيث عمل مساعداً

للاخراج منذ فيلم (ليلى) عام ١٩٢٧.. وهو من مواليد عام ١٩١١ وتوفى عام ١٩٨٥.. وهو الشقيق الثالث للمخرجين المعروفين أحمد جلال وحسين فوزى.. بدأ حياته موظفاً بوزارة الداخلية.. ثم اتجه للعمل فى الصحافة.. ثم تطرق لكتابة القصة السينمائية والسيناريو والحوار الى أن اتجه للاخراج السينمائى.. والطريف أن أول عمل قدمه كمؤلف سينمائى كان (طاقية الاخفاء) للمخرج نيازى مصطفى عام ١٩٤٤ وهو نفس المخرج الذى نافسه بعد ذلك بسنوات طويلة فى إخراج فيلم عن (رابعة العدوية).. امتازت أعمال عباس كامل التى تجاوزت الأربعين فيلماً ما بين التأليف والإخراج بالتطرق للموضوعات الاجتماعية الشعبية كان معظمها أقرب إلى الفكاهة.. من أشهرها (بنت المعلم) ١٩٤٧، و(فيروز هانم) و(شباك حبيبى) ١٩٥١، و(مجلس الادارة) ١٩٥٣، و(عروسة المولد) ١٩٥٥، و(أنا الدكتور) ١٩٦٨، وآخر أفلامه (كان وكان وكان) ١٩٧٧..

وقد راجع عباس كامل مع ابراهيم الأبيارى معظم المؤلفات المترجمة والموضوعة عن رابعة العدوية، وكان كل همه البحث عن جوانب درامية فى حياة الصوفية الكبيرة خاصة فيما يخص الفترة الأولى من حياتها وقبل مرحلة التصوف والهجرة إلى الله.. وقد استند عباس كامل فى فيلمه (شهيدة الحب الإلهى)١٩٦٢، وحتى نيازى مصطفى فى فيلمه الآخر (رابعة العدوية) ١٩٦٣ إلى بعض ما أورده الدكتور «عبدالرحمن بدوى» فى كتابه الشهير (رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهى) نقلاً عن «فريد الدين العطار» فى كتابه (تذكرة الأولياء) انها اتخذت لفترة قصيرة من حياتها مهنة العزف على الناى للارتزاق.. وسرعان ما تركتها لعمل آخر..

والدكتور «عبدالرحمن بدوى» كان يقدم تفسيراً وجودياً فى تناوله لحياة هذه السيدة العظيمة العابدة التقية.. فأفاض فى وصف طريقة خطفها وهى صغيرة.. وبيعها لتجار الرقيق، وهروبها منهم ومن سادة البصرة.. فراحت تكتسب قوتها بين الغناء والرقص فى حانات البصرة وغرقت فى اللذات!!

وكلها اجتهادات رد عليها بعنف كثير من الباحثين الذين تناولوا هذه الشخصية الفريدة بعد ذلك.. ولكن السينما وجدت ضالتها فى تلك الروايات التى تناقلت بكثير من الخلط والغلط وعدم الدقة عن تلك العابدة الزاهدة!

* * *

حكاية رسام.. ونقيبة للممثلين!!

ورابعة العدوية اسمها الحقيقى «أم الخير بنت إسماعيل» وسميت رابعة لأنها كانت الرابعة فى العدد بين أخواتها.. ولدت فى البصرة عام ٧١٧ م ـ ٩٩ هـ وتوفيت بها عام ٨٠١ م ـ ١٨٥ هـ عن عمر يناهز ٨٤ عاماً.. وهى زاهدة، عابدة، محبة لله.. أعلنت أن مبعث حبها لله سبحانه وتعالى ليس الطمع فى جنته، أو الخوف من ناره!

ولأول مرة تبين نوعى الحب الالهى: حب تشتغل فيه بذكرها لله، وتنشغل به عما سواه، وتسميه حب الهوى.. وحب تنكشف فيه الحجب ويتجلى جمال المحبوب الحقيقى، وتعبر عنه بأنه الحب الذى (الله) هو أهل له..

عاصرت رابعة زهاداً وعباداً كثيرين قصدوا إليها، وانتفعوا بمواعظها.. شغفها حب الله، حتى كانت لا تصدر ـ فيما تأتى وما تدع ـ الا عنه، فأرست بذلك قواعد الحب المرتبط بالكشف الإلهى.. ووضعت السبيل لمن تلاها من صوفية أمثال الحلاج وابن الفارض وغيرها..

* * *

أما السيناريو الذى وضعه المخرج عباس كامل للفيلم فكان يدور حول رابعة التى ولدت من أبوين فقيرين، وعانت فى طفولتها ألوانا من الشقاء، ثم فقدت أبويها وأسرتها، وظلت بغير عائل حتى اختطفها أحد تجار الرقيق وأخذ يرعاها.. وعندما اكتمل نموها، وبرزت محاسنها، باعها الى صاحب حانة يدعى «عمار»

وعبثاً حاول إرغامها على التبذل لإرضاء رواد الحانة، وإن كانت تستجيب بعض الوقت مرغمة، ورآها الأمير «ربيع بن زياد» أمير البصرة، فأنقذها من الحانة بعد أن أحبها، ولما عرض عليها الزواج أبت.. إذ أنها كانت قد نذرت نفسها للعبادة والتصوف.. وذلك بعد أن صادفت الناسك «رباح» وأرشدها إلى متعة الحب الإلهى والصفاء له.. واشتهر اسمها بين الناس، وكرست نفسها لنشر المحبة بين مريدها، وحثهم على التسامح والتسامى عن الدنيويات والشهوات.. وظلت تؤدى رسالتها حتى قضت نحبها..

وقد رشح المخرج عباس كامل الممثلة اللبنانية «عايدة هلال» لبطولة الفيلم فى دور (رابعة العدوية) حيث كان يرى فيها وجهاً غير مألوف وغير شائع بين ممثلاتنا.. كما اختار كلا من رشدي أباظة فى دور (ربيع بن زياد) وحسين رياض فى دور (إسماعيل والد رابعة)، ومثل فى الفيلم: توفيق الدقن ومحمد الطوخى وكريمان وهدى شمس الدين ونظيم شعراوى ونجوى فؤاد والرسام صلاح جاهين فى أول أدواره على الشاشة!

و«عايدة هلال» كانت ممثلة أكثر المسرحيات اللبنانية التى عرضت فى الخمسينيات فى بيروت، حضرت إلى القاهرة عام ١٩٥٥ لتشارك فى بطولة فيلم (عرايس فى المزاد) للمخرج حسن الصيفى، ثم انطلقت للعمل فى الاذاعة وفى عدة أفلام مصرية قليلة كان آخرها (لو كنت رجلاً) ١٩٦٤ إخراج أحمد ضياء الدين.. بعدها عاودها الحنين الى موطنها الأصلى (لبنان)، وأسست شركة سينمائية باسمها وانتخبت نقيبة للممثلين اللبنانيين!

أما الفنان «صلاح جاهين» فهو الرسام والزجال الكبير.. فقد اختاره عباس كامل لدور (صاحب الحانة) منذ رآه فى تجربة صغيرة سابقة فى التمثيل حيث شعر خلالها بأنه ممثل موهوب بالفطرة.. وقد أثبت جاهين مقدرته فى هذا الدور مما جعل النقاد يشيدون به فرشح للتمثيل فى عدة أعمال أخرى!

* * *

بدأ تصوير الفيلم فى منتصف اكتوبر عام ١٩٦١ بالمشاهد الخارجية، وكانت فى دهشور وصحراء أبو رواش بالهرم، ثم بمشاهده الداخلية فى منتصف نوفمبر من نفس العام فى ستوديو نحاس.. وقد أدار تصوير الفيلم بالأبيض والأسود كمال كريم، وديكور ومناظر حبيب خوري..

وقد غنت «سعاد محمد» أغنيات الفيلم الست بصوتها فقط، وبأداء تمثيلى لعايدة هلال.. من كلمات: عبدالفتاح مصطفى، وألحان: رياض السنباطى وأحمد صدقى.. وهى:

(فى الراح) ويقول مطلعها:

فى الراح يارفاجة هنا فى الراح
كان لى حبيب.. وحبيبى منى راح

و(الصومعة) ويقول مطلعها:

ياحبيب القلب مالى سواك
فارحم اليوم تائها قد أتاك

و(السجن) ويقول مطلعها:

ما ألذ الدمعَ ما أحلى الجراح
أتدرى السوط تعيمى ما استراح

و(القصر) ويقول مطلعها:

على سجفه لاغنى غنيه — يصح لها حمام البنية
يسمعنى ويقول جنّيه — بشامر عشاق الحى

و(الحانة) ويقول مطلعها:

أهلاً بالسمار — فى حانة عمار

ابتهجوا ابتهجوا — يبتهج الخمار
هذه دار مجنون — صاحبها مجنون
بالخمرة معجون — باللذة أمار.

وأخيراً (المركب) ويقول مطلعها:

كأس وخمرى — والنديم ثلاثة
وأنا المشوقة — فى المحبة رابعة

* * *

الصراع على عنوان الفيلم!!

عرض فيلم (شهيدة الحب الإلهى) أول فيلمين تناولا سيرة الزاهدة المتصوفة «رابعة العدوية» فى عرضه الأول فى القاهرة فى شهر رمضان المبارك عام ١٣٨٢ هـ عام ١٩٦٢ م بدار سينما ديانا.. وقد حقق الفيلم نجاحاً كبيراً واستمر لمدة شهرين متواصلين.. ولم ينته عرضه من دار السينما إلا بعرض فيلم عبدالحليم حافظ الشهير (الخطايا) بنفس الدار يوم ١٢ ابريل من نفس العام..

ورغم نجاح الفيلم المصور بالأبيض والأسود إلا أن إثارة مشروع إنتاج الفيلم الآخر عن حياة نفس الشخصية (رابعة العدوية) قد أثار حفيظة البعض ضد هذا الفيلم (شهيدة الحب الإلهى)، وكذا الفيلم المزمع انتاجه والذى أخذ عنوان (رابعة العدوية).. خاصة حين أثيرت مشكلة (العنوان) بين الفيلمين.. حيث تنازع الفيلمان على اسم (رابعة العدوية) حتى تم اتفاق ودى بين الشركتين المنتجتين (أفلام الخليج العربى، وأفلام حلمى رفلة) على أن يكون الفيلم الأول بعنوان (شهيدة الحب الإلهى) والثانى بعنوان (رابعة العدوية).. وقد استقر اسم الفيلم الأول فى البداية على (شهيدة «العشق» الإلهى) كما كانت تورد هذه الصفة فى بعض الكتب والمراجع التى تناولت سيرتها.. ولكن اقترح أحد شيوخ الأزهر

الشريف الذين حضروا العرض الخاص للفيلم أن يكون اسمه (شهيدة «الحب» الإلهى) تأدباً مع ذكر صفة الألوهية.. فاستجيب له على الفور..

* * *

وكان المنتج أحمد محمد شعبان والموزع جان خورى والمخرج عباس كامل قد أقاموا عرضاً خاصاً للفيلم قبل إعداد النسخة النهائية للعرض حضره العديد من السينمائيين وأصدقاء مجموعة الفيلم كان بينهم أحد المشايخ الأزهريين والمنتج صبحى فرحات (شريك بنسبة فى الفيلم) واقبال نصار زوجة الموسيقار محمد عبدالوهاب وبناته واعتماد خورشيد صاحبة معامل التحميض والطبع وزوجها المصور الشهير أحمد خورشيد وآخرون.. وقد أشادوا بالفيلم، وبأداء عايدة هلال لدور رابعة العدوية.. وعلق أحد المنتجين على سلوكيات عباس كامل الجديدة قائلاً:

ـ الأستاذ عباس كامل فى مرحلة «دروشة» هذه الأيام متأثرا بأحداث فيلمه الجديد.. حتى أنه أصبح يشرب (العرقسوس) ليلاً بدلاً من المشروبات إياها!..

فانفجر الجميع بالضحك.. حينئذ صدق عباس كامل على كلامه قائلا:

ـ فعلاً.. هذا الفيلم هو نقطة التحول فى حياتى الحافلة بعشرات الأفلام الكوميدية.. خلاص.. بعد كده مافيش أفلام فكاهية أبداً.. تبت على أيدى رابعة العدوية.. من هنا ورايح سأقدم إلى الجمهور أعمالا فنية ضخمة.. ستكون أفلامى كلها تاريخية تضرب أفلام هوليوود على عينها!!

وهنا نلاحظ مدى تأثير العمل الدينى على سلوكيات الفنان الخاصة!

* * *

أما قضية عمل فيلمين عن «رابعة» فى موسمين متصلين فقد شغلت الكثير من الكتّاب والنقاد.. وتساءلوا عن مدى جدوى الاصرار على عمل فيلمين عن

حياة نفس الشخصية.. حتى أن أحدهم كتب ـ بدون توقيع ـ تحت عنوان (رابعة العدوية فى أكثر من فيلم) يقول:

ـ يبدو أنه أصبح من المؤكد أن تظهر (رابعة العدوية) فى أكثر من فيلم، اذ أننا نرى شركة الشرق تستعد مع ستوديو مصر استعداداً ضخماً لانتاج هذا الفيلم على مستوى عال.. وفى نفس الوقت نرى أفلام الخليج العربى بدأت تسجل أغانى فيلم (رابعة العدوية) بألحان رياض السنباطى وبصوت سعاد محمد.. وقد لا يصدر هذا العدد إلا ويكون قد بدأ التصوير الخارجى فى الاقليم الشمالى لهذا الفيلم إخراج عباس كامل.. وكل من الطرفين يتمسك بالانتاج اذ كل منهما ارتبط بعقود على بيع الفيلم إلى الخارج..

ولكن هل من مصلحة السينما أن تنتج فيلمين لقصة واحدة وفى موسم واحد؟!

لقد حدث حادث مماثل لهذا فى هوليوود.. عندما بدأ انتاج فيلم (ملك الملوك) الذى يصور حياة السيد المسيح من توزيع مترو.. اذ أن شركة فوكس كانت تنوى انتاج فيلم عن نفس القصة.. واستعدت لها من قبل. فكان ردها على ذلك أن انسحب المسيو اسكوراس من اتحاد السينمائيين! وذلك لأن الاتحاد كان من سلطته ألا يصرح بانتاج هذا الفيلم لأية شركة أخرى مادامت شركة فوكس سبقت بالحصول على جميع التصريحات اللازمة.

ونحن عندنا هنا غرفة للسينما تمثل المنتجين، ولكنها تغض الطرف عن المسائل الحيوية التى يجب أن تتدخل فيها لصالح الانتاج السينمائى.. فمتى يأتى اليوم الذى تعرف فيه الغرفة رسالتها الحقيقية لخدمة الانتاج ولصالح المنتجين؟!

* * *

ونقف فى هذا المقال عند بعض الملاحظات الجديدة بالتأمل.. أبرزها أن

شركة الشرق للتوزيع التى أشار إليها الكاتب لم تدخل شريكة أو موزعة مع ستوديو مصر، بل كانت مع منتج الفيلم الأول (أفلام الخليج العربى «أحمد محمد شعبان») والطريف ـ والذى لم ينتبه اليه الكاتب ـ انها موزعة الفيلم الثانى أيضاً!!

وكما ذكر الكاتب بالفعل كان المخرج عباس كامل سيصور فيلمه فى الاقليم الشمالى (والمقصود به سوريا وهو الاسم الذى أطلق عليها أيام الوحدة مع مصر) ثم فوجىء الجميع بخلافات بعض قياداتها مع السياسة المصرية، فاستعيض عنها بالتصوير فى لبنان.. ثم عدل المخرج عن ذلك نهائيا، وصور فيلمه بالكامل فى مصر..

ثم هناك ملاحظتان عابرتان أولاهما: محاولة البحث عن دور لغرفة صناعة السينما.. وعن هدف.. والتساؤل عن رسالتها الحقيقية منذ وقت مبكر!! وثانيهما: تكرار اسم (هوليوود)، ومحاولة منافستها على أكثر ألسنة السينمائيين والصحفيين والنقاد فى تلك الفترة التى اتسمت بالتحدى السافر فى كل موقع!

* * *

رابعة بين (العدوية) و(البصرية)!

أما عن الفيلم ذاته (شهيدة الحب الإلهى) فقد نقده البعض.. وعلق عليه البعض الآخر.. لعل من أبرز هذه التعليقات على موضوعه ما أثاره الناقد السينمائى «عثمان العنتبلى» فى مقاله (بالأهرام) حيث قال:

ـ شخصية (رابعة العدوية) قريبة الى الأسطورة منها إلى الواقع، لأنها متصوفة سمت عن الدنايا وتطهرت من الشهوات، وانقطعت للعبادة والتأمل تمجيداً لله، بعد أن أرغمت فى مهد حياتها على ارتياد المتع والملذات!

وكتبت فى سيرة (رابعة) عدة مصنفات، بل تعددت (رابعة) ذاتها، فهناك

(رابعة العدوية و (رابعة البصرية) و(رابعة الشامية)، وكلها تتفق وتجمع على تفسير شخصيتها وتحديد معالمها النفسية، وأنها مزيج من (مريم المجدلية) الخاطئة التى تابت أيام السيد المسيح، ومن صفات الزاهدة المتصوفة التى كرهت الدنيا بما فيها من ملذات ومتع، ولاقت صنوفاً من المحن والعذاب حتى توفيت..

جاءت السينما عندنا فتناولت سيرة (رابعة) فى قصة كتبها المخرج «عباس كامل» الذى كان متعلقا باخراج اللون الفكاهى من الأفلام، وغير اتجاهه فأخرج فيلماً جديا، استمد قصته من قصص رابعة «المتعددة» ولم يهتم بظروف وأجواء كل «رابعة» على حدة، أو ما التصقت به جوانبها من تصرفات وأشخاص وحوادث، بل التقط ما اختاره وراقه من كل «رابعة» أحداثا وشخصيات، واحتفظ لشخصية «رابعة» التى ظهرت فى الفيلم ببعض صفاتها الأساسية التى أجمعت عليها الكتب المتناولة سيرة «رابعة»، منذ بدأت حياتها الانطلاقية الأولى ثم باعتناقها التصوف حتى ماتت..

وان شئنا تحديداً لبعض ماورد فى قصة الفيلم من بعض الأحداث والأشخاص، نقول ان عباس كامل جعل «رابعة العدوية» هى «رابعة البصرية» وكلتاهما مختلفتان، أما «رابعة العدوية» فجعلها الفيلم من البصرة، وانها التقت بالزاهد «رباح» الذى كان استاذها الروحى، وقد نصت بعض المصنفات على أن «رابعة العدوية» هى من عدوة بغداد، وأنها هى التى قابلت «رباح»، وأنها أحبت «رباح» حقيقة، ولكنه حولها بزهده وتصوفه الى محبة الله.. وذكرت بعض المصنفات انه مات قبل رابعة، والفيلم جعلها تموت قبل رباح.. كما جعلها الفيلم يعشقها أمير البصرة، ولم يأت فى بعض المصنفات عن رابعة العدوية أن أمير البصرة أحبها، وكذلك سار الفيلم على الخلط بين رابعة العدوية ورابعة البصرية، فى ظروفهما المادية والنفسية وأضاف مخرجه من عنده وبدل وعدل، وكنت أفضل

٩- (رابعة العدوية)

عرفت الهوى مذ عرفت هواك
وأغلقت قلبى عمن عداك
وقمت أناجيك يامن ترى
خفايا القلوب ولسنا نراك
أحبك حُبين.. حب الهوى
وحبـاً لأنـك أهـل لـذاك
فأما الذى هو حب الهوى
فشغلى بذكرك عمن سواك
وأما الذى أنت أهل له
فكشفك لى الحجب حتى أراك
فما الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

* * *

هذه الكلمات البديعة التى صاغها «طاهر أبوفاشا» عن مناجاة «رابعة» نفسها، ولحنها «رياض السنباطى»، وشدت بها «أم كلثوم» كانت أبرز ملامح فيلم (رابعة العدوية) الذى قامت ببطولته الوجه الجديد ـ حينذاك ـ نبيلة عبيد.. وأخرجه «نيازى مصطفى» فى فيلم بالألوان عرض يوم ١٠ فبراير عام ١٩٦٣.. أى بعد عرض فيلم (شهيدة الحب الإلهى) المصور بالأبيض والأسود بعشرة أشهر فقط

برغم أن الفيلمين موضوعهما واحد.. ولا يختلفان كثيرا.. إلا فى نواح فنية بحتة!!

العدوية رقم (٢)!!

اتفق المخرج نيازى مصطفى مع المنتج حلمى رفلة على أن ينفق على هذا الفيلم بسخاء وبدون تردد حتى يظهر مختلفاً عن فيلم (شهيدة الحب الإلهى).. حتى وصلت ميزانية الفيلم الى ٤٠ ألف جنيه.. وكان أبرز ماطلبه المخرج هو أن يصور الفيلم بالألوان الطبيعية، وأن يتم تحميضه وطبعه بمعامل «أجفا» بألمانيا الشرقية.. وهو ما استجاب له المنتج على الفور..

ونيازى مصطفى واحد من المخرجين الرواد فى السينما المصرية.. درس السينما فى ألمانيا.. ولكنه تأثر بالاسلوب الأمريكى فى الاخراج.. عمل عقب عودته مساعد مخرج مع يوسف وهبى فى فيلم (الدفاع) عام ١٩٣٤، كما عمل رئيسا لقسم المونتاج باستوديو مصر، وأشرف على الاعداد الأولى لجريدة مصر الناطقة عام ١٩٣٩.. بدأ مشواره السينمائى الطويل بإخراج فيلم (سلامة فى خير) لنجيب الريحانى عام ١٩٣٧.. وقام بإخراج أكثر من مائة فيلم مصرى طويل.. امتازت معظمها بالحركة وبعض الحيل السينمائية، كما اهتم بالتراث الشعبى العربى.. توفى مقتولا فى شقته يوم ١٨ اكتوبر عام ١٩٨٦ عن عمر يناهز (٧٥ عاماً)!

* * *

بدأ نيازى مصطفى تجميع كل طاقته الفنية وحشد أكبر عدد من الأسماء اللامعة للعمل فى فيلمه الجديد (رابعة العدوية) خاصة وأن الصحف قد أشارت فى أكثر من مناسبة أن هذا الفيلم يعتبر (العدوية رقم «٢»)!! فأراد أن يكون مختلفا عن الفيلم الأول فى كثير من النواحى.. وبرغم أنه كان مشغولا مع نفس

المنتج فى إعداد فيلم آخر بعنوان (أميرة العرب) بطولة المطربة وردة الجزائرية، ومشروعات لأفلام أخرى مع منتجين آخرين!! الا أنه حاول التفرغ لفيلم (رابعة) قدر استطاعته..

كان نيازى مصطفى قد اختار قصة الأديبة سنية قراعة (عروس الزهد) التى أصدرتها فى كتاب، وهى كاتبة اشتهرت بالأعمال الإسلامية الأدبية والدرامية.. فاشتركت معه فى كتابة السيناريو والحوار.. كما شارك فى الحوار أيضا الشاعر عبدالفتاح مصطفى..

أدار تصوير الفيلم «ابراهيم عادل» بمشاهد خارجية فى «أبورواش» و«دهشور» والجبل الأحمر.. بينما كانت المشاهد الداخلية باستوديو نحاس وستوديوهات ناصبيان، واستغرق التصوير ثلاثة أشهر ونصف.. وقد قام بعمل الديكورات وتصميم الملابس فنان السينما «شادى عبدالسلام» بمساعدة مصممة الملابس «ايفون ماضى».. كما قام بالمونتاج: جلال مصطفى، ووضع الموسيقى التصويرية: فؤاد الظاهرى.. وقام بمساعدة المخرج كل من: شريف حمودة والسعيد مصطفى ومحمد الهوارى..

ولأن الفيلم الأول قامت بغنائه المطربة سعاد محمد.. فقد تفاوض المخرج نيازى مصطفى مع «أم كلثوم» على استغلال كافة أغنياتها التى غنتها فى المسلسل الاذاعى المقدم عن حياة (رابعة العدوية) من تأليف سنية قراعة أيضا.. فوافقت أم كلثوم بعد تردد خوفا من عدم نجاح الفيلم.. وقدمت الأغانى الخمس التى كتبها طاهر أبوفاشا، ولحنها: رياض السنباطى ومحمد الموجى.. وهى: (على عينى بكت عينى) و(حانة الأقدار) و(عرفت الهوى) و(ياصحبة الراح) و(أوقدوا الشموس)..

ولم يبق أمام المخرج والمنتج سوى اختيار مجموعة الممثلين الذين سيضطلعون ببطولة الفيلم.. فوقع الاختيار على: فريد شوقى وعماد حمدى وحسين رياض فى الأدوار الرئيسية.. أما فى الأدوار المساعدة فتم اختيار: زوزو نبيل وسلوى

محمود وشريفة ماهر وعبدالغنى قمر وابراهيم عمارة وحسن حامد وعبدالله غيث وسامية رشدى ونظيم شعراوى وخالد العجبانى ومحمد صبيح وبدر نوفل..

ولم يتبق سوى دور (رابعة العدوية) نفسها!!

كان هناك اتجاه سائد فى السينما المصرية فى ذاك الوقت بأن الأدوار التاريخية البارزة ـ وخاصة أدوار الشخصيات الدينية ـ لابد وأن يقوم بها وجه جديد أو وجه غير مألوف على شاشة السينما.. وهو رأى متواتر سببه التأثر بما كان يكتب وينقل ـ حينذاك ـ عن طريقة اختيار المخرجين الأمريكيين والأوروبيين لبعض النجوم الجدد فى أفلامهم التاريخية، خاصة الدينية منها، وبالتحديد فيمن يلعب شخصية «السيد المسيح» على الشاشة![٧].

ورغم أن شخصية (رابعة العدوية) لم يكن لها نفس قدسية الشخصيات الدينية المحرم ظهورها على الشاشة فى الدين الإسلامى.. إلا أن الاعتقاد ساد بأن ما سمح ـ منهم ـ بالظهور على الشاشة ربما لهم نفس القدسية ماداموا ينتمون الى سيرة السلف الصالح!

ومع كل هذا فقد كانت جلسات العمل الأولى بين المخرج والمنتج قد رُشحت معظم نجمات السينما البارزين فى تلك الفترة لتلعب احداهن دور (رابعة) ولم يتم الاتفاق الفعلى مع أى منهن.. بل لقد عرض السيناريو بالفعل على «فاتن حمامة» فرفضته بحجة أنها لن تستطيع أن تلعب أدواراً دينية على الشاشة وهى غير مؤهلة نفسياً لذلك.. فضلا عن دهشتها مما جاء فى النصف الأول من الفيلم الذى يعتمد على رقصات وعربدة الشخصية فى الحانات وعلى صدور الرجال!!

بعدها طرح أكثر من اسم من بينهن: لبنى عبدالعزيز وشادية وسميرة أحمد ونادية لطفى.. إلا أنه قد تم استبعاد كل هذه الأسماء التى اعتبرت (مستهلكة) من ناحية شباك التذاكر وعدم تصديق الجمهور لأى واحدة منهن فى الدور خاصة فى

شقيه (الدنيوى) و(الصوفى).. ولعل صورة «عايدة هلال» الجديدة التى ظهرت بها فى الفيلم الأول كان ولايزال ماثلاً أمام أعينهم!

وأخيراً.. وقع الاختيار على ممثلة جديدة تماماً.. وجه غير مألوف.. لم يمثل من قبل.. ولم تعتد عليه الجماهير.. وقع الاختيار على الوجه الجديد (نبيلة)؟!

* * *

بكت نبيلة عبيد ففازت بالدور!

ونبيلة عبيد من مواليد حارة الدرمللى بحى شبرا فى ٢١ يناير عام ١٩٤٥، ومنذ صغرها وهى شغوفة بالسينما.. تحرص على مشاهدة الأفلام حتى أطلقوا عليها (مجنونة السينما)، وبعد ذلك اطلقوا عليها لقب (فرعونية الوجه) حيث كان اسمها وهى صغيرة «كليوباترا»!

اكتشفها المخرج عاطف سالم عندما شاهدها فى عرض للأزياء، وعرض عليها العمل فى السينما، وكان عمرها وقتئذ ١٥ سنة، وقدمها فى دور (صامت) فى فيلم (مفيش تفاهم) بطولة: سعاد حسنى وحسن يوسف وحسين رياض والذى عرض فى أوائل عام ١٩٦١.. ووقتها اختاروا لها اسماً سينمائيا هو «نبيله نور» لكنها كانت تفضل اسمها الحقيقى «نبيلة محمد أحمد عبيد».. بعدها قدمها عاطف سالم لنيازى مصطفى الذى ما أن رآها حتى وافق على الفور وقال: (ولكنها سترهقنا كثيراً حتى تؤدى شخصية «رابعة» كما ينبغى)!

وجند لها نيازى مصطفى كل الامكانات والخبرات الفنية لتمرينها وتدريبها.. فقد تولاها أحد أبطال الفيلم ابراهيم عمارة مع فاخر فاخر ووحيد فريد فأعطوها دروساً فى الالقاء، وبعض كتب التصوف لتدرسها.. لكى تتقن الشخصية..

وذات يوم كانت فى احدى التدريبات.. وألقت منولوجاً طويلاً فى التصوف. فبكت بكاء حقيقيا.. وكان نيازى مصطفى يراقبها عن بعد.. وحينما انتهت صرخ اعجاباً.. وقال فى حماس:

- (أعطوها الدور فوراً.. ولتبدأ التصوير)!

وتم التعاقد مع النجمة الجديدة بعقد قيمته (٤٠٠ جنيه) فقط عن بطولة هذا الفيلم!!

* * *

أم كلثوم تمنت دور (رابعة)!

وفى مقابلة مع «نبيلة عبيد» عن رحلتها مع هذا الفيلم قالت:

- أيام بدء تصوير هذا الفيلم كنت وقتها فى مدرسة البنات.. وكان علىّ أن أحضر الى الاستوديو كل يوم فى الموعد المحدد.. فكنت أهرب من أتوبيس المدارس الى مكتب «حلمى رفلة».. ومنه يأخذونى فى سيارة خاصة إلى الاستوديو لأكمل مشاهدى.. وفى ميعاد الخروج من المدرسة أعود الى اتوبيس المدارس مرة أخرى.. وهكذا...

حتى جاء يوم كان لابد أن نصور فى مدينة «بورسعيد» وجاءنى أمر التصوير فى البيت وتسلمته أمى.. وكانت مشكلة حسمها أحد أقاربى بأن عرض عليها السفر معى.. بحجة أننا لو تأخرنا فى تنفيذه ستقع علينا غرامة مالية كبيرة حددتها شروط العقد الذى وقعته.. فوافقت أمى على الفور.. وسافرت.. وأنا لم أعد خائفة من علمها بأننى أعمل بالتمثيل.. بل كنت سعيدة أنها اكتشفت ذلك.. وريحتنى من هم الاحتفاظ بسره!

* وتضيف «نبيلة عبيد»:

- كانت هناك مشكلة أخرى واجهتنى.. وهى كيف سأغنى لأم كلثوم.. فأقنعنى نيازى مصطفى أنه لابد وأن أحفظ اغنياتها عن ظهر قلب.. بل وأرددها فى كل وقت فى البيت والمدرسة وحتى فى الشارع لكى أعايشها تماماً.. وقد فعلت ذلك.. وأذكر أنه عندما انتهى تصوير الفيلم.. أقاموا لسيدة الغناء الراحلة

«أم كلثوم» عرضاً خاصاً للفيلم.. وشاهدته، فأثنت على أدائى ثناء حميداً.. وقالت انها تمنت فى بداية حياتها السينمائية أن تلعب دوراً مثل (رابعة).. واعتبرت هذا الكلام شهادة تقدير لى لن أنساها!

* * *

شبح المقارنة يطارد الفيلم الملون!!

ومنذ بدأ المخرج نيازى مصطفى تصوير فيلم (رابعة العدوية) وشبح الفيلم الأول عن نفس الموضوع (شهيدة الحب الإلهى) يطارد الفيلم الجديد.. ولا يزال السينمائيون والنقاد يتساءلون عن جدوى عمل فيلمين متتاليين عن نفس الشخصية الزاهدة العابدة المتصوفة (رابعة).. مما جعل المنتج حلمى رفلة يقول للجميع أن قصة (رابعة العدوية) يمكن أن تصنع عشرين فيلماً مختلفاً!!

وحين يتساءلون: كيف؟! فيجيب:

- خذ مثلا من هذا الفيلم الذى نحن نصوره الآن.. فهو لا يتناول من سيرة (رابعة) الا الجانب الخاص من حياتها فى (حانة عمار) ونفورها من حياة المجون وزهدها من زخرف الحياة.. وعملها على اقناع رواد الحانة بأن يرتفعوا بالحب عن مستوى الشهوات.. وأن يجعلوا منه عاطفة قدسية..

ومضى حلمى رفلة يتحدث فى حماسة قائلا:

- هذه أبرز مواقف (رابعة) فى حياتها.. انها نقطة التحول التى استبدلت راهبة متعبدة.. وعابدة متصوفة.. بالغانية اللعوب (!!) كما أن فيلمنا الجديد مصور بالألوان الطبيعية، ويحمض ويطبع فى أكبر معامل ألمانيا.. ومن هنا يتضح أن شكل وموضوع الفيلم الجديد يختلف اختلافا كبيراً عن الفيلم الذى انتج من قبل ويحمل اسم (شهيدة الحب الإلهى).

* * *

* أما المخرج نيازى مصطفى فقد قال عن (رابعة الجديدة):

ـ الوجه الجديد «نبيله نور» ممثلة مجتهدة.. وإذا استمرت فى طريقها فسوف تلعب دوراً هاماً فى تاريخ الشاشة العربية!

* * *

وإذا كانت نبوءة أو توقع نيازى مصطفى قد تحقق فى نبيلة عبيد.. أو حديث حلمى رفلة عن شكل وانتاج فيلمه الجديد قد ظهر بالفعل مختلفاً عن فيلم (شهيدة الحب الإلهى)، إلا أن حلمى رفلة قد جانبه الصواب فى الحديث عن الموضوع الذى استفاض فى شرح درجة اختلافه عن الفيلم الأول.. فضلا عن حديثه المغلوط فى وصف رابعة (بالغانية اللعوب) فى أول حياتها، والذى تسبب فى ترسيخ هذا المفهوم الخطأ عند عامة الناس، خاصة بعدما عرض الفيلمان متتابعين عن سيرة هذه الزاهدة، والذى كذبته جل الكتب والأبحاث والدراسات الجادة التى تناولت حياتها وزهدها!..

فحقيقة الأمر أنه ليس هناك اختلاف كبير بين الفيلمين من حيث الموضوع.. فكلاهما قد قسم حياة «رابعة» إلى مرحلتين.. الأولى: تناولت فترة يتمها، ومحاولات بيعها وشرائها من أثرياء البصرة، وانغماسها فى حياة اللهو والرقص والغناء.. والثانية: تناولت مرحلة تأثرها بأحد الشيوخ الورعين، واستجابتها للتوبة، ثم انتقالها الى حياة الزهد والتصوف..

بل أن الفيلم الجديد (رابعة العدوية) وقع فى بعض الأخطاء التاريخية مثل: مشهد الهدايا الثمينة التى قام بإرسالها الخليفة العباسى هارون الرشيد ـ كما جاء فى الفيلم ـ لرابعة ورفضها.. فلم يثبت تاريخيا أنها عاصرت هذا الخليفة حيث انها توفيت عام ١٣٥ هـ، بينها ولد هارون الرشيد عام ١٤٩ هـ وتولى الخلافة عام ١٧٠ هـ!! وخطأ آخر حينما هاجم الرومان المسلمين قررت الجماهير

الزحف الى رابعة فى خلوتها طلباً للمدد والبركة فدعتهم للجهاد.. والحقيقة تقول أن رابعة كانت بالبصرة بالعراق، بينما الهجوم كان على الشام حيث مقر الخلافة فى تلك الفترة!

أما حديث حلمى رفلة عن الجانب الخاص من حياتها فى (حانة عمار) والذى يعتبره أهم مافى سيرة «رابعة» ونقطة تحولها من حياة المجون إلى حياة الزهد، واعتبر هذا اختلافا كبيراً!! فقد كان صورة مطابقة لنفس مشاهد (حانة عمار) فى الفيلم الأول بنفس الأسماء والشخوص تقريباً.. اللهم إلا إذا كان الخلاف فيمن لعب دور (عمار) صاحب هذه الحانة، حيث كان فى الفيلم (صلاح جاهين).. وفى الثانى الذى نحن بصدد قراءته (عبدالغنى قمر)!!

والعجب بعد ذلك الذى يتلازم مع علامات الاستفهام الكثيرة يكمن فى مؤلف الفيلم الأول والمشارك فى السيناريو (ابراهيم الابيارى وعباس كامل)، ومؤلفة الفيلم الثانى والمشاركة فى السيناريو أيضا (سنية قراعة ونيازى مصطفى) والذى تطابقت وجهات نظرهم ورؤيتهم لسيرة هذه الشخصية بشكل مذهل.. وعجيب!!

***

الرد على التفسير الوجودى لحياة «رابعة»!

أما حقيقة (رابعة العدوية) فقد جاء ذكرها فى (دائرة المعارف الإسلامية) (٨) بأنها: وَلِيّة متصوفة بصرية مشهورة.. وكانت حياتها عكوفاً على الزهد.. وانقطاعاً عن أسباب الحياة الدنيا.. وروى أنه لما سئلت: لماذا لا تطلب من أصدقائها العون؟ أجابت: إنى لأستحى الدنيا من يملكها.. فكيف أسألها من لا يملكها؟! وقالت لأخر: إن الله تعالى هو الذى يرزقنى ويرزقهم (أى السادة) أفمن يرزق الأغنياء لا يرزق الفقراء؟ فإذا كانت هذه مشيئته فنحن من جانبنا نرضى عنها كل الرضا..

ومن أروع ما قالته عن عبادتها لله والباعث عليها: ما عبدته خوفاً من ناره.. ولا حباً فى جنته.. فأكون كالأجير السوء.. بل عبدته حباً له وشوقاً إليه..

وقد أثارت مناجاتها كثيرا من البحث والتأمل ومحاولات تفسير حقيقة أقوالها فى المحبة التى نادت بها.. وعاشت على مر العصور.. مزينة بأفضل كلماتها: أحبك حبين، حب الهوى.. وحباً لأنك أهل لذاك.. فقد علق «الإمام الغزالى» على ذلك بقوله:

– ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها، وانعامه عليها بحظوظ العاجلة، وبحبه لما هو أهل له، الحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها، وهو أعلى الحبيّن وأقواهما.

***

كما جاء ذكرها فى (معجم مصطلحات الصوفية) (٩) فى حرف العين بأنها: رابعة العدوية.. أم الخير بنت إسماعيل البصرية.. مولاة آل عتيك.. الصالحة المستورة.. شهيدة العشق الإلهى.. ماتت سنة ١٣٥هـ.. من أقوالها: قد تخللت مسلك الروح منى، ولذا سمى الخليل خليلاً، أنت همى وهمتى وحديثى، ورقادى إذا أردت مقيلا..

***

ولعل أفضل الدراسات التى صدرت حديثاً وتناولت ترجمة لحياة «رابعة» هى ما وضعه الدكتور عبد المنعم الحفنى تحت عنوان (إمامة العاشقين والمحزونين) (١٠) حيث قدمها كشخصية محورية فى التصوف الإسلامى، وأنها صاحبة فضل وفكر ومدرسة.. وأوضح أنه كتب عنها علماء كثيرون فى الشرق والغرب، بدءا بالجاحظ ومروراً بالزركلى وابن خلكان والقشيرى وابن الجوزى، وانتهاء بجون فيرجسون ومرجريت سميث، وعشرات غيرهم..

ويمضى الدكتور الحفنى فى عرضه لشخصية رابعة بين الحقائق التاريخية والمزاعم التى تصل إلى مرتبة الخوارق والأساطير.. فهى قد نشأت فى البصرة، مدينة العلم والثقافة، ولو أن رابعة عاشت فى مدينة أخرى، ربما لم يكن يتاح لها البروز كداعية صوفية وصاحبة مذهب فى التصوف، بالإضافة طبعاً إلى الاستعداد الشخصى..

ولكن أهم ما جاء فى هذه الدراسة القيمة أنه أطال مناقشة اجتهادات الدكتور عبد الرحمن بدوى فى شخصية رابعة، وفلسفتها فى التصوف، كما رد على مزاعمه فى الحديث عن الجزء الأول من حياتها.. ويرى الكاتب أن الدكتور بدوى لم يحب الصوفية، وبالتالى فهو لم يفهم رابعة.. بل أن تفسير الدكتور بدوى يريد أن يصادق على دعواه فى الوجودية.. ويعاند كل ما قيل عن لغة التصوف ويأبى إلا أن يذهب فى تفسير المذهب الذى يخدم فلسفته..

ويصل الدكتور الحفنى فى نهاية بحثه إلى نتائج محددة لعل أهمها أن مفتاح شخصية «رابعة» يكمن فى أحوالها وطوارقها النفسية.. فى خوفها وأنسها وشوقها وحبها وطمأنينتها ورجائها.. وأن للتصوف سيكولوجية لا يحسن التحدث فيها إلا الصوفية أنفسهم..

***

(ماليزيا) تستعير الفيلم لعرضه فى رمضان!

عرض فيلم (رابعة العدوية) يوم ١٠ فبراير عام ١٩٦٣ بدار سينما ديانا، ومنها إلى كافة محافظات مصر وقد حقق الفيلم نجاحاً كبيراً.. وتم توزيعه فى كثير من الدول العربية والإسلامية..

وقد رويت حكايات كثيرة ومثيرة عن أثر هذا الفيلم فيمن شاهدوه فى بعض الدول الإسلامية خاصة الآسيوية منها.. رواها بعض شيوخ الأزهر عقب عودتهم من رحلاتهم وقوافلهم الدينية هناك.. حيث أكدوا أن هذا الفيلم قد حقق انتشاراً

واسعاً فى هذه الدول.. حتى أن بعض الجهات الماليزية استعارت الفيلم من دول أخرى بعيدة عنها آلاف الأميال لتعرضه فى شهر رمضان المبارك.. كما كان الفيلم سبباً فى إشهار بعض البوذيين لإسلامهم!!

وكان فيلم (رابعة العدوية) أول فيلم مصرى يعرض فى تركيا بعد توقيع عقود بروتوكول معها فى بداية السبعينيات، وبعد دبلجته باللغة التركية!

***

وبرغم كل هذا النجاح.. إلا أن هناك حملات صحفية فى فترة السبعينيات طالبت بضرورة تدخل الأزهر من أجل مراجعة الأعمال الفنية التى تتناول الوقائع والأحداث التاريخية الإسلامية والسير الذاتية.. مستشهدين بذلك بفيلم (رابعة العدوية)، والفيلم الذى سبقه (شهيدة الحب الإلهى) اللذين تعمدا استهلاك وقت طويل -لزوم الصنعة والشباك- فى إقحام مشاهد الرقص واللهو والإثارة والعبث الماجن.. فقرر الأزهر تشكيل لجنة لدراسة سيرة (رابعة العدوية) ومشاهدة الأفلام السينمائية التى تعرضت لحياتها لتقويمها.. ولكن أعمال اللجنة لم تتعد مناقشة الأمر.. إلا أن إدارة البحوث والنشر بالأزهر الشريف استطاعت أن تستصدر فى منتصف الثمانينيات قانوناً برقم ١٠٢ لسنة ١٩٨٥ يعطى الحق للإدارة بمراقبة ومصادرة المطبوعات الدينية المخالفة.. والتى تدخل فى نطاقها المصنفات الفنية مادامت تتناول أعمالاً دينية، إلا إذا حصلت على تصريح خاص مسبق بالموافقة على العرض العام!.

١٠ - (هجرة الرسول)

(الهجرة) فى تاريخ الإسلام.. هى فترة ترك النبى محمد "ﷺ" وأصحابه مكة إلى المدينة.. والهجرة هجرتان: الهجرة الأولى للمسلمين إلى أرض الحبشة.. ولم يكن فى المهاجرين رسول الله ﷺ.. والثانية الهجرة إلى المدينة.. وكان الرسول "ﷺ" فيها على رأس المهاجرين..

وكان النبى ﷺ قد أمر أصحابه بالهجرة إلى يثرب عندما انتشرت فيها الدعوة للابتعاد بهم عن ظلم الكفار وتعذيبهم.. واصطحب هو أبا بكر.. واختبأ فى غار "ثور" ثلاثة أيام حتى خفت مطاردة المشركين لهما.. ثم استأنفا الرحلة إلى يثرب حيث خرج أهلها لاستقبالهما.. استقر محمد "ﷺ" فى يثرب التى سميت منذ ذلك الوقت مدينة الرسول أو المدينة.. واقتدى المسلمون بسيرة نبيهم وأخلاقه..وتآخى المهاجرون والأنصار .. وأصبحت المدينة مقر الدولة الإسلامية..

وتعتبر الهجرة حدثاً إسلامياً عظيماً.. يؤرخ به المسلمون ، كما يؤرخ المسيحيون بميلاد المسيح..

* * *

ويروى" ابن هشام" فى سيرته(١١) ..أن الرسول أصر على أن يشترى من أبى بكر إحدى راحلتيه أثناء الهجرة رغم أن أبى بكر انفق ماله كله للدعوة مبرراً ذلك لرغبة الرسول فى أن تكون هجرته إلى الله بنفسه وماله.. رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما.

* * *

أما "ابن كثير"(١٢) فقد قال فى أسباب الهجرة: أن المشركين اجتمعوا بدار

الندوة ليتشاوروا فى أمر رسول الله.. فاتفقوا على قتل النبى فى فراشه وهو نائم.. فعلم رسول الله ـ وحيًا ـ بهذا الأمر.. فدعا ربه قائلاً: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (٨٠) ﴾(١٣) فأذن له تعالى فى الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الأنصار والأحباب، فصارت له داراً وقراراً، وأهلها له أنصاراً..

* * *

الشيخ الشرباصى يراجع السيناريو!

بدأ مشروع عمل فيلم عن (هجرة الرسول) بمقابلة شخصية تمت فى ربيع عام ١٩٦٣ بين المؤلف عبد المنعم شميس ـ وكان يعمل وقتئذ فى هيئة الاستعلامات ـ وبين السيناريست والمخرج حسين حلمى المهندس.. وتطرق الحديث لنجاح فيلم (رابعة العدوية) للمخرج نيازى مصطفى.. وكشأن المهتمين بالنشاط السينمائى بدأت كلمات النقد والتحليل والتقييم تظلل الجلسة التى انتهت بعرض المؤلف لقصة تحمل عنوان (هجرة الرسول إلى المدينة) على المخرج الذى سرعان ما تعاقد معه عليها تمهيداً لإنتاجها سينمائياً!..

وبدأ المخرج حسين حلمى المهندس رحلته فى كتابة السيناريو والحوار للفيلم.. وقبل الانتهاء منه كان قد التقى بالمصور السينمائى الشهير "عبد العزيز فهمي" الذى اطلع على القصة، وعلى ما كتب من السيناريو، فتحمس للمشروع ، وطلب أن يقوم بإنتاج الفيلم.. وبالطبع يقوم بتصويره.

وكان "عبد العزيز فهمي" قد كون شركة إنتاج مع شقيقه محمود فهمى ومهندس الديكور عبد المنعم شكرى عام ١٩٥٩، وأطلقوا عليها اسم (السينمائيين المتحدين) قامت بإنتاج بضعة أفلام تجارية ناجحة مثل (السفيرة عزيزة) و (إسماعيل يس ترجمان) و(أجازة نصف السنة).. وقد وعد عبد العزيز فهمى بتوفير كافة الإمكانات اللازمة لإنتاج الفيلم بميزانية ضخمة حتى يظهر

بصورة مشرفة تليق بفيلم دينى تاريخى كبير.. وتم الاتفاق بالفعل ـ بعد وضع تصور مبدئى للفيلم ـ على أن يخرجه حسين حلمى المهندس، وتقوم ببطولته الممثلة "ناهد شريف" فى دور الجارية (حبيبة) والذى لعبته "ماجدة" بعد ذلك!.

وحقيقة اختيار ناهد شريف لهذا الدور لم يكن بسبب زواجها من حسين حلمى المهندس فقط والذى اكتشفها وقدمها فى أول أدوارها فى السينما فى فيلم (أنا وبناتي) عام ١٩٦١.. ولكن جاء الترشيح من عبد العزيز فهمى الذى رأى انها الأصلح للدور بصفتها وجهاً جديداً، خاصة بعدما عملت مع الاثنين ـ المصور والمخرج ـ فى فيلم سابق بعنوان (عاصفة من الحب)عام ١٩٦١، والطريف انه كان من إنتاج شركة عبد العزيز فهمى أيضًا!.

* * *

وانتهى حسين حلمى المهندس من كتابة سيناريو الفيلم .. وراجعه مع صديقه فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى الذى أشاد بالعمل إشادة بالغة وتحمس لأن يحضر تصوير الفيلم .. وبدأ المخرج عمل الديكوباج (خطة الإخراج على نسخة السيناريو).. كما قام بوضع تخيل مبدئى للديكورات والملابس والاكسسوار.. وفجأة.. ظهرت الممثلة والمنتجة الشهيرة "ماجدة" فى الصورة..

كانت "ماجدة" قد علمت بأمر الفيلم من المخرج نفسه الذى كان يتعاون معها فى معظم أعمالها السينمائية والانتاجية كمستشار فنى تثق فيه. فضلاً عن أنه كان السيناريست المفضل لمعظم أفلامها السينمائية المأخوذة عن أعمال أدبية سواء عالمية أو محلية!..

وقرأت "ماجدة" السيناريو من باب العلم بالشيء. ولكنها انجذبت إليه بشدة، وطلبت من المخرج صراحة أن تنتجه لحسابها.. ولما حاول حسين حلمى إفهامها انه يكاد يكون قد تعاقد بشأنه مع شركة السينمائيين المتحدين الذين سيوفرون له إنتاجًا متميزاً.. أصرت وألحت فى رجاء.. بل ووعدت بالاتصال بعبد العزيز فهمى بنفسها واستئذانه فى ذلك.. وذهب الفيلم إلى "ماجدة" المنتجة!!

وماجدة أو "عفاف الصباحي" دخلت السينما كممثلة وهى لا تزال تلميذة فى المدارس، حيث اختارها المخرج سيف الدين شوكت والمنتج محسن سابو لفيلم (الناصح) عام ١٩٤٩، وحقق الفيلم نجاحًا كبيرًا مما جعلها تستمر باطراد فى الكثير من الأفلام المصرية ذات الموضوعات الاجتماعية.. ويذكر حسين بيومى فى كتيب له عن ماجدة[١٤] انها قامت بالتمثيل فى أربعة وخمسين فيلماً لحساب منتجين آخرين، منها واحد وثلاثون فيلماً قبل التحول إلى الإنتاج.. والباقى أثناء اشتغالها بالإنتاج.. ومجموع أفلامها كما حددها فى الفيلموجرافيا ٦٥ فيلماً..

ويرجع المؤلف دخولها مجال الإنتاج السينمائى لخبرتها المكثفة بعد أن مثلت فى أكثر من ثلاثين فيلماً، وخضعت لإدارة وتوجيه نحو عشرين مخرجاً وتعاملت مع أربعة وعشرين منتجاً لتكتسب بذلك من الواقع الفعلى خبرة هائلة بعالم السينما المصرية فى خلال فترة قصيرة لا تتجاوز سبع سنوات من عمرها الفني!!

أما بالنسبة للفيلم الدينى فقد أصبحت بهذا الفيلم (هجرة الرسول) صاحبة أكبر عدد من أفلام الدينية كممثلة (٣ أفلام)، لانه سبق لها الاضطلاع ببطولة فيلمين قبلها هما: (انتصار الإسلام) ١٩٥٢، و(بلال مؤذن الرسول) ١٩٥٣..

ولكن حسين بيومى أخطأ فى رصد عدد الأفلام التى انتجتها ماجدة فقال انها أحد عشر فيلماً.. والحقيقة هى انها اثنا عشر فيلماً مثلت فيها هي: (أين عمرى) ١٩٥٦، (جملية) ١٩٥٨، (المراهقات) ١٩٦٠، (الحقيقة العارية)١٩٦٣، (هجرة الرسول) ١٩٦٤، (من أحب) ١٩٦٦، (زوجة لخمسة رجال) ١٩٧٠، (السراب) ١٩٧٠، (أنف وثلاث عيون) ١٩٧٣، (النداهة) ١٩٧٥، (جنس ناعم) ١٩٧٧، و(العمر لحظة) ١٩٧٨.. بل وانتجت فيلماً لم تمثل فيه.. ليصبح المجموع ثلاثة عشرة فيلماً.. وكان بعنوان (نوع من النساء) ١٩٧٩ أخرجه حسن الصيفي، والطريف انها اسندت دور البطولة فى الفيلم إلى ناهد شريف، وكأنه نوع من الاعتذار بعد كل هذه السنوات عن دور (حبيبة) الذى أبعدت ناهد شريف عنه!!

* * *

ملاحظات رجال الأزهر كادت تمنع الفيلم!

طلبت ماجدة صراحة ـ بعد أن طلبت أن تنتج الفيلم ـ من المخرج حسين حلمى المهندس أن تلعب دور (حبيبة) وهو الدور الذى كانت مرشحة له ناهد شريف ـ زوجة المخرج ـ فقال لها كيف؟! وخاصة أن الذى رشحها عبد العزيز فهمى وليس أنا!. فقالت له : لقد ذهب عبد العزيز فهمى .. فلتذهب معه آراؤه وترشيحاته!!

ثم راحت توضح له انها وقعت فى غرام الشخصية.. وعايشتها طويلاً وانها تريد أن تقدم فيلما دينيا ضخم الإنتاج ويشرف السينما المصرية، ويعرض فى جميع أنحاء العالم.. بل وأكثر من ذلك رشحت إيهاب نافع ـ زوجها فى تلك الفترة ـ للبطولة أمامها فى دور (فارس)!!.

وقبل المخرج .. نظراً لعمق العلاقة الأسرية التي ربطت بين العائلتين الفنيتين.. وبدأ مرحلة الإعداد النهائية استعداداً لتصوير الفيلم.. حيث حصل الفيلم بالفعل على تصريح بموافقة الرقابة على المصنفات الفنية التى لم تبد عليه أية ملاحظات.. وبقيت الخطوة الأخيرة قبيل التصوير وهى موافقة الأزهر الشريف على السيناريو بصفته مصنفاً دينياً.

وكانت المفاجأة هى رفض الأزهر لسيناريو فيلم (هجرة الرسول)!!

* * *

كانت ملاحظات الأزهر على السيناريو قد انحصرت في ثلاث نقاط هامة دخلت فى البناء الفيلمى مما هدده بعدم الظهور على الإطلاق لولا حنكة وخبرة حسين حلمى المهندس، فضلاً عن ثقافته الدينية الواسعة..

● كانت الملاحظة الأولى: تنحصر فى الشخصية الرئيسية للفيلم ـ البطلة ـ حيث أطلق عليها السيناريو اسم (حبيبة) جارية "أبو سفيان".. بينما حقيقة الأمر

انها الجارية (زنيرة).. وكانت جارية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب قبل أن يشرح الله صدره للإسلام..

وقد ناقش حسين حلمى هذا الأمر مع مشايخ الأزهر قائلاً لهم: إننى اضطررت إلى تغيير بعض أحداث الشخصية لحكمة لا تخفى عليكم.. حيث كان عمر بن الخطاب يعذبها على إسلامها قبل دخوله هو الإسلام، وهذا ما لا يتقبله المشاهد للفيلم نفسياً نظراً لمكانة "عمر" فى قلوب المسلمين..

فاقتنعوا على الفور!..

● وكانت الملاحظة الثانية: اعتراضهم على مكان وجود الصنمين (آساف) و(نائلة) فى صدر بيت الله الحرام.. وما ترتب على ذلك من أحداث درامية فى الفيلم..

ومرة أخرى قام حسين حلمى بإقناعهم عن طريق الكتب والمراجع التى روت قصة الصنمين أو الاسطورة التى رواها التاريخ انهما عاشقين من اليمن جاءا إلى البيت ليحتميا به، فارتكبا فيه الفاحشة فمسخا حجرين.. وبمرور الوقت عبدهما الناس لوجودهما داخل الحرم دون أن يدرى أحد حقيقة قصتهما!. ومرة أخرى اقتنعوا ، مع ملاحظة أن المراجع اختلفت فى أصل هذين الصنمين، وكذا فى تحديد مكانهما على وجه الدقة.. فوافقوا!.

● أما الملاحظة الثالثة: فكانت تتعلق بالجزء الخاص بالسيناريو ووصف حركة المشهد من صورة وديكور واكسسوار وغيرها الموجود على الجانب الأيمن فى العديد من المشاهد بالسيناريو.. حيث ذكروا أن هناك أخطاء فى اللغة وفى مسميات الأشياء ومصطلحاتها قد تثير البلبلة فى موضوع الفيلم.. ومرة ثالثة حاول حسين حلمى إفهامهم أن هذا الأسلوب فى الكتابة خاص بالمخرج وكافة الفنيين والفنانين بالفيلم.. ولن يظهر على الشاشة سوى عدة صور متحركة دون

الحوار الذى يستقل به الممثلون.. فروجعت هذه المشاهد مرة أخرى بوجود حسين حلمى نفسه، وكذا الشيخ أحمد الشرباصى مراجع الفيلم منذ بدايته.. وأخيراً تمت الموافقة الكاملة على سيناريو الفيلم!.

وقد قال لى حسين حلمى المهندس تعليقاً على ما حدث: إن ما تم فى أسلوب المناقشات بيننا، ثم الموافقة النهائية من رجال الأزهر الشريف لهو دال على تفتحهم الشديد فى هذا الصدد.. وهو عكس ما كان يشاع عن بعض رجال الأزهر.. فهم أناس يقدرون فن السينما جيداً.. ويحترمون كل عمل مفيد للناس ، وفى أى مجال.. ولا يبغون سوى الصالح العام.. والدليل على ذلك قول أحدهم لي: إن هذا الفيلم يعتبر صورة مشرفة للإسلام.. وعملاً عظيماً للفن!..

* * *

استبعاد المخرج بعد استبعاد البطلة!

وبدأت "ماجدة" كمنتجة تستعد للبدء فى تصوير الفيلم.. وكمنتجة (شاطرة) - كما يقولون - وضعت له أقل ميزانية ممكنة لإنتاج الفيلم حددت بثلاثين ألفاً من الجنيهات، وصلت أثناء تصوير الفيلم إلى ٣١ ألف جنيه!!

ومرة أخرى اعترض حسين حلمى المهندس على هذه الميزانية لفيلم دينى وتاريخى كبير.. وقال لها: إذا لم نكن نستطيع الإنفاق على الفيلم فلا داعى لإنتاجه.. خاصة وأن هناك من يريد أن ينفق عليه الكثير - يقصد عبد العزيز فهمى - ولكن ماجدة أصرت على ميزانيتها دون أية زيادة.. وحينها أقسم حسين حلمى فى ليلة البدء فى تصوير الفيلم انه لن يدخل الاستوديو قبل تعديل الميزانية إلى الحد المعقول الذى يتطلبه إنتاج الفيلم.. فما كان من "ماجدة" إلا أن اتخذت قراراً مفاجئًا بتنحية حسين حلمى المهندس عن إخراج الفيلم.. وإسناد هذه المهمة للمخرج إبراهيم عمارة.. وهو أيضًا واحد من ممثلي الفيلم، والذى لعب فيه دور "أبو طالب" عم النبي!.

و"إبراهيم عمارة" من مواليد ١٩ أغسطس ١٩١٠ التحق باستوديو مصر منذ افتتاحه معلقاً على جريدة مصر الناطقة بصوته المتميز.. بدأ حياته فى مجال الإخراج كمساعد للمخرج نيازى مصطفى بالإضافة إلى اشتراكه بالتمثيل فى كثير من الأفلام.. أخرج أول أفلامه الروائية الطويلة (الستات فى خطر) عام ١٩٤٢، ثم توالت أفلامه حتى بلغت ٣٨ فيلماً.. وكان (هجرة الرسول) الفيلم رقم (٣٥) فى حياته كمخرج.. توفى فى ٢٣ مارس ١٩٧٢ عن ٦٢ عاماً..

* * *

وقد قام "إبراهيم عمارة" بتغيير طفيف فى السيناريو بناء على طلبات "ماجدة" كمنتجة للفيلم وبطلته الرئيسية دون الرجوع إلى كاتبه ومخرجه الأصلي!..

وبدأ بالفعل تصوير الفيلم فى خريف عام ١٩٦٣ بأبطاله الجدد ومخرجه الجديد.. وقام بإدارة تصوير الفيلم "إبراهيم عادل"، وصوره بالألوان "رمزى إبراهيم" وهو من المصورين الذين تعلموا بإيطاليا وتتلمذ على يد عبد الحليم نصر فى مصر .. وقد ساعده محمد عمارة ومحمد عادل وهما نجلا المخرج ومدير التصوير!. كما قام بوضع الموسيقى التصويرية للفيلم "على إسماعيل"، وقام بعمل المونتاج" ألبير نجيب"..

وقام بالأدوار الرئيسية فى الفيلم: ماجدة وإيهاب نافع وعدلى كاسب وسميحة توفيق وحسن البارودى وهدى عيسى ومحمد أباظة وفوزى درويش وإبراهيم عمارة ولطفى عبد الحميد وعلى رشدى وأحمد شوقى وإسلام فارس ومحمد حمدى وعمر عفيفى وشوقى بركة ومرسى الحطاب ومنير التوني..

* * *

ووسط الساحة الكبرى فى ستوديو الأهرام أقيم كثير من ديكورات فيلم (هجرة الرسول) خارج الاستوديو وداخله.. بينما استكملت المشاهد الخارجية

للفيلم فى صحراء الهرم.. وقام بتصميم الديكور وتنفيذه أعلام هذا الفن فى مصر وهما "شارفنبرج" و"حبيب خوري"، كما شارك فيه أيضاً "عبد الفتاح البيلي" استاذ الديكور فى معهد السينما فى ذاك الوقت..

وديكور الكعبة وحده أقيم على مساحة خمسة أفدنة.. وفى ركن من الكعبة أقيمت بعض التماثيل للأصنام التى كان الكفار يعبدونها قبل ظهور الإسلام كما اشترك فى الفيلم مئات من الكومبارس يمثلون آل قريش وآل بنى أمية.. وبينهم بعض الأنصار..

* * *

والطريف أن "ماجدة" ـ التى اشتهرت بلقب عذراء الشاشة ـ مثلت دورها فى هذا الفيلم وهى حامل فى ابنتها الوحيدة "غادة" من زوجها "إيهاب نافع" بطل الفيلم.. وكانت تضطر إلى ربط الأقمشة حول وسطها حتى لا يبدو حملها أمام الشاشة حيث تلعب دور جارية تعيش قصة حب طاهرة مع عبد أبى جهل!.

و"إيهاب نافع" نجم نشأ بالصدفة.. حيث كان يعمل طياراً، ثم استقال ليعمل مع الوزير كمال الدين رفعت فى مجلس الرئاسة الذى شكله جمال عبد الناصر عام ١٩٦٢(١٥)، حتى عرضت عليه "ماجدة" العمل فى السينما واختارته لبطولة فيلمها (الحقيقة العارية) إخراج عاطف سالم ١٩٦٣ .. وتزوجته .. وكان فيلم (هجرة الرسول) هو الثانى له.

بلغ رصيده ٢٨ فيلماً، منها ١٤ فيلماً نفذت فى مصر، و ١٤ أخرى خارج مصر، عمل بالتجارة فى فترات متقطعة، وتزوج تسع مرات!.

* * *

دعوى مستعجلة لإيقاف تصوير الفيلم !!

وتدور أحداث الفيلم فى فترة بداية الدعوة الإسلامية وقبل الهجرة.. حيث

إصرار المشركين على حياة الفساد والمجون وعبادة الأصنام التى اتخذوها آلهة يعبدونها من دون الله.. وجاء الإسلام ليبدل حياتهم من الظلمات إلى النور.. ويرشدهم إلى عبادة الله الواحد.. ولكن أهل قريش قابلوا دعوة الرسول "ﷺ" بالإنكار.. ويتعرض الفيلم للعذاب الشديد الذى لاقاه المسلمون على أيدى هؤلاء .. ووسط هذه الأحداث تنبت قصة حب بين جارية أبى سفيان (حبيبة)، وبين عبد من عبيد أبى جهل (فارس) رغم انهما يتعرضان لأشد أنواع الذل والمهانة.. أسلمت هى فقامت قيامة سيدها لذلك.. ولم يستطع حبيبها أن يلقاها بعدها فهو لا يزال على دين سيده.. ولكنه يعلن إسلامه بعد أن شاهد مناظر التعذيب التى تقع على حبيبته حتى تفقد بصرها.. وراح يلقاها بعد أن أسلم .. ولكنها ترفضه قائلة: إن إسلامك كان لغرض.. فما اسوأ أن يتحول المرء عن دينه من أجل امرأة!.

ثم قادته (حبيبة) إلى طريق النبي.. فدخل إلى قلبه الإيمان.. وأسلم إسلاماً حقيقياً.. فثار عليه سيده (أبو جهل) وباعه لأحد الأنصار الذى ضمه إلى زمرة المسلمين وعاد به إلى المدينة.. وفى المدينة بقى (فارس)و (حبيبة) فى انتظار رسول الله.. وارتد إليها بصرها من شدة الفرحة بلقاء الرسول .. ومن هناكانت بداية حياتها مع زوجها.. وبداية انتشار الإسلام.

* * *

وقد لاحظت فى إحدى مشاهداتى للفيلم أن شخصية (أسماء بنت أبى بكر الصديق) لم تظهر فى المشاهد القليلة الخاصة بها.. حيث كانت خادمتها تشير ناحية المكان المفترض انها موجودة فيه دون أن تتجه إليها الكاميرا.. بينما شخصية (أسماء) تظهر فى معظم الأعمال الدينية دون أى حرج.. ولما سألت السيناريست والمخرج حسين حلمى المهندس عن أسباب عدم ظهورها على الشاشة فى هذا الفيلم؟ وهل كانت لأسباب دينية أم رقابية بصفته مؤلف الفيلم.. قال:

ـ أنا الذى تعمدت هذا لأن ظهورها كان فى مشهد أو مشهدين فقط. وكان يكفينى ما يؤدى الغرض احتراماً منى لهذه الشخصية.. أما (أسماء) وآخرون كثيرون من الصحابة فكان مسموحاً بظهورهم فى تلك الفترة.. وأعلم انه جاءت فترات ـ فى نهاية الثمانينات وفى التسعينيات ـ منع ظهور مئات من الصحابة.. أما وقت تصوير الفيلم فلم يكن ممنوعاً سوى النبى طبعاً وزوجاته، والعشرة المبشرين بالجنة فقط!.

* * *

لم تمر فترة تصوير الفيلم بسهولة .. فقد واجه العديد من المشكلات.. أهمها قيام المخرج وكاتب السيناريو حسين حلمى المهندس برفع دعوى عاجلة لإيقاف التصوير بسبب الخلاف الذى وقع بينه وبين ماجدة، والذى أدى إلى إبعاده عن إخراج الفيلم، وإسناد هذه المهمة للمخرج والممثل إبراهيم عمارة..

وتحولت الدعوى إلى عدة قضايا فى المحاكم استمرت طويلاً، وحتى بعد عرض الفيلم انتهت بتدخل أصدقاء الطرفين للمصالحة بينهما.. فقد رأى حسين حلمى المهندس أن الفيلم فيلمه منذ البداية.،. وأن ماجدة قد اخطأت بإسناد إخراجه إلى مخرج غيره بعد كل المجهود الذى بذله فى فترة إعداده وبداية تنفيذه .. ثم أن المخرج إبراهيم عمارة اعتدى على عمل زميل له دون الرجوع إليه، فضلاً عن انه عبث بالسيناريو الذى كتبه وراجعه الأزهر الشريف ورجال الدين حيث غير فى بعض أحداثه ارضاء للمنتجة الممثلة، وإرضاء لزوجها بطل الفيلم!

وكان رد "ماجدة" أن الفيلم ليس من إنتاجها(!!) ولكنه من إنتاج إبراهيم والى ـ وهو مدير إنتاج الفيلم ـ أو (أفلام والي)، وانها مجرد ممثلة فيه.. وانه لم يحدث أى تغيير فى السيناريو سوى فى بعض المواقف البسيطة، والتى تمت تحت إشراف فضيلة الشيخ "أحمد الشرباصي" الذى بارك العمل وأيده.

* * *

برز فى هذا الفيلم دور التآمر اليهودى على الإسلام من خلال الشخصيتين اللتين لعبهما "حسن البارودي" وابنته فى الفيلم "سميحة توفيق"، حيث اظهرا كم الحقد والغل ضد الرسالة الجديدة بالعمل بجد ونشاط وتشف فى صنع السيوف المسمومة لقتل النبي، فانتقمت منهما السماء، ولقيا مصرعهما بنفس السم.. وقد ذكر الباحث "هانى الحلواني" أن الأفلام الإسلامية التاريخية قد اغفلت الدور التآمرى لليهود فى مناهضة الرسالة المحمدية ومحاولاتهم النيل من صاحبها، فظهر اليهودى فى هذه الأفلام فى صورة مشوهة ورديئة لشيلوك شكسبير، أى التاجر اليهودى الجشع مادياً، وما مقاومته للدين الجديد إلا حرصاً على مكاسبه المادية.. وهذه مغالطة تاريخية(١٦).

انتهى تصوير الفيلم مع نهاية عام ١٩٦٣.. وعرض يوم ٢٠ أبريل عام ١٩٦٤ بدار سينما ميامي بالقاهرة.. كما عرض فى معظم محافظات مصر.. وقامت بتوزيعه شركة أفلام ماجدة بالداخل وفى أنحاء العالم وحقق نجاحاً كبيراً.. كما حقق ربحاً وفيراً للمنتجة!

وقد اختلفت آراء النقاد والسينمائيين كثيراً فى هذا الفيلم.. ففى الوقت الذى رآه البعض انه يعيد إلى الجماهير ثقتها بالأفلام الدينية على حد قول أحدهم.. رآه غيره متواضعاً، يفتقر إلى الإنتاج الضخم المتميز.. بل وانتقد طريقة التمثيل التى اتسمت بالمبالغة فى الفيلم!.

١١ ـ (فجر الإسلام)

عبد الحميد جودة السحار (١٩١٣ ـ ١٩٧٤) واحد من ألمع أدبائنا المعاصرين الذين تعتز بأعمالهم العربية، ومع ذلك غبنته الحركة النقدية كثيراً.. ولم يكن هناك سبب مفهوم لهذا التجاهل لأعماله.. أبسبب حبه للسينما واشتغاله بها حيث صار واحداً من رجالها البارزين؟! فقد فعل ذلك كثير من أدبائنا وعلى رأسهم نجيب محفوظ نفسه!. أم كان السبب هو اهتمامه بما سمى (الأدب الديني) أو (الأدب الإسلامي) الذى اختاره عن قناعة، وعن رسالة ، مؤثراً إياه مبدعاً فيه بأساليب وقوالب فنية جديدة حتى وصلت مؤلفاته فيه إلى ما يقرب من خمسين كتاباً!. وهو إنتاج كمى ونوعى ليس بالقليل أو العادي.. استلهم فيه التراث الدينى الثرى باحثاً عن البعد الاجتماعي وإبرازه.. خاصة فى السير والتراجم، كان من أهمها: أبو ذر الغفاري، بلال مؤذن الرسول، ابناء أبى بكر، أهل بيت النبي، حياة الحسين.. فضلاً عن موسوعته المتميزة (محمد رسول الله والذين معه) والتى صدرت فى عشرين جزءاً.. بالإضافة إلى اسهاماته فى القصة القصيدة والرواية المعاصرة..

والسحار.. من الأدباء القلائل الذين كتبوا للسينما مباشرة، فضلاً عن قصصه ورواياته التى تحولت إلى الشاشة ، ومن أبرز أعماله: (شياطين الجو) ١٩٥٦، (بفكر فى اللي ناسيني) ١٩٥٩، (غرام فى السيرك) ١٩٦٠، (رسالة إلى الله) ١٩٦١، (المظ وعبده الحامولي) ١٩٦٢، (عريس لأختي) ١٩٦٣، (أم العروسة) و (أول حب) ١٩٦٤، (مراتى مدير عام) ١٩٦٦ ، (النصف الآخر) ١٩٦٧، و(الحفيد) ١٩٧٤.. كما مارس الإنتاج السينمائى فأنتج فيلم (درب المهابيل) ١٩٥٥ أول أفلام المخرج توفيق صالح .. فضلاً عن رئاسته لمؤسسة السينما لمدة

سبع سنوات فى أواخر عهد القطاع العام فى الإنتاج السينمائى، وفى أحلك فتراته حيث حاول إنقاذ المؤسسة من الخسارة والهلاك بالدفع بالإنتاج المتميز الذى برز فى عهده.. كما أنشأ مجلة (السينما) أول مجلة متخصصة فى مصر..

* * *

ويجيء فيلم (فجر الإسلام) ١٩٧١ من أهم أعمال "عبد الحميد جودة السحار" سينمائياً.. فقد كتبه خصيصاً للسينما.. بل اعتبر من أهم الأعمال الدينية التى قدمت على الشاشة.. حيث حشدت له كافة الجهود والطاقات الفنية والمادية والبشرية البارزة.. وكلها عناصر كانت لازمة لنجاح الفيلم.. وقد نجح بفضل هذه الجهود مجتمعة.. حيث لا تستطيع فى التعرض للفيلم أن نغفل أسماء بارزة تعتبر من أعلام السينما عندنا وهى تتصدر العناوين.. فقد كان مخرجه "صلاح أبو سيف"، ومدير تصويره "عبد العزيز فهمي"، ومونتيره "حسين عفيفي"، كما صمم أزياءه "شادى عبد السلام"، وصمم ديكوراته "عبد المنعم شكري"، ووضع موسيقاه "فؤاد الظاهري".. ثم أكملت عناصر التمثيل ألوان اللوحة الإبداعية فجسدها أداء: محمود مرسى ويحيى شاهين وسميحة أيوب، ومجموعة أخرى بارزة!.

* * *

آسيا تنسحب.. وحادث لعاطف سالم!

بدأت قصة إنتاج فيلم (فجر الإسلام) فى السينما عام ١٩٦٦ عندما اشترى مدير التصوير "عبد العزيز فهمي" القصة السينمائية من "السحار" قبل أن يتولى رئاسة مؤسسة السينما (تولاها عام ١٩٦٨) وكلفه بكتابة السيناريو والحوار استعداداً لإنتاجها. وانتهى السحار من السيناريو بعد عام كامل.. ونظرا لأهمية الفيلم وضع عبد العزيز فهمي ميزانية له تقدر بنحو ٨٠ ألف جنيه.. ولكنه ـ وبعد إعداد المراحل التمهيدية للفيلم ـ وجد نفسه فى مأزق.. حيث أضيفت

تكاليف ضرورية للديكورات والملابس لتقفز بميزانية الفيلم إلى أكثر من مائة ألف جنيه.. وشعر "عبد العزيز فهمي" بأن قدرته لا تتحمل عبء الإنتاج وحده.. فعرض مشروعه الحلم على أكثر من شركة من شركات الإنتاج السينمائى التى كانت ترد بالرفض.. وتأجل المشروع الذى تحمس له مدير التصوير الفنان إلى أجل غير مسمى، وحتى يجد من يساعده فى متطلبات الفيلم الإنتاجية..

وتمر الأيام وقبيل أن يتولى "السحار" رئاسة مؤسسة السينما (القطاع العام) يعرض عبد العزيز فهمى مشروعه لتنفذه المؤسسة بإمكانياتها الضخمة فتوافق عليه المؤسسة ثم يجيء "السحار" رئيساً لها، ويجد حرجاً فى ذلك، فيعرض أمر الفيلم على لجنة مختصة.. وتقرر اللجنة بالإجماع شراء حق إنتاج الفيلم بالكامل حيث رأت فيه انه يسد متطلبات وضرورات ثقافية وفنية ملحة تحتاج إليها السينما المصرية الرائدة!..

واشترت المؤسسة الفيلم من عبد العزيز فهمي، وتم اختيار واحدة من جيل الرواد فى الإنتاج السينمائى وهى "آسيا" لتكون المنتجة المنفذة للفيلم.. والطريف أن آسيا كانت لها ملاحظات على السيناريو رحب بها المرشح لإخراج الفيلم عاطف سالم وكذلك مؤلفه عبد الحميد جودة السحار، بينما اعترضت عليها إدارة المؤسسة، وقالت أن ليس من حقها كمنتجة طلب هذه التعديلات، ثم حدث أن قامت المؤسسة بتخفيض بعض الأجور لتسوية تكاليف إنتاج الفيلم الباهظة.. فاعترضت آسيا.. ثم عادت وعرضت جهودها بلا مقابل.. ثم اعتذرت للمؤسسة عن هذا التطوع، وطلبت رسمياً اعفاءها من العمل فى هذا الفيلم وتحويل جهودها إلى فيلم آخر يتناسب مع الأجر الذى قررت المؤسسة دفعه للمنتج فى هذه الحالة!!

فما كان من المؤسسة إلا ترشيح رائد آخر عمل مع بداية ستوديو مصر وحمل على عاتقه إدارة إنتاج العديد من الأفلام المصرية وهو "محمد رجائي" ليكون

مشرفاً على الإنتاج، ثم اسندت مهمة المنتج المنفذ إلى "عبد العزيز فهمي" بصفته صاحب مشروع الفيلم من البداية، ولأنه أيضًا صاحب خبرة طويلة فى الإنتاج السينمائى بالإضافة إلى مهمته كمدير تصوير الفيلم.. وتم رصد ميزانية قدرت بحوالى ١٢٠ ألف جنيه لتتفق مع ضخامة إنتاج الفيلم والاستعداد الجدى له!.

* * *

اسندت مؤسسة السينما مهمة إخراج الفيلم للمخرج عاطف سالم الذى تحمس له، خاصة وانه لم يخرج أفلاماً دينية قط.. وإنما كانت له تجربتين فى الأفلام التاريخية هما :(المماليك) ١٩٦٥، و(ثورة اليمن) ١٩٦٦.. إلا انهما ظهرا بإمكانيات مادية ضعيفة خاصة فى الفيلم الأول، أما الثانى فكان بتكليف من القيادة السياسية فى تلك الفترة، إلا أن الفيلم امتاز بتحريك جيد لكم كبير من المجاميع فضلاً عن أداء الممثلين البارع..

وبدأ العمل بالفعل فى تجهيز الفيلم.. وعلى رمال صحراء "أبو رواش" الممتدة خلف أهرامات الجيزة، أقام مهندس الديكور"عبد المنعم شكري" بتنفيذ عبدالفتاح الحسيني ومحمد جاد مدينة كاملة تضم نموذجاً للكعبة.. على الطراز الذى كانت عليه فى ٦٨٥ ميلادية، بعد مضى ٥ سنوات من بداية دعوة النبى إلى الإسلام.. وقد روعى فى اختيار المكان أن يكون مطابقاً للموقع الجغرافى للكعبة، بين جبلى (حراء) و(قبيس) فى مساحة تمتد ٢٠ ذراعاً بالعرض من ناحية الحجر الأسود، و٣٢ ذراعاً من الحجر الأسود إلى اليماني، بارتفاع ٩ أذرع... وأمام الكعبة (بئر زمزم)، وأحيط بها مجموعة من التماثيل الصغيرة لآلهة الوثنيين، وتمثالين كبيرين للإله (هبل) وللشاعرة الجاهلية (الخنساء).. كما أقيمت حول الكعبة بيوت فى الجبل المحيط، روعى فيها نفس الطرز، وكذلك بالنسبة لمضارب القبيلة وتكويناتها وتشكيلاتها التى اقيمت فوق رمال صحراء سقارة المجاورة لها.. وكذلك أقيمت نماذج لبيت الرسول، وبيت أبي سفيان، وخيمة الحارث، وخيمة

الملذات، وأصحاب الرايات الحمر.. والديكورات كانت جديدة فى تكوينها.. وغنية فى بنائها..

أما الملابس والأكسسوار فقد قام بتصميمها فنان السينما "شادى عبد السلام" (مخرج فيلم المومياء فى ذلك الوقت) ونفذها مع عبد الفتاح البيلي وسامية عبد العزيز وأنسى أبو سيف ومحمود المغربى وعبد الله رجب.. وقدرت تكاليفها وحدها ٣٠ ألف جنيه من ميزانية الفيلم، وقد روعى فيها الطراز فى الأزياء، مع إضافات لمسات درامية مثل رموز اللون الأحمر للدماء، والأسود للظلام، والأبيض للنور.. كما روعى فى الأكسسوار الأوانى والشموع والحلى ومختلف أدوات الزينة الإسلامية والجاهلية وفقاً لدراسات أجريت فى المتحف الإسلامى ومن أهم المراجع التاريخية.. وكانت الدكتورة "سعاد ماهر" أستاذة التاريخ الإسلامى مستشارة تاريخية للفيلم.. كما كان فضيلة الشيخ "عبد الحكيم سرور" من كبار علماء الأزهر مستشاراً دينياً له.. حيث كانا مصاحبين للفيلم فى معظم خطواته الفنية!.

* * *

تغيير فى الأدوار الرئيسية

وشح لبطولة الفيلم ـ فى البداية ـ سعاد حسنى (فى دور ليلى) ، ونور الشريف (فى دور هاشم)، ومحمود مرسى (فى دور الحارث) وسميحة أيوب (فى دور سلمى) وعبد الوارث عسر (فى دور الفضل).. وبدأ المخرج عاطف سالم بالفعل تصوير عدة مشاهد قصيرة من الفيلم بطريقة (السينما سكوب).. وفجأة وقع للمخرج عاطف سالم حادث تصادم دخل على أثره المستشفى.. وامتدت فترة علاجه، حتى انها استلزمت سفره إلى لندن لإتمام العلاج.. وسافر عاطف سالم بالفعل.. وتعطل العمل فى الفيلم!.

ولما كانت ميزانية إنتاج الفيلم قد فتحت، وبدأ سيل المصروفات يذهب إلى أعماله المتعددة والمختلفة خشيت المؤسسة على أموالها.. فقررت إسناد إخراج الفيلم للمخرج صلاح أبو سيف..

وبدأ العمل من جديد.. ولكن صلاح أبو سيف رأى أن يعيد النظر فى مشاهد من السيناريو.. وبالتالى فى بعض الأدوار.. فطلب بعمل تعديلات على السيناريو كتبها بنفسه استغرقت بعض الوقت وبمشاركة عبد الحميد جودة السحار صاحب القصة والسيناريو والحوار الأصلى للفيلم.. كما ألغى فكرة تصوير الفيلم بعدسات (السينماسكوب)!

فقد رأى "صلاح أبو سيف" ـ وهو الذى يشارك بنفسه فى معظم سيناريوهات أعماله ـ أن يركز فى فيلمه (الديني) على المعانى الإنسانية والفكرية فيه.. فيجعل الصراع فى الفيلم رمزًا لكل صراع بين القديم والجديد، أو بين التخلف والتقدم.. بحيث يحمل الفيلم وجهة نظر صاحبه!

* * *

وجاء الدورعلى الممثلين.. وكانت قد أثيرت مشكلة اختيار "سعاد حسني" لدور البطولة فى الصحف والمجلات.. بدأ الجدل فى مؤسسة السينما ثم انتقل إلى بعض السينمائيين ومنهم إلى الإعلام.. وكان الذى رشحها مع نور الشريف لبطولة الفيلم هو "عاطف سالم".. فقد قالوا له: انها عارية فى كل الأفلام!! وفى نفس الموسم الذى يمكن أن يعرض فيه فيلمها الإسلامى سوف يعرض لها فيلم (زوجتى والكلب) وذلك غير جائز!

ورد وقتهاعاطف سالم قائلاً: إن دور سعاد فى هذا الفيلم ليس دوراً تدعو فيه إلى الدين أو تقود حملة .. انها مجرد جارية من الجوارى اللاتى كن تزدحم بهن بيوت أثرياء العرب فى الجاهلية.. وليس دورًا طويلاً.. لأن البطولة فى هذا الفيلم للنجم محمود مرسى وحده..

ويتكلم آخرون..

ـ ولو افترضنا أن لها دوراً.. ان سعاد ممثلة.. تؤدى ما تقتنع به من أدوار وتقبل تمثيله.. وقد شاهدنا فى أفلام أجنبية ممثلات عظيمات يؤدين فى فيلم دور الراهبة، وفى آخر دور بنت من بنات الليل!

فيرد أحدهم عليه

ـ ذلك جائز فى الأفلام الأجنبية لأن لها جمهوراًخاصاً.. ولكنه ليس جائزاً فى السينما العربية، وفى الفيلم الإسلامى بالذات..

واحتدمت المناقشات حتى ذهبت سعاد حسنى إلى عاطف سالم لتقول له:

ـ إنى أحلك من الوعد والعقد.. وأقبل أى تصرف تراه مناسباً، مع العلم اننى مشغولة طوال هذا الموسم ومرتبطة بأعمال كثيرة.. ولن يغضبنى أبدًا أن تعفينى من دورى فى (فجر الإسلام)..

ورضخ عاطف سالم للضغوط[١٧].. وفكر مع رجال المؤسسة فى وجه يتسم بالبراءة، وفى نفس الوقت لاتكون صاحبته قد مثلت أفلاما بها مشاهد عارية أو أخرى تبرز مفاتنها!.

ووقع الاختيارعلى مذيعة التليفزيون "نجوى إبراهيم" التى كانت قد أنهت دورها الأول مع يوسف شاهين فى فيلم (الأرض).. ولكن كانت هناك مشكلة بالنسبة لنجوى إبراهيم وهى أن هناك قرارا قد صدر بعدم السماح للعاملين فى التليفزيون بالعمل خارجه .. فاضطرت المؤسسة للجوء إلى وجيه أباظه ـ محافظ القاهرة وقتها ـ بالتدخل لدى أمين حماد رئيس التليفزيون باستثنائها مرة أخرى كما حدث مع فيلم (الأرض) للاضطلاع ببطولة فيلم (فجر الإسلام) فوافق رئيس التليفزيون!.

أما نور الشريف فقد انشغل أثناء فترة توقف الفيلم بالتصوير فى فيلمين دفعة

واحدة[١٨]! فاستبدل بالمذيع التليفزيون أيضًا "عبد الرحمن علي" الذى رشحه صلاح أبو سيف بعد أن رآه فى أول أدواره فى فيلم (ميرامار)، ولم تكن بشأنه أية مشكلة، لأنه لم يكن معيناً بالتليفزيون فى تلك الفترة، بل كان يعمل فيه بالقطعة!.

كما رشح صلاح أبو سيف الممثل يحيى شاهين فى دور (الفضل) بدلاً من عبد الوارث عسر لانه لا يريد ضعفاً فيمن يمثل الإسلام أمام قوى البغي، كان يريده نداً قوياً.. وكذلك غير فى بعض الأدوار المساعدة فرشح حمدى أحمد ومحمود فرج وأحمد توفيق بدلاً من إبراهيم سعفان وحسن حسين وعبد السلام محمد.. واعطى سعيد خليل دوراً آخر غير الذى رشح إليه!.

* * *

الشيوخ يختلفون حول ماكياج سميحة أيوب!!

بدأ تصوير الفيلم ـ بوضعه الجديد ـ فى نوفمبر عام ١٩٦٩، وانتهى تصويره فى مايو عام ١٩٧٠، أى استغرق تصويره ستة أشهر، ولكنها لم تكن فترة متصلة حيث توقفت لبضعة أسابيع متفرقة بسبب مرض كل من: صلاح أبو سيف وسميحة أيوب وعبد الرحمن على المفاجيء من برد الشتاء.. فضلاً عن بعض المشكلات التى واجهت التصوير نفسه من عوامل اختلاف المناخ والتعامل مع مجموعة كبيرة من البشر (المجاميع)، وكذا مجموعة كبيرة من الحيوانات (الخيول والجمال) وتدريبات الممثلين واعتيادهم عليها!.

وأدار التصوير عبد العزيز فهمى ما بين (أبورواش) و(سقارة) و(استوديو مصر)، وصور الفيلم بالألوان مصطفى إمام بمساعدة محمود بكر ويوسف حافظ وحسين على وعبده عبد الغني، والطريف ان شادى عبد السلام قد شارك فى ضبط بعض عناصر التصوير من ناحية الألوان!. وكان التصوير مميزاً لبراعة عبد العزيز فهمى فى إضفاء قيمة درامية للصورة، والبعد قدر الإمكان عن الصورة

الوصفية التقليدية.. وهو مصور ينزع إلى التجديد بطبيعته، وجل أعماله تشهد بذلك ـ خاصة فى تلك الفترة (حيث انجز المومياء وزوجتي والكلب وفجر الإسلام) ـ فالصورة لديه تمر بأبعاد ذاتية ممتزجة برؤاه التشكيلية للضوء والزوايا والخلفية مما يكسبها عمقاً ولغة شديدة الخصوصية!.

وقد ساعد صلاح أبو سيف فى هذا الفيلم سبعة مخرجين لأول مرة هم: عبد الفتاح مدبولى وإسماعيل عبد المجيد وفوزى على وإبراهيم فتحى ويوسف إبراهيم ومحمد شحاته ولبيب سوادة.. وقام فؤاد الظاهرى بوضع الموسيقى التصويرية المتميزة بالجمل المستوحاة من التراث الشرقى الإسلامي.. وقام بعمل المونتاج حسين عفيفي، والصوت نصرى عبد النور..

* * *

وقد وقعت أثناء تصوير الفيلم فى صحراء الهرم ظاهرة غريبة تشبه المعجزة.. حيث كانت فى تلك الفترة حرب الاستنزاف دائرة بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية على جبهة القتال، وحدث أن مرت عدة طائرات مسرعة، فخلفت وراءها دخاناً كثيفاً.. وبعد قليل تكونت من الأدخنة كلمة (محمد)!! فلاحظها بوضوح كثير من العاملين بالفيلم وهللوا.. فاسرع صلاح أبو سيف وعبد العزيز فهمي بتصوير الكلمة من السماء.. واستخدموها بعد ذلك أثناء عملية المونتاج فى مشهد تتلى فيه آيات قرآنية[١٩]..

قام العديد من سفراء الدول الإسلامية بالقاهرة بزيارة موقع التصوير ورؤية بعض المشاهد التى تصور بجوار نموذج الكعبة الذى تم بناؤه بالحجم الطبيعي.. وقد التقوا بنجوم العمل وفنيه، واشادوا بمجهوداتهم فى عمل فيلم دينى كهذا.. كما دار حوار طويل بينهم وبين صلاح أبو سيف وعبد الحميد جودة السحار عن الحاجة الملحة للمتفرج العربى والمسلم إلى الفيلم الديني.. وأن القاهرة بصفتها مركزاً للإشعاع الدينى والثقافى فى المنطقة يمكنها أن تلعب دوراً متعاظماً فى نشر

هذا اللون من الفنون التي تلمس شيئًا ما بداخل نفوس المشاهدين.. كما اشادوا بحرص الفيلم على الاستعانة برجال الأزهر الشريف واساتذة العمارة والفنون الإسلامية.. وقد حضر اللقاء الشيخ عبد الحكيم سرور (المستشار الديني للفيلم)، والدكتورة سعاد ماهر (كمستشارة تاريخية للفيلم).

كما حضر التصوير وفد سينمائي سوفييتي برئاسة المسئول عن إنتاج الأفلام الروائية في "الاتحاد السوفيتي" ـ في ذاك الوقت ـ واشاد بامكانات السينما المصرية في إنتاج أفلام تاريخية ودينية ضخمة وعلى مستوى عالمي.. ثم تعاقبت بعض الوفود السينمائية الأجنبية الأخرى، وقد أبهرهم الإخراج والتصوير والتمثيل!.

* * *

وقد حرص عبد الحميد جودة السحار على دعوة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد الفحام شيخ الجامع الأزهر ـ في ذلك الحين ـ لحضور ما تبقى من تصوير لآخر مشاهد الفيلم بعض ما تم انجازه بالفعل في عرض خاص باستوديو مصر.. فقام فضيلة الإمام الأكبر ـ ولأول مرة في تاريخ الأزهر ـ بإنابة وفد عنه من كبار رجال الأزهر يمثله لحضور آخر أيام تصوير فيلم (فجر الإسلام) ولقاء الممثلين والممثلات في مواقع التصوير!!

وكان الوفد مكوناً من: الشيخ عبد الحكيم سرور (مدير الشئون العامة بالأزهر) والدكتور أحمد مهنا (مدير إدارة البحوث)، والشيخ محمود عبد العزيز متولي (عضو لجنة تقنين الشريعة) ، والشيخ علي العريض (مفتش وعظ القاهرة)، والشيخ علي الذهبي (وكيل معهد القاهرة الديني)، ومحمد عبد الكريم (عضو فني مكتب شيخ الأزهر).. فضلاً عن مجموعة من رجال السلك الدبلوماسي ورجال الدين من بعض الدول الإسلامية!.

وقد أمضى هذا الوفد الكبير يوماً كاملاً مع الفنانين والفنانات المشتركين في

تصوير الفيلم.. دارت فيه مناقشات مهمة حول الفن ودوره في خدمة الحياة.. وكانت ملاحظات علماء الأزهر تجد طريقها إلى إسماع الفنانين .. ودخل رجال الأزهر غرف ملابس الفنانين، وشاهدوا عملية الماكياج.. وظل الشيخ على العريض ينظر إلى وجه سميحة أيوب وهو أمام المرآة، ويد الماكيير الماهرعبد الوهاب قطب ترسم خطوط الماكياج فوقه.. ثم قال لها: (هذا حرام)!! فرد عليه الشيخ عبد الحكيم سرور قائلاً: (هذه وسيلة للإقناع.. وإذا كان هدف الفن هو الإقناع لما فيه خير المجتمع.. فلا حرام فيه)..

وبعدها طاف رجال الأزهر ورجال السلك الدبلوماسي للبلاد الإسلامية بهيكل الكعبة المقام في الصحراء، وكان برفقتهم المخرج والمؤلف ومدير التصوير، ومن أبطال الفيلم يحيى شاهين وسميحة أيوب وعبد الرحمن علي. ثم انتقل الجميع إلى استوديو مصر وشاهدوا أجزاء من الفيلم، وقبل أن يغادر رجال الأزهر الاستوديو، التقى بعضهم مرة أخرى بسميحة أيوب مهنئين وقال لها أحدهم: (ألف مبروك: لقد اقنعني تمثيلك لحظة النطق بالشهادتين إننا نبارك هذا الفيلم العظيم.. وسأطلب من الإمام الأكبر مساهمة الأزهر المادية فيه)!.

* * *

كما شاهدت أيضًا سيدة الغناء العربي "أم كلثوم" أجزاء من الفيلم .. وحضرت تصوير بعض المشاهد منه في استوديو مصر.. واشادت به.. وقالت للسحار ولصلاح أبو سيف اللذين كانا يرافقانها مع محمد الدسوقي ـ ابن شقيقتها وأحد رجال مؤسسة السينما في ذاك الوقت ـ: (هذا عمل مشرف للغاية.. أنني أتمنى أن أغني في هذا الفيلم.. وسأعتبر ذلك مساهمة بسيطة مني لعمل قومي رائع)!.

وطبعاً لم تغن "أم كلثوم" في الفيلم كما تمنت وكما ظهر في صورته النهائية..

ولا أحد يعلم حتى الآن ما السبب فى عدم تحقيق هذه الأمنية.. التى طلبتها بنفسها!

* * *

شخصيات من وحى الخيال!

تدور قصة الفيلم حول الحارث (محمود مرسي) الذى يمثل أبشع أنواع السيطرة الجاهلية، عمله هو غزو القوافل، وفرض الإتاوات لتأمين بعضها.. يقع ابنه هاشم (عبد الرحمن علي) ـ الذى يعد لخلافة أبيه ـ فى حب ليلى (نجوى إبراهيم) جارية شريكه الفضل (يحيى شاهين).. ولا يفهم أحد كيف يحب واحد من سادة العرب جارية تباع وتشترى.. وتعارض سلمى (سميحة أيوب) هذه العلاقة معارضة شديدة.. ويقتل حسان(إبراهيم عبد الرازق)أخو سلمى فتتهم الفضل بقتله، وتطلب من ابنها هاشم أن ينتقم لمصرع خاله..

يتزود هاشم لرحلة إلى مكة حيث سبقه الفضل، لكى ينفذ طلب أمه، ولكن فى مكة يشغله أمر آخر هو الدعوة إلى الإسلام.. وعلى يدى النبى "ﷺ" يؤمن هاشم بالدعوة الجديدة.. ويجد أن غريمه الفضل قد سبقه إلى الإيمان، وهكذا يلتقيان لقاء الاخوة..

ويعود المسلمون القلائل لكى يبشروا قبيلة الحارث خفية بالدين الإسلامي، لكنهم يواجهون بطغيان الحارث الذى يرى فى الدين الجديد بعداً عن العبادات التى نشأ عليها، فضلاً عن أنه تهديد لمصالحه الشخصية..

وعلى مدى الأيام يستطيع أن يكسب الإسلام بصدقه وبساطته كثيرا من المعارضين له، بل يصل الأمر إلى أن يكتسب سلمى التى كانت تعارضه، ولا يبقى سوى الحارث نفسه الذى يتمسك فى صلف بمجتمع ينهار حوله.. إلى أن يجرف النور تيار الظلام والتخلف!.

* * *

وشخصيات القصة السينمائية كما نرى ليست شخصيات حقيقية لها صفاتها التاريخية، بل هى شخصيات من وحى الخيال.. رأى "السحار" أن يلبسها رداء العصر الذى جرت فيه الأحداث التاريخية قبيل وإبان ظهور الإسلام والدعوة المحمدية، خرج فيها المؤلف مع المخرج عن الإطار التقليدى للحدوتة إلى آفاق جديدة تعتمد على روافد الصراعات الصغيرة التى تنمو بشكل تصاعدى حتى تتحول فى النهاية إلى صراع جوهرى بين القديم والجديد ، بين الشر والخير، بين مجتمع ينهار ومجتمع يصعد، بين علاقات عبودية تحتضر وعلاقات تحكمها قيم المجتمع الإسلامى آخذة فى النمو(٢٠)..

* * *

● ومن آراء "عبد الحميد جودة السحار" حول الفيلم يقول:

ـ لطالما فكرت فى تحويل تراثنا الإسلامى والمسيحى إلى رؤى سينمائية.. والذى يحزننى حقاً، هو خلو فيلمنا العربى من مثل هذه الموضوعات التى يمكن أن تثريه، والتى يمكن عن طريقها إحياء الوجدان العربى بسخاء التراث، والسينما إحدى الوسائل المستحدثة التى يمكن أن تلعب مثل هذا الدور.. ولقد كافحت فى الماضى لتقديم مثل هذه الألوان عندما كنت أمارس كتابة السيناريو، وطوال عشرين عاماً ضقت ذرعاً بالمتجين الذين كانوا يخشون الإقدام على مثل هذه الأفلام بحجة أن المشاهد لا يقبل عليها، وهذا ضد الواقع.

ولقد رأينا أفلاماً تاريخية ودينية أرسلتها عواصم السينما إلى بلادنا ظلت تشد الجمهور عشرات الأسابيع..

● أما المخرج "صلاح أبو سيف" فيقول:

ـ البساطة فى التعبير مع البلاغة هو ما أسعى إلى تحقيقه.. وأنا أحاول أن استغل الكاميرا للتعبير عن الموقف.. بحيث أقنع المتفرج العادى بما أنقله إليه..

وكما نرى أن زمن الفيلم الذى تجرى أحداثه هنا قبيل ظهور الإسلام، وأثناء

بدايات انتصار الدعوة نفسها، وهنا أجدنى أريد أن أنقل من خلال الفيلم هذه المعانى بشكل أساسي:

أولاً: كيف جاء الإسلام للمجتمع؟ وماذا جاء به الدين الجديد.. وكيف ظهر الإسلام كضرورة اجتماعية ومادية وفكرية عندما تفاقمت علاقات المجتمع العبودى وتهرأت أوصاله..

ثانياً: الصراع بين القديم والجديد.. بين مجتمع فاسد ينهار، وقوى جديدة تصعد..

ثالثاً: استغلال الماضى لتقديم معان حاضرة ومستقبلية من خلال الإسقاطات التاريخية والاجتماعية والفكرية.. أريدأن أقدم فيلماً يتحرى الحقيقة التى نبحث عنها الان، ويقدم حضارتنا العربية بكل مقدراتها وهى تواجه الفكر الصهيونى وسياج الإمبريالية!..

* * *

● ويقول مدير التصوير "عبد العزيز فهمي":

ـ عناصر الصورة فى هذا الفيلم خضعت فى رؤيتى إلى ثلاثة أسس:

أولاً: ـ الصورة كانطباع، لا كرؤية مباشرة.. بحيث تقول أو تترجم معانى فى وجدان المشاهد، ومن هنا تكتسب الصورة معنى ديناميكياً.

ثانياً: الاعتماد أساساً على علاقة الشيء الذى أصوره بموطنه فى الواقع.. بحيث تكون هارمونية مكتملة للصورة..

ثالثاً: لغة الصورة تنزع إلى التجديد من خلال استخدامى للأدوات والزوايا والتكوينات.. فكل كادر يبحث عن معنى أو يعبر عن فكرة أو يتلمس هدفاً..

● أما الممثل "يحيى شاهين" يقول:

ـ فى هذا الفيلم كان هناك مشهد أدخل فيه الحرم النبوي، وأرى النبى "ﷺ" من خلال بقعة ضوء فألقى عليه السلام.. وسجلت الكاميرا المشهد، وحاول صلاح أبو سيف أن يوقفه للإعادة فلم استطع.. كنت قد اندمجت إلى أقصى درجة.. الطريف أن أبو سيف أعاد المشهد مرة أخرى،ولكنه فى المونتاج اختار المرة الأولى التلقائية!

وقد قادنى تمثيل هذا المشهد إلى أداء فريضة الحج، ثم أداء العمرة مع اسرتى فى كل عام!.

● ويقول الممثل "عبد الرحمن علي":

ـ فوجئت بترشيح المخرج صلاح أبو سيف لدور "هاشم".. وكان هذا الدور أول بطولة مطلقة لى فى السينما، بعد أن مثلت أحد أدوار فيلم (ميرامار) .. وكنت فى غاية السعادة أن أمثل فيلما دينيا ومع كبار نجوم السينما وكبار فنييها.. وكانت ظروف التصوير صعبة جداً بالنسبة لى حيث كنا نعمل ليل نهار فى أجواء متقلبة شديدة الحرارة وشديدة البرودة.. حتى إننى مرضت أكثر من مرة.. وقد هفا قلبى جداً لزيارة الكعبة حيث عايشت هيكلها لشهور طويلة.. وقد تحقق حلمى بالحج قبل أن يداهمنى المرض!..

* * *

عرض فيلم (فجر الإسلام) فى أول فبراير عام ١٩٧١ فى دار سينما ديانا بالقاهرة.. وفى العديد من محافظات مصر.. وكانت مدة عرضه ١٢٠ دقيقة.. ثم بعد ذلك بيع لكل الدول العربية والإسلامية.. وكان من الأفلام القليلة التى حققت ربحاً كبيراً لمؤسسة السينما (القطاع العام) التى كانت تشكو من خسارة معظم أفلامها.. ومع ذلك لم يسلم من النقد اللاذع.. حتى أن البعض طالب بأن توجه مثل هذه الميزانية إلى مجموعة أفلام قليلة التكاليف بدلاً من عمل فيلم واحد ضخم!!.

١٢ - (الشيماء)

أباح الإسلام الغناء والموسيقى ما لم يقترن أو يشتمل على منكر أو محرم بنص قطعي.. ولا يحرم الغناء والموسيقى إلا إذا اقترنا بمعصية كما جاء في بيان شيخ الجامع الأزهر «جاد الحق على جاد الحق» عن سمات الحلال والحرام [٢١].. وهو قول متواتر عن معظم أئمة الإسلام الذين تطرقوا لهذا الموضوع على مر العصور.. وقد أفرد الإمام «أبو حامد الغزالي» باباً كاملاً في كتابه الشهير (إحياء علوم الدين) بعنوان (السماع)..

وهناك آراء كثيرة ومواقف عديدة لمشايخ الجامع الأزهر على مر العصور، منها أن الشيخ محمد الحفني -وهو من كبار علماء الأزهر- كان يؤلف الأغاني للمغنيين.. وأن الشيخ حسن العطار -شيخ الجامع الأزهر السادس عشر- كان ذا ولع شديد بالسماع وعلى معرفة تامة بأصوله.. وللشيخ محمود شلتوت -شيخ الجامع الأزهر السابع والثلاثين- فتوى معروفة ومفصلة في كتابه الشهير (الفتاوى).. وللفقهاء على مر العصور آراء واضحة حول هذه القضية.. بل ثبت في كتب الأثر أن بعض هؤلاء الفقهاء والعلماء -ومنهم إبراهيم بن المهدي وإسحق الموصلي- كانت لهم اليد العليا في تطوير هذا الفن وتجويده.. حتى أن أداء عدد كبير من شيوخ قراء القرآن قد اتسم بكل مقومات الأسلوب العلمي للغناء الشرقي، بل والأوبرالي الحديث.. وأن نجوم الطرب الذين برعوا في الغناء قد تدربوا في مدرسة المشايخ وعلمهم الواسع بالتجويد كما جاء في أطروحة أكاديمية أشرفت عليها جامعة الأزهر [٢٢]!!

ويؤكد الدكتور محمد عمارة أن السنة النبوية مليئة بالأحاديث التي نتعلم منها إباحة الغناء عندما يكون سبيلاً للاستمتاع النظيف وتجديد النشاط الإنساني ورفع

حرج المشقة عن النفس الإنسانية ومظهراً للسرور فى المناسبات أفراحاً كانت أو أعياداً، فالرسول «صلى الله عليه وسلم» سمع الغناء فى بيت النبوة وبيوت الصحابة، بل وطلبه من أم المؤمنين عائشة، وهى تزف فتاة إلى بيت من بيوت الأنصار، طلب منها أن تبعث مع العروس من يغنى لأن الأنصار كما قال يحبون اللهو (الغناء).. وأن الإمام ابن حزم -وهو من هو فى الدراية بالنصوص والرواية والرواة- قد أثبت أن جميع المرويات التى رويت فى تحريم الغناء موضوعة ومعلولة!.

أما الدكتور عبد الصبور شاهين فيقول:

- إن الموسيقى فى ذاتها وكذلك الغناء فى ذاته، ليسا بحرام ولا يعترض عليهما الشارع، ماداما لا يدعوان إلى فساد أو محرم.. وقد أباح الرسول «صلى الله عليه وسلم» للجاريتين أن تغنيا فى بيته، وأمر أبا بكر أن يدعهما، كما استمع إلى غناء الحبشة..

وهناك فتاوى عديدة أدلى بها مُفْتُون جلسوا على مر الأزمنة فى دار الإفتاء المصرية تحسم هذه المسألة.. لعل آخرها ما صدر عن الدكتور محمد سيد طنطاوى -حينما كان مفتياً للديار المصرية- أن الغناء ليس حراماً على إطلاقه أو حلالاً على إطلاقه.. وأن العبرة بالمعنى.. فإذا كان يدعو إلى مكارم الأخلاق فهو حلال، وإذا كان يدعو إلى الرذائل فهو حرام.. فالرسول «صلى الله عليه وسلم» حينما كان يحفر الخندق هو وأصحابه فى غزوة الأحزاب كانوا يرددون بعض الأغانى بغية طلب العون والمدد..

***

ميزانية الفيلم قابلة للنقصان لا للزيادة!!

التقط المؤلف «على أحمد باكثير» من سيرة «حليمة السعدية» مرضعة رسول

الله «صلى الله عليه وسلم» وابنتها «الشيماء» التى تحب الغناء، وكتب منها مسرحية غنائية بعنوان (شادية الإسلام) فى خمسة فصول (٢٣).. والمسرحية لها سند تاريخى، ولكنه نسج لها من خياله الخصب أحداثاً درامية مشوقة!. و«باكثير» معروف عنه هذا الاجتهاد الدرامى الذى أوقع الباحثين والكتاب بعده فى مآزق شتى.. حيث اعتمد البعض على أعماله فتناقلوها وكأنها حقائق تاريخية بينما هى من وحى خياله. ولعل أشهر أعماله فى هذا الصدد روايته المعروفة (وا إسلاماه)!.

وكانت مرضعات النبى «صلى الله عليه وسلم» قد انحصرن فى أمه، ثم ثويبة، ثم أم الحمزة، ثم حليمة بنت أبى ذؤيب بن عبد الله بن الحارث من بنى سعد والمسماة «بحليمة السعدية» والتى شب عندها..

وفى حديث الزهرى عن ابن سعد قال: كانت حليمة لا تدع «محمدا» يذهب مكاناً بعيداً إلا وكان فى صحبته أخوه عبد الله أو أخته الشيماء.. كما ثبت أنهما كانا يلاعبانه ويغنيان له!.

وجاء فى سيرة ابن هشام: عن ابن إسحق أن اخوته فى الرضاعة ثلاثة هم: عبد الله بن الحرث، وأنيسة بنت الحرث، وخذامة بنت الحرث وهى (الشيماء).. وقد غلب ذلك على اسمها فلا تعرف فى قومها إلا به، وهم لحليمة بنت أبى ذؤيب أم رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمه إذ كان عندهم (٢٤).

***

كانت مؤسسة السينما قد فرغت من تصوير فيلم (فجر الإسلام).. وكانت الأقلام قد بدأت تتناول بالنقد العنيف تكاليف إنتاج الفيلم الباهظة -من وجهة نظرهم!- وأن إيرادات الفيلم المذكور لم تحقق ربع تكاليف إنتاجه!. وعبثاً يحاول «عبد الحميد جودة السحار» رئيس المؤسسة -هيئة السينما فيما بعد- أن

يرد عليهم بالبيانات الرسمية أن الفيلم الدينى يعمر طويلاً ويحقق أرباحاً تفوق كل التوقعات.. بدليل أن الأفلام الدينية السابقة مازالت تطلب بإلحاح وتعرض فى كل أنحاء العالم.. وحتى (فجر الإسلام) فإنه يعرض فى معظم الدول العربية، فضلاً عن العروض التى تقدمت إلى شركة التوزيع من الباكستان وماليزيا وإندونيسيا والفلبين والهند وإيران ونيجيريا.. فضلاً عن أن سياسته منذ تولى أمور المؤسسة هى إلغاء مبدأ القيد الذى فرض على ميزانيات الأفلام المصرية للعمل على تطويرها، وتشغيل الاستوديوهات وإعادة المهاجرين من الخارج للنهوض بصناعة السينما المصرية (٢٥).

وعندما تطرق الحديث للمبانى والديكورات المكلفة التى أقيمت فى الصحراء من أجل تصوير فيلم (فجر الإسلام) فقط.. وعد «السحار» باستغلالها فى أعمال دينية أخرى يجرى الإعداد لها.. والحقيقة أن هذه الأفكار كانت متسقة مع سياسته فى تنشيط هذا الاتجاه الفنى..

***

وكانت مؤسسة السينما قد تعاقدت على شراء مسرحية (شادية الإسلام) من ورثة الأديب الراحل «على أحمد باكثير» بألفى جنيه، وكلفت الكاتبين «عبد السلام موسى وصبرى موسى» بكتابة سيناريو الفيلم، بينما كتب الحوار «عادل عبد الرحمن»..

و«على أحمد باكثير» كاتب إندونيسى الأصل من والدين حضرميين، عاش صدر شبابه فى اليمن، ثم تعلم فى الجامعة المصرية وتخرج فيها.. تعمق فى دراسة التاريخ الإسلامى وله إنتاج رائع فى الشعر والقصص التاريخى والمسرحى والتاريخ الإسلامى.. تجاهله النقاد كثيراً برغم كم وتنوع وجودة أعماله التى تصل إلى أكثر من ٣٥ مؤلفاً، فضلاً عن الملحمة الإسلامية الكبرى «عمر» فى ١٩ جزءاً.. توفى عام ١٩٦٩.

ومن مؤلفاته: قصر الهودج، شيلوك الجديد، سر الحاكم بأمر الله، الثائر الأحمر، سر شهرزاد، دار ابن لقمان، وجلفدان هانم.. وقدمت له السينما: (سلامة) ١٩٤٥، و(مسمار جحا) ١٩٥٢، و(وا إسلاماه) ١٩٦١، و(الشيماء) ١٩٧٢.

***

رشحت المؤسسة المخرج «حسام الدين مصطفى» لإخراج فيلم (الشيماء).. وقد تحمس المخرج لفيلمه الجديد إلى درجة فائقة.. وبذل مع كاتبى السيناريو، وكذلك فى التصوير جهداً كبيراً فى أن يتسم فيلمه (الدينى) بالحركة والإيقاع السريع والمعارك الحربية والمجاميع ليختلف كلية عن الأفلام الدينية التقليدية، وذلك بالرغم أنه فيلم غنائى أيضاً حسب الشخصية المرسومة فى المسرحية الأصلية!.

وقد رصدت ميزانية للفيلم تقدر بنحو مائة ألف جنيه قابلة للنقصان لا للزيادة.. فقد كان من حظ «حسام الدين مصطفى» أن أقبل على إخراج هذا الفيلم وسط موجة من الاحتجاجات -الغريبة- على تصرفات مؤسسة السينما فى إنفاقها على الأفلام الدينية والتاريخية.. مما أدى إلى توقفها تماماً عن إنتاج هذه النوعية من الأفلام -بعد فيلم (الشيماء)- وحتى توقف نشاط الدولة عن الإنتاج كلية عام ١٩٧٤!.

***

مخرج (الرسالة) يشارك فى (الشيماء)!!

بدأ تصوير فيلم (الشيماء أخت الرسول) بالألوان فى أول مارس عام ١٩٧١ بالمشاهد الخارجية التى استغرقت ٣٦ يوماً فى صحراء سقارة وواحات النخيل المحيطة بالقاهرة وفى حضن جبل (أبو رواش) حيث هيكل الكعبة الذى تم بناؤه

سابقاً.. بينما كانت المشاهد الداخلية فى ستوديو مصر والأهرام واستغرقت ٤١ يوماً، أى أن الفيلم تم تصويره فى ٧٧ يوماً.. وكان الفيلم مقرراً له ثلاثة أشهر، ولكن المخرج حرص على ضغط التكاليف حتى لا يوقع المؤسسة فى حرج.. وبناء عليه هبطت تكاليف إنتاج الفيلم الفعلية من مائة ألف جنيه إلى ٩٠ ألفاً فقط!.

وقد بلغ عدد الخيول التى استعملت فى الفيلم ٢٥٠٠ حصان و١٥٠٠ جمل فضلاً عن حوالى خمسة آلاف من المجاميع ما بين رجال ونساء وأطفال.. وقام بالإشراف على الإنتاج وتنفيذه «عبد السلام موسى» أحد كاتبى سيناريو الفيلم، وكان يشغل -فى ذات الوقت- منصب مدير عام للوحدة الإنتاجية الثانية بالمؤسسة المصرية العامة للسينما!.

قام بتصوير الفيلم «أحمد خورشيد» فى آخر أعماله على الشاشة.. حيث توفى فى ٢٣ ديسمبر عام ١٩٧٣ أى بعد عرض الفيلم بحوالى عام وبضعة أشهر..

و«خورشيد» حاصل على دبلوم الدراسات العليا الفرنسية عام ١٩٣٥، وعمل باستوديو مصر منذ افتتاحه، وشارك فى تصوير جريدة مصر الناطقة، ثم أنشأ مع زوجته معملاً خاصاً للتصوير والتحميض السينمائى، وعمل استاذاً ورئيساً لقسم التصوير بالمعهد العالى للسينما.. صور أكثر من ٦٠ فيلما روائياً طويلاً.. وحصل على عدة جوائز فى التصوير السينمائى عن أفلام: السوق السوداء، الماضى المجهول، حياة أو موت، صراع فى الوادى، غرام الأسياد، البوسطجى، وشىء من الخوف..

***

وقد تضمن الفيلم بصفته غنائياً، أو عن «شادية الإسلام» ثمانى مقطوعات غنائية كتبها «عبد الفتاح مصطفى»، ولحنها: بليغ حمدى ومحمد الموجى وعبد العظيم محمد.. وقامت بغنائها المطربة «سعاد محمد».. وهى لها سبق المشاركة

فى الفيلم الدينى.. حيث غنت بصوتها أغنيات فيلم (شهيدة الحب الإلهى) الست على أداء تمثيلى للممثلة عايدةهلال..

أما فى (الشيماء) فكان بأداء تمثيلى للممثلة سميرة أحمد.. والأغنيات هى: (أشرقى شمس الهدى)، و(كما شاق الدنيا مولده)، و(النجاة)، و(طلع البدر علينا)، و(صدق وعده)، و(وا جريحاً)، و(وما يرى جراحى)، و(كم ناشد المختار ربه)..

ولم ينفذ الفيلم إلا بعد موافقة الأزهر عليه من حيث الموضوع والسيناريو والحوار، بل والأغانى أيضاً!.

أما الفنيون فقد قام بهندسة المناظر «عبد المنعم شكرى» لخبرته الواسعة فى هذا المجال، وبتصميم الملابس «سامية عبد العزيز ووجدى ناشد»، وبالموسيقى التصويرية «شعبان أبو السعد»، والصوت «نصرى عبد النور».. وصور الفيلم «عبد اللطيف فهمى»، وقام بالمونتاج «سعيد الشيخ».. وقد ساعد المخرج أربعة مساعدين كبار وشبان هم: أحمد السبعاوى وجمال عمار ونجيب اسكندر ونادية حمزة..

***

وحدث أثناء تصوير فيلم (الشيماء) أن حضر إلى موقع التصوير المخرج الأمريكى -السورى الأصل- «مصطفى العقاد».. ومضى لعدة أيام يتابع ويشارك -بالمساعدة المحدودة- المخرج حسام الدين مصطفى فى الفيلم.. وكان «العقاد» وقتها يعد لإنتاج وإخراج فيلمه الكبير (محمد رسول الله) الذى ظهر إلى الناس باسم (الرسالة).. وقد حدث أن واجهت «مصطفى العقاد» بهذه الواقعة ذات مرة فى مقابلة معه تمت فى منتصف الثمانينيات فأنكرها فى البداية!! وعندما ألححت فى تأكيدها.. عاد وقال متذكراً: إن حسام الدين مصطفى صديق وزميل دراسة

قديم، وقد قمت بزيارته لرؤيته ولمشاهدة عمله الذى كان يصوره فى تلك الفترة!. (واكتفى بذلك)!.

و«مصطفى العقاد» هو بالفعل خريج نفس الجامعة التى تخرج فيها «حسام الدين مصطفى» فى الولايات المتحدة الأمريكية وهى جامعة «كاليفورنيا الجنوبية» بلوس أنجليوس، والطريف أنها نفس الجامعة التى تخرج فيها «عبد السلام موسى» كاتب سيناريو الفيلم ومنتجه المنفذ! ولكن مصطفى العقاد من جيل لاحق لجيل حسام الدين مصطفى وكذلك عبد السلام موسى..

وفى مقابلة أخرى مع «حسام الدين مصطفى» قال لى: إن مصطفى العقاد أمضى معى عشرة أيام ملازما لى طوال فترات التصوير، حيث كان يقول إن موضوع فيلمه الأول (محمد رسول الله) أو (الرسالة) قريب جداً من موضوع فيلم (الشيماء).. وقد كان حضوره هذا ذكاء منه لأنه اعتبر (الشيماء) بروفة مصغرة لفيلمه الكبير (الرسالة).. حتى أنه عندما ودعنى قال: (الله يكون فى عونك).. فقلت له: (الله يكون فى عونك أنت.. فأنا أخرج فيلماً بميزانية مائة ألف جنيه، وأنت ستخرج فيلماً ميزانيته عشرون مليون دولار)!!

فرد العقاد قائلاً: (الفرق بينك وبينى.. أنك تفعل كل شىء بنفسك.. أما أنا فمعى جيش من أكبر فنيى هوليوود.. فما علىّ إلا أن أقول وهم ينفذون)!.

***

الممثل الفلسطينى ينقذ الموقف!!

واجهت المخرج حسام الدين مصطفى مشكلة كبرى قبل تصوير الفيلم فى اختياره لمجموعة الممثلين الذين سيضطلعون ببطولة الفيلم، خاصة فى الممثلة التى ستلعب دور (الشيماء أخت الرسول)..

لم تكن هناك مشكلة بالنسبة لدور «بجاد بنى سعد» زوج (الشيماء)، فمنذ

رشح له النجم أحمد مظهر وهو ثابت فى دوره نظراً لتاريخه الطويل فى الأدوار التاريخية والدينية، ولبراعته الشديدة فى ركوب الخيل ومهارته فى المبارزة ومحافظته على رشاقته وليونة جسده كممثل.. أما دور (الشيماء) -أخت الرسول فى الرضاعة- و(عبد الله) -أخى الرسول فى الرضاعة- فقدكان عليهما الكثير من التحفظ، ومحاولات الحرص المستمر فى اختيار من يمثلهما!.

وكان حسام الدين مصطفى قد أعلن فى الصحف أكثر من مرة أنه يبحث عن وجه جديد وبرىء لبطولة فيلم (شادية الإسلام) -اسمه فى البداية- لم تكن قد ظهرت من قبل على شاشة السينما، وألا تمثل بعد أن تنتهى من دورها فى هذا الفيلم فى أى أفلام أخرى قبل عامين.. وبرر حسام ذلك بأنه: ليس معقولاً ولا مقبولاً أن أسند دور (أخت الرسول) لممثلة سبق لها وأن لعبت أدوار الإغراء، أو تجدها فى نفس الوقت ممثلة لدور من أدوار الإثارة فى فيلم آخر.. هذا سوف لا يقبله الجمهور، وبالتالى لن يصدقنا فيما نريد أن نقوله وترجمناه فى فيلمنا..

وكأن «حسام الدين مصطفى» -برأيه هذا- كان يتوجس خيفة من اتجاه معظم الممثلات -الظاهرة وقتها!- لتقديم مشاهد العرى على الشاشة -خاصة فى تلك الفترة- بل وكأنه يتوقع أو يستشرف ما سيحدث بالفعل مع بطلة فيلمه فيما بعد!!

***

وحار «حسام» فى العديد من الأسماء التى عرضت عليه من قبل المؤسسة، وأولها «نجوى إبراهيم».. ولكنه استبعدها تماماً لسبق عملها فى فيلم (فجر الإسلام)، وهو لا يريد أدنى مقارنة بين الفيلمين.. ومن جديد طرحت أسماء لمطربات بحجة أن الفيلم غنائى، ولكنه عاد واستبعدهن لعدم نجاحهن فى التمثيل!.

وبعد طول بحث وعناء التفضيل.. استقر رأى المخرج على أن تمثل دور

(الشيماء) ممثلة محترفة ومعروفة حتى تستطيع أن تتحمل أعباء تمثيل هذه الشخصية التى يحمل الفيلم اسمها.. وتضفى عليها من خبرتها ما تصل بها إلى بر الأمان.. ولكن بشروطه هو.. بحيث لا يكون فى أدوارها السابقة فى السينما أية شائبة.. ووقع اختياره أخيراً على «سميرة أحمد» نظراً لتوافر فيها المواصفات التى أرادها لنجمة فيلمه..

وعلى الفور تعاقدت المؤسسة مع سميرة أحمد على تمثيل دور (الشيماء) التى رحبت به، ووجدت فيه الفرصة لرد اعتبارها فى دورين دينيين سبق وأن استبعدت بعد ترشيحها لهما فى فيلمى (رابعة العدوية) و(فجر الإسلام)!!

***

وجاء الدور على شخصية «عبد الله» شقيق الشيماء، وأخى الرسول فى الرضاعة.. وهو دور رئيسى فى أحداث الفيلم، ويوازى دور أحمد مظهر بطل الفيلم.. فقد عرض الدور فى البداية على الممثل «عادل أدهم» ولكنه اعتذر عنه فى آخر لحظة لانشغاله بالبدء فى تصوير فيلم قيل إنه عالمى أو أجنبى! فرشح له الممثل «إبراهيم خان»، وبالفعل قامت مؤسسة السينما بالتعاقد معه على تمثيل الدور وقبض عربوناً.. واستدعى إبراهيم خان لقياس الملابس والتدريب على ركوب الخيل.. ولكنه فوجىء قبيل بدء التصوير أنه مرشح لدور آخر اسمه «عبد الله» أيضاً!! ولكنه عبد الله بن أبى -لعب دوره بعد ذلك أحمد لوكسر- فاعترض «إبراهيم خان» وقال إن الدورين مختلفين، رغم أن اسمهما (عبد الله)، وإنه متمسك بدوره الأصلى، فما كان من مدير عام الإنتاج -عبد السلام موسى- إلا تنحيته عن الدورين معاً!. ولما سئل الأخير عن أسباب تغييره قال: إننا ظنناه مسيحياً فاستعنا بيوسف شعبان فى دور (شقيق الرسول والشيماء)!. فرد إبراهيم خان قائلاً: لو كان صحيحاً ذلك لكانوا سألونى عن ديانتى، فالجميع يعلم أنى مسلم ومن السودان.. ولكن هناك شيئاً فى الأمر لا أعلمه؟!

ومن جديد اعتذر «يوسف شعبان» عن الدور عندما أثيرت مسألة «إبراهيم خان» فى الدوريات.. فتعاقدت المؤسسة مع «شكرى سرحان» على تمثيل نفس الدور!. وحينما قرأ شكرى سرحان دوره بإمعان وجده أقل بكثير من دور أحمد مظهر حيث ظن أنه مساوٍ له كما أفهموه.. فطلب تحويل عقده إلى فيلم آخر من إنتاج المؤسسة أو رد العربون!!

فى تلك الفترة كان «حسام الدين مصطفى» فى العاصمة اللبنانية «بيروت» لإنجاز بعض أعماله الخاصة، وهناك تعرف على الممثل الفلسطينى «غسان مطر» فلفت نظره بوجهه وشخصيته وحنجرته الصداحة وتمكنه من اللغة العربية.. فاختاره على الفور لدور (عبد الله بن حليمة السعدية)، وجاء به إلى مصر، وطلب من المؤسسة التعاقد معه على الفور!.

***

وبدأ تصوير الفيلم بالممثلين: سميرة أحمد (الشيماء) وأحمد مظهر (بجاد) وغسان مطر (عبد الله) وأمينة رزق (حليمة السعدية) وكنعان وصفى (عكرمة) ومحسن سرحان (أبو سفيان) وحسن البارودى (شاس زعيم اليهود) وعبد الرحيم الزرقانى (الحارث) وأحمد أباظة (أبو لهب) وعلى رشدى (أبو جهل) وعبد العليم خطاب (النجدى العراف)، ومعهم مجموعة كبيرة من الممثلين والممثلات وصل عددهم إلى الثلاثين.. من بينهم الممثل «محمد صبيح» فى دور (سراقة بن مالك) والطريف أن نفس هذا الممثل قد لعب نفس الشخصية فى أكثر من فيلم!! وكان ضيف شرف الفيلم: عبد الله غيث فى دور (خالد بن الوليد)، وتوفيق الدقن فى دور (دريد بن الصمة خبير الحرب الجاهلى وعمره ١٦٠ عاماً!).

***

وتدور أحداث الفيلم حول (الشيماء) أخت الرسول «صلى الله عليه وسلم» من الرضاع والتى تعيش فى بنى سعد بين أمها حليمة السعدية وأبوها الحارث بن

عبد العزى وشقيقها عبد الله يكونون أسرة تعترف للنبى الكريم بالخير والبركة التى حلت على ديارهم منذ جاءهم رضيعاً إلا بجاد -زوج الشيماء- العنيد الذى كره محمد كراهة حقد دفين!

تنتشر أخبار الدعوة الإسلامية، وينتهز بجاد فرصة تحالف هوزان مع قريش بعد سنوات من حرب الفجار، فيؤازر حركة العداء ضد محمد.. بينما (الشيماء) -شادية بنى سعد- بسحر صوتها تخذل بجاد وتثنى قبيلتها عن الاشتراك فى محاربة الإسلام.. وتتم الهجرة إلى المدينة، وينحدر بجاد ليتحالف مع اليهود من بنى قريظة وبنى النضير وغيرهم لحرب الرسول.. ولكن الله ينصر محمدا..

يزداد حقد بجاد.. فيتواطأ مع صديقه عكرمة بن أبى جهل، ويؤلبان بنى بكر للتمثيل بخزاعة، ويعلم الرسول بخيانة عهده، فتتقدم جيوش الإسلام لفتح مكة ويصاب بجاد، ويهرب ليؤلب هوزان وقبائلها.. فيأمر النبى «صلى الله عليه وسلم» بإهدار دمه..

كل الناس يلجأون إلى الرسول، يطلبون العفو.. ويعفو «صلى الله عليه وسلم» عنهم وينتشر الإسلام.. وبجاد العنيد المكابر.. لا يفتر عن معاداته للحق إلى أن يهديه الله بمشيئته..

***

المعركة التى خاضتها (سميرة) من أجل (بديعة)!!

حدث أثناء تصوير فيلم (الشيماء).. وقبل أن ينتهى المخرج «حسام الدين مصطفى» من تصوير آخر المشاهد الخاصة ببطلته «سميرة أحمد» فوجىء بأنباء تتردد عن استعداد «سميرة أحمد» لتصوير فيلم بعنوان (مدام اكس) مأخوذ عن قصة للصحفى اللبنانى الشهير سعيد فريحة!!

فجن جنون حسام الدين مصطفى وقام بإنذار سميرة أحمد وقال لها: من غير

المعقول أن تتصرفى بدون منطق، وأن المنطق هو تصوير الفيلم الثانى بعد الانتهاء من (الشيماء) وبعد عرضه أيضا بوقت كاف.. حرصاً على جلال الفيلم..

ولكن سميرة أحمد لم تعبأ بنصيحته، وصرحت للصحف بأنها لم توقع إقرارا يمنعها من تمثيل أى فيلم «سكس» إلا بعد مرورستين، وأن هذه شائعة لا أساس لها من الصحة، وليست من الفن فى شىء!.

وبالفعل لم تكن سميرة أحمد قد وقعت إقراراً بهذا المعنى كما أشاعت الصحف.. ولكنه كان رجاء من حسام الدين مصطفى يصل إلى حد الإلحاح بألا تفعلها.. خاصة وأن فيلم (الشيماء) لم يعرض بعد.. بل وباق فى تصويره بضعة أيام!!

والطريف أن مشروع فيلم (مدام اكس) قد توقف فجأة.. فأسرعت سميرة أحمد بتوقيع عقد آخر مع حسن الإمام لفيلم جديد بعنوان «بنت بديعة» تظهر فيه بدور غانية ترقص فى الكباريهات.. مع أن سميرة أحمد لم تمثل مثل هذه الشخصية بل ولم ترقص على الشاشة من قبل!!

وهذه المرة طار صواب حسام الدين مصطفى، خاصة وأن المسألة لم تكن وعداً أو اتفاقاً مبدئياً مثل الفيلم السابق.. بل بدأت سميرة أحمد بالفعل تصوير مشاهده الأولى!!

أنهى حسام الدين مصطفى فيلمه (الشيماء) وبدأت مراحل إعداده للعرض، ومعها بدأ هجومه الضارى على سميرة أحمد وحسن الإمام معاً فى الدوريات وتبادلوا الاتهامات!. فقد هدد حسام برفع دعوى ضدهما لوقف العمل فى فيلمهما الجديد، كما طالب مؤسسة السينما بالتدخل لمنع هذه المهزلة كما أسماها.. وقد فجر هذا الخلاف قضية عمل فنانات الأدوار الدينية فى أدوار أخرى ومنها أدوار الإغراء والعرى.. وأدلى كل بدلوه فى هذه القضية التى لم يتم حسمها سوى بالتوقف التام عن إنتاج الفيلم الدينى(!!)

***

قالت سميرة أحمد رأيها فى هذا الموضوع:

– ليس لدينا أفلام دينية كثيرة، وإذا وجد فإنه يستغرق منا جهدا ووقتا كبيرا..
أما الخلاف الذى ثار بين حسن الإمام وحسام الدين مصطفى فلم يكن هناك مبرر له.. فكل دور يعتبر تطوراً للممثل فى الأداء.. وفى (بنت بديعة) كما فى (الشيماء)، ولم يكن ممكناً لى أن أمثل (الشيماء) منذ خمس سنوات مثلاً، لأن مثل هذا النوع من الأفلام يتطلب ممثلاً على خبرة كبيرة، وليس وجهاً جديداً كما يقولون.. وأعتقد أنه لا يمكن لأحد هنا أن يقول للممثل قف عند هذا الفيلم، لقد اختارونى (للشيماء) لأننى مثلت قبل ذلك (الخرساء) مثلاً وكنت مقنعة، وأعتقد أنه لا أحد غيرى كان يمكنه أن يمثل شخصية (الشيماء)..

أما أحمد مظهر فقال:

– الشخصية الدينية أو التاريخية تلقى على الممثل مسئولية كبيرة، لأنها شخصية تأصلت سيرتها عند الناس، ومن هنا يأتى عبء الإقناع على الممثل وتلزمه المراجع التى تتصل بهذه الشخصية، والقدرة على التخيل لساعات طويلة تصل به إلى تقمص الشخصية وإقناع الجمهور.. ومن الأفضل فى اعتقادى أن يمثل هذا النوع من الشخصيات وجه جديد.. على شرط أن يدخل مرحلة تدريب طويلة من أجل هذا الدور، وقد لا يمثل غيره مثلما حدث مع أنور أحمد بطل فيلم (مصطفى كامل).

وقال يحيى شاهين:

– مازلت أحبذ عدم ظهور الشخصيات المقدسة.. لأنه ليس لدينا الإمكانيات التى تجعلنا نوفر للممثل عيشاً كريماً، ولا نستعجله لكي يتقن هذه الشخصيات ويعايشها ويدرس كل ما يتعلق بها لفترة طويلة.. كما أن الإمكانيات التى نجدها لمثل هذا اللون من الأفلام تجعله يخرج فى صورة هزيلة غير مناسبة لتاريخنا

الإسلامى العظيم، والذى يجب أن يعرفه العالم فى صورة لائقة.. وعموماً فالشخصية فى هذا اللون عبء كبير، لأن لها قداسة خاصة عند المسلمين..

أما سميحة أيوب فقالت:

– الذى يجعل تمثيل الشخصيات الدينية أو التاريخية عبئاً على الممثل.. مرجعه إلى أن هذه الشخصيات فى التاريخ لها هالة وبطولة أسطورية فى أذهان الناس.. ولهذا فالممثل يجب أن يكون على مستوى الأسطورة فى حضوره وأدائه.. وأن يكون على قدر من الثقافة الداخلية.. وأنا ضد مبدأ إسناد هذا اللون من الأدوار لممثلين جدد.. لأنه تعوزهم القدرة على الإقناع والتجربة بعمقها الإنسانى والفنى معاً.. والممثل هو من يلعب كل الأدوار.. وليس من المنطق أن يختفى الممثل بعد أدائه دوراً من هذا اللون.. كل الشخصيات الدينية المقدسة يجب أن تظهر فى السينما عدا النبى محمد فقط!.

***

وهكذا حمى وطيس المناقشة حول هذه القضية.. وظلت ساخنة على صفحات الدوريات تلسع كل من يقترب منها برأى أو بفتوى.. حتى تم لقاء صلح مفاجىء بين حسام الدين مصطفى وحسن الإمام وفى بيت سميرة أحمد!!

كان حسام الدين مصطفى قد وصل إلى الموعد مبكراً، فلقى سميرة أحمد وقال لها: حسن الإمام ليس طرفاً فى الموضوع، وإذا حضر فأنا سوف أنسحب.. أنا واضح فيما أريده.. أنا أمنعك من تمثل أى دورقد يسىء إلى سمعة دورك فى (الشيماء)..

وعندما وصل حسن الإمام اختلف الموقف، وتلقاه حسام بالسلامات.. وجلسا فى ضيافة سميرة أحمد التى قالت: أنا لست محتكرة..وليس هناك نص فى عقد تمثيلى لفيلم (الشيماء) يمنعنى من تمثيل أية أفلام أخرى.. وأنت يا حسام تعلم أننى كنت سأمثل (مدام اكس) ورشحتك لإخراجه!.

وقاطعها حسام قائلاً: أنا أحلك من هذا الوعد..

هبت سميرة أحمد واقفة وهى تقول لحسام: أنا متعاقدة على تمثيل الدور فى (بنت بديعة) وسأمثله يا حسام!. وقال حسام: غير معقول أن تمثلى الدور بما فيه من خلاعة فى الكباريهات بعد تمثيلك لدور أخت الرسول.. إن الأزهر يعد الآن مذكرة بهذا المعنى وسيطلب منعك من التمثيل!

قالت سميرة: لقد كنت تعلم كل التفاصيل التى تتعلق بفيلم (بنت بديعة) واعتبر ما تقوله الآن طعناً لى!.

وانفعل حسام قائلاً: قصدك أنا خاين.. إن دور أخت الرسول طوق فى عنقك..

وزاد انفعال سميرة وهى تقول: كنتم تكتبوا دا فى العقد.. أنا مش ممثلة مبتدئة!

حينئذ تدخل حسن الإمام قائلاً: أعتقد من حقى أسأل حسام الآن كيف حكم على (بنت بديعة) أنه فيلم خليع.. لقد نصبت نفسك قاضياً.. أنا عندى أكثر من بيت مفتوح وعايز أشتغل عايز آكل!. وأنا مستعد أتعهد لك بعدم عرض الفيلم إلا بعد ستة أشهر من عرض (الشيماء).

ويقول حسام: كونك تأكل دى مشكلتك.. أنا مصر على أن الفيلم لا يصور وبطلته سميرة أحمد!.

ويصرخ حسن الإمام: سأصوره!!

وفجأة تنتهى الزوبعة كما وصفتها الصحف والمجلات فى تلك الفترة على لا شىء (٢٦)..

***

ويقوم بالفعل حسن الإمام بتصوير فيلم (بنت بديعة) عن قصة كتبها بنفسه، وسيناريو وحوار: محمد عثمان، وبطولة: سميرة أحمد وعزت العلايلى وحسين فهمى وسهير البارونى..

والفيلم ميلودراما عنيفة مليئة بالفواجع والدموع والرقص والحوار المبتذل.. وحدوتة بنت الليل التى لا تجد من يساعدها لتسير فى الطريق.. فتصبح هى الصراع الذى تدور حوله الأحداث كلها.. والفيلم فى مجمله دفاع عن الصالات وعن فتيات الليل وعن الراقصات.. باعتبارهن أفرادا فى مجتمع المفروض أن يعيش حياتهن.. ولكن المجتمع ظالم لا يريد أن يعترف بهن.. هكذا يقول الفيلم!!(٢٧)

وينجح حسن الإمام فى عرض فيلمه فى توقيت مبكر عن فيلم (الشيماء) لا كما وعد.. ساعده على ذلك طول فترة إنجاز العمليات النهائية لفيلم (الشيماء)..

وعرض فيلم (بنت بديعة) يوم ٢٨ فبراير عام ١٩٧٢.. وقبل موعد عرض (الشيماء) بستة أشهر!!

***

وينسى حسام الدين مصطفى أو يتناسى قضية سميرة أحمد مع (بنت بديعة)، ويتفرغ لقضية أخرى مع مؤسسة السينما حول حجم الدعاية لفيلم (الشيماء).. وصلت إلى حد اتهام رئيسها -عبد الحميد جودة السحار- بالعمل على إسقاط الفيلم.. كما وصلت اتهاماته أيضاً إلى النيابة العامة!! حيث اتهمه بالتقصير فى الدعاية لفيلمه (الشيماء) مقارنة بفيلم السحار (فجر الإسلام)!.

وعرض فيلم (الشيماء) يوم ٢٨ أغسطس عام ١٩٧٢ بدار سينما ريفولى.. وظل بها لمدة ثلاثة أسابيع فقط، محققاً إيراداً قدره أربعة آلاف وخمسون جنيهاً لا غير!!

ولكن بيع الفيلم لمعظم الدول العربية والإسلامية.. كما عرض فى إسبانيا.. بينما تم منعه من العرض فى السعودية ودول الخليج، وفى سوريا حيث اعترضت عليه الرقابة السورية وقالت فى تقريرها: إنه لا يجوز عرض فيلم يتناول حياة أخت الرسول فى الرضاعة!.



ملصق فيلم (رابعة العدوية)



لقطة من فيلم (فجر الإسلام)



لقطة من فيلم (بلال مؤذن الرسول)



أحمد مظهر وسميرة أحمد فى (الشيماء)



لقطة نادرة :
مصطفى العقاد معاوناً
فى فيلم (الشيماء)

الباب الثاني :

أفلام المجتمع المعاصر

الفصل الأول

رجال الدين في الفيلم المصري

* تمهيد :

يطالعنا الشيخ «محمد الغزالي» في كتابه (ركائز الإيمان) يقول[٢٨]:

إن التدين من أعظم دعائم السلوك الإنساني: ولكن المرء لايختار ابتداء الدين الذي يسير وفق تعاليمه... إن البيئة التي ولد فيها هي التي تزوده بأركان هذا الدين، وتوثق به مشاعره.. ثم ينمو الإنسان وينمو عقله وإدراكه لما عنده وعند غيره.. وعندما يثور عراك نفسي على شيء من الشدة، فإن الإنسان - كي يبقى مكانه - يضاعف إحساسه بما لديه من خير، موهوم أو حقيقي، ويضاعف إحساسه بما عند الآخرين من شر، موهوم أو حقيقي كذلك.. ثم يظل على عقيدته ومنهجة لايريم.. ومن هنا امتلأت الأرض بأصحاب الملل والمذاهب المتناقضة.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٢٩].

التدين إذن عنصر أساسي في تكوين الإنسان، والحس الديني إنما يكمن في أعماق كل قلب بشري بل هو يدخل في صميم ماهية الإنسان، مثله في ذلك مثل العقل سواء بسواء.[٣٠]

* * *

من هنا اكتسب رجل الدين في حياتنا أهمية قصوى يتساوى في ذلك رجل الدين الإسلامي أو رجل الدين المسيحي، وحتى - فيما مضى - رجل الدين

اليهودى أيام كان لمعتنقى هذه الديانة أنصار لها في مصر، والذي أخذ في التضاؤل منذ عام ١٩٤٨ وهو العام الذى بدأ فيه الصراع العربى الإسرائيلى بسبب إعلان الدولة الإسرائيلية على أرض فلسطين المحتلة، وما قامت عليه هذه الدولة من ركائز عقائدية وضعت (الدين) أساساً لقيامها... وبالتالى لم يعد هناك معتنقون لهذه الديانة فى مصر سوى ما يعد على أصابع اليدين.. وبالتالى لم يعد هناك وجود حقيقى لرجل الدين اليهودى...!

وبما أن السينما - كما يقول «فيتوريو دى سيكا»[٣١] - تسير فى الطريق الذى يحدده لها الواقع الإنسانى والإجتماعى المعاصر لانه هو الذى يكسبها كيانها وطابعها.. فإنه كان مطروحاً عليها (شخصية رجل الدين) بكل ما فيها من دلالات تشير إلى معان روحية عند جمهور السينما بوجه عام... يزداد تأثيرها عند جمهور السينما فى الشرق، بل وفى مصر بوجه خاص... خاصة وأن (رجل الدين) فى مصر يتمتع بمكانة شرفية كبيرة، ويلبسونه هالة تشبه القدسية لتفقهه فى الدين، ومعرفته بالأحكام الشرعية، فضلاً عن حفظه للقرآن الكريم.. حيث يجدون فى ذلك الخير كل الخير عملاً بحديث رسول الله «ﷺ»: (من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين)[٣٢]...

* * *

* البداية :

وبالبحث عن رجل الدين فى السينما المصرية منذ بداية انتاجها المنتظم سنوياً والذى بدأ بأول فيلم مصرى طويل هو فيلم (ليلى) الذى عرض فى ١٦ نوفمبر عام ١٩٢٧ من إخراج: استيفان روستى، وتمثيل : عزيزة أمير ووداد عرفى نجد أن السينما المصرية قد آثرت الابتعاد فى البداية عن تناول هذه الشخصية فى أفلامها نظراً لما قد تسببه من حساسية عند العامة من الجمهور الذى كانت السينما تبغى الوصول إليه سريعاً وهى فترة المخاض، ومن ثم الميلاد والنشأة.. أما السبب الأكثر

أهمية فهو تنبه رجال الأزهر مبكراً بفن السينما ومعارضتهم بشكل قاطع ظهور ما يقترب من الدين بأى حال من الأحوال.. وتذكر «اعتدال ممتاز» فى مذكراتها أنه حدث فى عامى ١٩٢٦ و ١٩٢٧ أن عارض كبار رجال الأزهر الأفاضل مفهوم السينما فى مصر للشعور بعدم الاحترام والامتهان بظهور محمد "ﷺ" والصحابة والنبيين على الشاشة البيضاء[٣٣].

وكان السبب فى هذا الانتباه المبكر، وهذه المعارضة لمفهوم السينما فى مصر هو ما رواه يوسف وهبى فى مذكراته أن وداد عرفى عرض عليه من قبل شركة انتاج ألمانية فرنسية تمثيل شخصية النبى "ﷺ" على الشاشة، فثار عليه رجال الأزهر وثار معهم الرأى العام فى مصر فتراجع من فوره واعتذر لعدم فهمه وتقديره للأمور![٣٤]

***

لذلك لم يكن رجل الدين ضمن الشخصيات المطروحة على رجال السينما المصرية فى بدايتها فضلاً عن تناول الدين نفسه أو حتى ما يشير إليه من قريب أو بعيد.. ولكننا - مع ذلك - نفاجأ بأن تناول الدين بشكل أو بآخر بدأ منذ عنوان أول فيلم مصرى طويل، وأعنى به فيلم (ليلى) نفسه... الذى كان اسمه فى البداية (نداء الله) وهو اسم القصة التى تقدم بها وداد عرفى لعزيزة أمير لانتاجها.. ثم وقع خلاف بينهما أثناء تصوير الفيلم، وتركه وداد عرفى ليستكمله استيفان روستى... وتغير اسم الفيلم إلى (ليلى)... وقيل أن سبب تغيير الاسم هو محاولة الغاء عمل وداد عرفى وتحوير قصته السينمائية بعد الخلاف.. كما قيل انه لايصح وضع اسم الجلالة فى عنوان فيلم عاطفى يحمل رقصة شرقية!!

و(نداء الله) كما جاء فى كتاب أحمد الحضرى «تاريخ السينما فى مصر»[٣٥] هى فى الأصل رواية قصصية من تأليفه وضعها بالفرنسية ثم بالتركية وحورها إلى قصة سينمائية.. وملخصها: أن بطلها الشيخ أحمد وخطيبته سلمى من البدو القاطنين فى صحراء سقارة، زارها فى هذه الصحراء أحد العلماء

الأمريكيين الذين يبحثون عن الآثار المصرية، ومعه ابنة أخيه ماركوينا، وأحبت ماركوينا الشيخ أحمد فصرف وجهه عن سلمى التى تحبه.. وحدث أن تآمر لصوص على سرقة الأمريكانى وابنة أخيه.. ونما هذا السر إلى سلمى ففرحت لأول وهلة لفرصة أتيحت لانتقامها، ولكن صوت الله ناداها من ضميرها أن تنبهما إلى الخطر على أنهما لم يلتفتا إليها، ولما دخلت عليهما رأتهما فى حالة تثير غيرتها، وجاء اللصوص وهاجموهما، وأصيب أحمد بجراح صرفت عنه حبيبته الأمريكية، ولم تقف بجواره سوى خطيبته سلمى.. ومن هذا يتبين أن مغزى الرواية يدور حول ما يشرف الشرقى فى شهامته ومروءته ونجدته، وأن الشرق شرق والغرب غرب.

هكذا جاء على لسان وداد عرفى عن روايته نقلاً عن مقالته فى مجلة «ألف صنف» عدد ٢٦ ابريل ١٩٢٧.. ويستطرد «أحمد الحضرى» فيسجل فى كتابه المعركة التى قامت قبل وأثناء عرض الفيلم المصرى الأول بين الأطراف المتنازعة، ومن بينها أحد ردود المخرج أحمد جلال على وداد عرفى – وقد كان أحد ممثلى الفيلم – حيث قال: (أراد وداد أن يستقل بالعمل استقلالاً مطلقاً فلا يحاسبه أحد على صغيرة ولا كبيرة... ولكن هناك أشياء تظهر أخطاؤها كالشمس.. منها أنه أراد تمثيل منظر الصلاة فجعل المصلين يصلون والمؤذن واقف بينهم يؤذن وعبثا حاولوا إفهامه أن المؤذن يؤذن قبل الصلاة لافى أثنائها، وأن هذا المنظر يدل على جهل تام بالإسلام ... وأراد مرة أخرى تمثيل فتاة بدوية تسجد أمام تمثال أبى الهول وتناجيه بقوله «أيها العلى العظيم الساهر على شعبى منذ الأزل فى ملكوتك، أعد لى حبيبى»! وعبثاً حاولوا إفهامه أن فتيات البدو يعبدون الله ولا يعبدون أبا الهول! ... ويعلق «أحمد الحضرى» على ذلك بقوله: ولم يكن أحمد جلال ولا سواه قد فطن بعد إلى أن «وداد عرفى» يهودى !!

* * *

* انماط الشخصية :

ورجال الدين فى السينما المصرية لم يلقوا الاهتمام الواجب أو الموازى لوجودهم الحقيقى فى نسيج المجتمع المصرى على مر العصور والأحقاب.. ويرجع ذلك إلى ثلاثة أسباب رئيسية هى:

١ – خشية السينمائيين انفسهم من التعرض له بشكل مباشر فى أفلامهم خاصة فى فترات تزمت بعض رجال الأزهر وبعض الهيئات الإجتماعية حيال فن السينما نفسه، وقدرتهم على تقليب الرأى العام ضد هذا الفن فى أى وقت!

٢– تزمت جهاز الرقابة حول مسألة تناول مايشير إلى الدين وإلى رجاله من قريب أو بعيد .. وبمراجعة كافة القرارات واللوائح الصادرة بهذا الخصوص نجدها حافلة بقائمة ممنوعات خاصة بالأديان وبالشخصيات المعبرة عنها (تعليمات عام ١٩٤٧ – القانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥ – القرار الوزارى رقم ٢٢٠ لسنة ١٩٧٦).

٣– عدم اهتمام غالبية السينمائيين انفسهم بتقديم صورة واضحة لرجل الدين فى أفلامهم، إلا من خلال الفيلم الدينى أو التاريخى، وذلك لاعتقاد بعضهم بأنه يوحى بالجدية والتجهم.. فضلاً عن التذكير بالآخرة والحساب والعقاب والجنة والنار... ولاعتقاد البعض الآخر بوجوب توقيرهم ووضعهم فى هالة من القدسية مما يحيد برسم الشخصية السينمائية عن مسارها الفاعل والمحرك للحدث الدرامى مما يؤثر بالتالى على بناء الفيلم السينمائى..

وهذا السبب الأخير فى رأيى هو الذى جعل ظهور نموذج رجل الدين فى معظم أفلامنا المصرية بشكل نمطى وسطحى أقرب إلى الكلاشيهات منها إلى شخصية حية لها أبعاد وعمق وخلفية.. بل يصبح ظهورها ثانوياً يشير إلى الحكمة والموعظة الحسنة.. أو يكون أشبه بصوت الضمير الذى يذكر البطل – فى العادة

أو قرينه الشرير أو المرأة المنحرفة أو تلك التى أجبرت على الانحراف - بالخطايا، وبالمصير السيىء المنتظر لما اقترفته يداه من شرور وآثام وأفعال مشينة فى حق المجتمع والناس!

وما من شك فى أن السينما المصرية - كما يلاحظ رفيق الصبان - هى سينما اخلاقية من الدرجة الأولى، فمنذ نشأتها الأولى ورغم الجنون الخاص الذى ميز بعض روادها... فإن الأخلاق كانت دائما الجدار العالى الذى تتحطم على قواعده اكثر النزوات طموحاً... واشد الأفكار شاعرية![٣٦].

* * *

وبهذه الصورة النمطية لظهور رجل الدين تحديداً فى السينما المصرية.. قامت غالبية الأفلام بالعزف على لحن واحد أثير عندها، يتقلب فى كل فيلم، بأخذ نفس السمات والملامح... فى الأداء.. فى الملابس... فى شكل اللحية والشارب.. فى طريقة نطق الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو حتى الحكم والأمثال والمواعظ... وقد يصل برسم الشخصية المدى فى معظم الأفلام إلى وجود مكان واحد.. إما فى زاوية فى مسجد، أو يعتلى دكة خشبية مرتفعة عن الأرض... أو يظهر كالومض أو البرق فى أى موقع - مثل الشارع أوالبيت - ويختفى كما ظهر دون أن نعلم كنهه!.. كما كان هناك لقب واضح يطلق عليه للعلم والإشارة، وهو (الشيخ فلان)!!.

وكلمة (الشيخ) هذه هى الدلالة الوحيدة الواضحة والمستبينة لظهور هذه الشخصية، وكأن شكلها وملامحها التقليدية والمباشرة لاتكفى للاشارة إليه.. فكان الحوار فى أفلامنا يحرص كل الحرص على أن تطلق عليه الشخصيات الأخرى لقب (الشيخ) زيادة فى توضيح الشخصية.. وإيحاء بالحرص على توقيرها.. ووضعها فى مكانة تميزها عن بقية شخصيات الفيلم المختلفة، وذلك برغم ظهورها الثانوى!

وكذلك نرى شخصية «التقى» على الشاشة.. ولعل أبرزها وضوحاً كانت

شخصية «عبدالرحمن القص» التى لعبها الفنان «يحيى شاهين» فى فيلم (سلاَّمة) إخراج توجو مزراحى ١٩٤٥ وبطولة أم كلثوم، وفيها كان يمثل شخصية التقى الورع فى صورة غير مسبوقة بل ولم تتكرر على هذا المنوال!..

ومن نماذج هذا (الشيخ) الواضحة التى تشير إلى وجود رجل الدين فى أفلامنا المصرية هى شخصية (الشيخ حسن) الشهيرة، والتى لعب دورها أيضاً الفنان «يحيى شاهين» فى فيلم (جعلونى مجرماً) للمخرج عاطف سالم عام ١٩٥٤..

وشخصية «الشيخ حسن» كما رسمها نجيب محفوظ والسيد بدير فى السيناريو كانت من أبرز شخصيات رجل الدين على الشاشة المصرية، حيث كانت لها خطوط وأبعاد درامية أظهرتها كمحركة لأحداث الفيلم ومشاركة فيه... فغدت بداخل بناء الفيلم الأصلى وليست زائرة أو ضيفة شرف كما تظهر فى الأفلام الأخرى..

«فالشيخ حسن» هنا هو صديق البطل «سلطان» - الذى لعب دوره فريد شوقى - منذ الطفولة وأبناء حى واحد، ولكن تفرقت بهم السبل عندما دخل سلطان الاصلاحية بتهمة السرقة وهو طفل، وعندما تخرج منها وقف الشيخ حسن بجواره لإيمانه بمعدنه الطيب، وقام بالوساطة لدى أصحاب الأعمال الذين كانوا يتراجعون بمجرد علمهم انه خريج الاصلاحية.. وبالرغم تورط «سلطان» فى عدة مشكلات مع «دواهى» زعيمة عصابة الصبية ومع عمه الظالم إلا أن «الشيخ حسن» لايتخلى عنه حتى بعد أن أصبح واعظاً لمسجد الحى، ويصل إلى حد الدفاع عن المرأة التى يحبها سلطان وحمايتها برغم انها فتاة ليل وتبغى التوبة!.

وتمر الأحداث، ويتهم «سلطان» بجريمة لم يرتكبها ويشهد عمه ضده، فيهرب من السجن ليثبت براءته بمعاونة «الشيخ حسن» إلا أنه يضعف ويتورط فى قتل عمه ويختبىء فى الجامع ويذهب إليه صديقه «الشيخ حسن» ويسلمه بنفسه!

* * *

ومن شخصية «الشيخ حسن» فى (جعلونى مجرماً) إلى الشيخ منصور الضرير فى فيلم يوسف شاهين (صراع فى الوادى) ١٩٥٤، والذى لعب دوره الممثل القبطى «منسى فهمى» حيث نجده أيضاً محركاً لأحداثه الدرامية وفاعلاً فى بناء الفيلم برغم مقتله في الثلث الأول من الفيلم.. حيث نرى صراعاً عنيفاً بين أصحاب الملكية الزراعية الكبيرة وبين صغار المزارعين، يقف الشيخ منصور ضد الباشا ويكشف اطماعه وجشعه، فيستغل الباشا العادة الموروثة فى الصعيد (الأخذ بالثأر) ويقتل الشيخ ويتهم فيه صديقه الذى يصلى وراءه فى زاويته حتى يشيع الفرقة بينهم!

* * *

وتتنوع شخصيات (المشايخ) وتتقلب فى أفلامنا المصرية فى ادوار ثانوية سطحية لعبها بكثرة الممثلان «إبراهيم عمارة» و«عبدالوارث عسر» كما لعبها ممثلون أخرون غير معروفى الأسماء نظراً لمحدودية الأدوار والنظرة لمثل هذه الشخصيات التى لاتتطلب سوى الظهور فى مشهد واحد فقط أو مشهدين للتوجيه والنصح والارشاد.. ومن أمثلة ذلك شخصية (الشيخ) الذى ظهر فى نهاية فيلم (أبو حلموس) للمخرج إبراهيم حلمى ١٩٤٧ ينصح الممثل شرفنطح بانه قد ضل عندما ابتاع ورقة اليانصيب وانه يهدر قروشه القليلة فيما لايفيد، لتذهب الثروة إلى الموظف المسكين شحاته والذى لعب دوره نجيب الريحانى، أو تلك الشخصية التى لعبها الممثل «إبراهيم عمارة» فى فيلم (أشكى لمين) ١٩٥١وهو من أخراجه أيضاً، وكان مواجهاً لشيطان فى صورة إنسان والذى مثل دوره «فريد شوقى» أى أنه الصورة المقابلة أو المتوازية المطلوبة فى السينما خاصة فى ذاك الوقت!

* * *

* الأقباط . . . والشيخ حسن!

فى فيلم (ليلة القدر) اخراج حسين صدقى ١٩٥٢، والذى عرض مرة أخرى باسم جديد هو (الشيخ حسن) عام ١٩٥٤ نرى رجل الدين والذى مثله حسين صدقى هو الشخصية المحورية فى الفيلم، حيث تدور الأحداث عن رجل دين يعيش فى إحدى حوارى القاهرة والتى تضم مسلمين ومسيحيين، تتعرض إحدى فتيات الحارة المسيحيات وهى «لويزا» - ليلى فوزى - لأزمات حادة فى المعيشة ولأقاويل الناس ظلماً لانها تعيش بمفردها.. ويقوم أفراد الحارة بالتشهير بها ورفضها مطالبين بطردها من الحارة بحجة سوء سلوكها وسمعتها..

تلجأ «لويزا» إلى «الشيخ حسن» رجل الدين الذى يوقره ويحترمه الناس فيقف بجوارها، مدافعاً عن سمعتها وكرامتها مؤكداً طهارتها، فتقع «لويزا» فى غرامه، ويتم زواجها رغم إرادة أهلها، ورغم حب جارته «نبوية» - هدى سلطان - له... وتمر الأحداث فتمرض والدتها، فيقبل الشيخ حسن أن يطلق «لويزا» ليسمح لها بالبقاء بجوارها برغم أنها حامل، ثم تمرض «لويزا» وتشهر إسلامها وهى على فراش الموت!.

وقد أثار هذا الفيلم موجة من الغضب بين أوساط المسيحيين خاصة المهتمين بالنشاط السينمائى، حتى أن الناقد السينمائى فريد المزاوى - وكان يرأس المركز الكاثوليكى المصري للسينما فى ذاك الوقت - استطاع أن يقنع الأنبا مرقس الثانى بطريرك الاسكندرية وقتها بالتدخل لدى السلطات لمنع الفيلم الذى تحدد موعد عرضه يوم الخميس ١٣ مارس ١٩٥٢ بسينما رويال بالقاهرة.. وبالفعل عرض الفيلم فى ميعاده.. وبعد ثلاثة أيام بالضبط و١٢ حفلة عرض، صادرت الجهات المسئولة - جهاز الرقابة التابع لوزارة الداخلية وقتها - فيلم (ليلة القدر) بحجة اثارته للفتن بين أبناء الشعب المصرى الواحد!.

ولكن حسين صدقى - مخرج الفيلم ومؤلفه ومنتجه وبطله - لم يسكت وقام

برفع دعوى ضد قرار الرقابة أمام مجلس الدولة مطالبا الحكومة بالتصريح باعادة عرض الفيلم، واستمرت الدعاوى تتداول فى الحاكم حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢، وتم على اثرها تغيير جهاز الرقابة.. ومع رفع حكومة الثورة لشعار (الاتحاد والاخاء والمحبة) - تغير بعدها إلى (الاتحاد والنظام والعمل) - استطاع المركز الكاثوليكى المصري للسينما أن يخاطب الرئيس محمد نجيب شخصياً بشكوى بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٥٢ ببيان مفصل عن الفيلم، كان أهم ما فيه:

أ - صور المؤلف شخصية «الشيخ حسن» على أحسن وجه ووضع فيه أحسن الفضائل بحجة أنها فضائل خاصة بالإسلام، ثم سمح لنفسه بالمقارنة بين أخلاق هذا الشيخ وبين أخلاق «لويزا» الفتاة العصرية اللعوب، وقد وضع فيها وفى أفراد عائلتها رذائل اعتبرها، من تعاليم الدين المسيحى..

ب- اخطأ المؤلف فى بعض المناقشات وقدم بعض الأفعال كأنها تعاليم أو مسموحات مسيحية، وسمح لمسيحى أن يهزأ علناً بصلاة المسلم وبعباداته..

جـ- كانت الشخصية البغيضة فى هذا الفيلم هى شخصية والد «لويزا» حتى جعله يتكلم كلاماً عربياً مكسراً مشوباً باللهجة الرومية المضحكة حتى فى أحرج مواقف الدراما فكان الجمهور يضحك هازئاً به كلما أراد أن يتمسك بدينه ويشرفه ويشدد على ابنته أن ترجع إلى دينها... خاصة وقد تزوجت من الشيخ المسلم رغماً عن ارادة العائلة التى تضم بين أفرادها كاهناً وقوراً من طائفة الأروام الارثوذكس وهو خال «لويزا» بالفيلم.

د- قدم المؤلف إلى «لويزا» الرقص والخمر والعربدة لاقناعها بترك زوجها الشيخ الفاضل فكانت تنزوى فى غرفتها وتلجأ إلى القرآن باحثة عن غذاء روحى كانت فى حاجة إليه، لانها لم تجد بين المسيحيين إلا الرذائل السالفة الذكر.

هـ- الفكرة الاساسية التى بنيت عليها هذه القصة هى أمنية «نبوية» الفتاة المسلمة

الطاهرة التى تمنت فى ليلة القدر أن تتزوج من جارها الشيخ حسن، لكن حوادث الفيلم تطورت إلى ما خالف تنفيذ هذه الأمنية.. فحاد المؤلف عن هذه الفكرة الإساسية واتجه إلى الاقصوصة الفرعية ثم اعطاها الأهمية الكبرى فى حوادث الفيلم..

ومضى التقرير الذى كتبه بالطبع «فريد المزاوى» بصفته رئيس المركز ليصل إلى اقتراح بتعديلات يرى وجوب ادخالها على الفيلم!!

وبناء عليه اتخذ رئيس الحكومة اللواء محمد نجيب قراره بعدم عرض الفيلم حرصاً على الشعور العام كما جاء فى نص القرار الصادر من مكتب الرئيس بتاريخ ١٩٥٢/١٢/٢٧..

وتمضى الأيام ويتمكن «حسين صدقى» من عرض الفيلم مرة أخرى بتاريخ ٤ أكتوبر ١٩٥٤ تحت اسم جديد هو (الشيخ حسن) وبعد تغيير طفيف فى الحوار فقط بحذف بعض الجمل!

* * *

وبالنظر إلى هذه الملاحظات التى أبداها الناقد فريد المزاوى بحكم مسئوليته كرئيس للمركز الكاثوليكى للسينما نجد الحساسية الظاهرة فى لهجة التقرير - والتى استعدت السلطة على الفيلم - تجاه صورة رجل الدين الفاضل أمام فتاة منحرفة أو متحررة وتريد التوبة أو هكذا جاء فى سياق الأحداث، حتى وأن كانت مسيحية الديانة، وهذا وضع طبيعى، ونجده فى كثير من أفلامنا المصرية - رجل الدين التقى فى مواجهة مع منحرفة أو موصومة بهذه الصفة - وعادة ما تظهر هذه المنحرفة باسم (ليلى) أو (فاطمة) أو (زينب) وهى اشارات واضحة على أن ديانة هؤلاء هى الإسلام، ومع ذلك لم تلق هذه الشخصيات أية حساسية لدى أحد..

أما بخصوص التهكم على من يتحدثون باللهجة الرومية فهذا كان شائعاً أيضاً بالنسبة لمعظم أفلامنا خاصة ما قبل الثورة - وطبعاً بعدها - من اتخاذ طريقة

نطق الأجنبى للعربية مجالاً للضحك، خاصة وأن المسألة كان يكتنفها شعور وطنى جارف ضد كل ما هو أجنبى أو متفرنج!

أما وأن يتحدث الناقد عن غلبة الخطوط الفرعية للسيناريو على الفكرة الاساسية فهذا ضمن أعمال المبدع الخاصة بوجهة نظره حيال الموضوع الذى يتناوله... وله كل الحرية فى التناول، وعله لو حكم على الأفلام التى انتجت بعد هذا الفيلم وحتى نهايات القرن العشرين بهذا المنطق لوصمها بالضعف، وأنها تتضمن الكثير من الخلل!!

❋ ❋ ❋

* مشايخ . . . مشايخ!

وبالرجوع إلى نماذج رجل الدين المتنوعة فى السينما المصرية، والتى - كما لاحظنا - انحصرت كلها فى نموذج (الشيخ) بكل هيئته وملابسه واكسسواره وأيضا بكل وقاره الظاهر.. حيث يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أى يحقق المصلحة ويمنع المفسدة، وكما يقول الإمام أبو حامد الغزالى فى تعريفه للمصلحة بأنها (المحافظة على مقصود الشرع) ومقصود الشرع هو تحقيق مصالح العباد... لأن الله تعالى شرع الأحكام لحكمة إلهية بالغة تتركز فى المقاصد التى أراد سبحانه أن يحققها لعباده.. وهذه المقاصد - كما حددها الإمام الغزالى - لاتخرج عن خمسة أمور هى:

١ - حفظ الدين. ٢- حفظ النفس.

٣- حفظ العقل. ٤- حفظ النسل والعرض.

٥ - حفظ المال.

فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو (مصلحة)، وكل ما يضيع أحد هذه الأصول فهو (مفسدة).

ففى فيلم (رنة الخلخال) للمخرج محمود ذو الفقار ١٩٥٥ نرى الشيخ والذى يمثل دوره «محمد الطوخى» - يحذر من الزواج غير المتكافىء بين شيخ هرم وفتاة فى قمة شبابها وأنوثتها، فيردد حديث رسول الله ﷺ: (إياكم والشباب... نار تندلع.... وماء ينقطع).... وبذلك يصبح مرجعاً للأحكام الشرعية فى أحداث الفيلم..

ومثل هذا النموذج المرجعى نجده فى فيلم (اللص والكلاب) إخراج كمال الشيخ ١٩٦٢ وهو المأخوذ عن رواية نجيب محفوظ الشهيرة بنفس الاسم، فنرى رجل الدين الذى مثل دوره «فاخر فاخر» يواجه الشقى «سعيد مهران» الذى بدأ لصاً صغيراً، ثم تحول إلى سفاح فى نظر المجتمع بسبب الكلاب الذين نهشوا فكره قبل لحمه بدءاً بالانتهازى «رءوف علوان» وانتهاء بزوجته وصبيه عليش.. وكلما هم «سعيد» بالانتقام لنفسه ولشرفه وعرضه تخطىء رصاصاته لتصيب الابرياء!.

يلجأ «سعيد مهران» إلى الشيخ فى كل مرة يتورط فيها أو يضيق عليه الخناق.. ويلاحظ أنه يلجأ إلى الدين الذى يمثله الشيخ الصالح.. وفى كل مرة أيضاً يتلقى اجابة واحدة تدعوه إلى الخلاص من ثأره، وتفويض أمره إلى الله ... سعيد يخاطبه فى رجاء وحيرة: (يامولانا)... ثم يحاول تبرير أخطائه: (رءوف خان، ومراتى خانت، وحتى عليش خدامى خان) فيرد عليه الشيخ بكل ثقة: مرحى أن تنحصر شرور الدنيا فى ثلاثة فقط! ولم يقتنع سعيد باستسلامه للقدر، وتتحرك دوافع الشر بداخله لينطلق من صومعة الشيخ إلى الطريق حيث يلقى حتفه المحتوم.

وحدث أن قدم نفس الرواية المخرج الأذربيجانى «شاميل اليف» فى فيلم باسم (اعتراف) عام ١٩٩٦ فقال عن صدى عرض فيلمه بجمهورية أذربيجان: (ثار الكثيرون واعترضوا على الفيلم وحذرونى من عرضه بسبب المشهد الذى يظهر فيه رجل الدين والذى لم يعط أى إجابة عن تساؤلاته بل طلب منه أن يقترب من الله لأن سبب مشاكله هو ابتعاده عن طريق الله ولهذا السبب تركه بطل الفيلم ليبحث عن اجابات لتساؤلاته وليحل مشكلته بطريقته الخاصة.. فقد اتهمونى بأننى اظهرت رجل الدين السلبى وبالفعل أنا أكره هذا النموذج)(٣٧).

وبالطبع اختلفت بذلك وجهة نظر «شاميل أليف» عن وجهة نظر «كمال الشيخ» إلى حد ما فى تقديم شخصية رجل الدين... حيث لم يكن فى فيلم كمال الشيخ سلبياً بشكل مطلق، بل حاول معاونة البطل للتطهر أولاً.. ولكن البطل العجول لم يكن عنده متسع من الوقت ومن الصبر ليفهم أو يعى ما يقال له.

أما فى فيلم (بين القصرين) إخراج حسن الإمام ١٩٦٤ فنرى رجل الدين المسلم (الشيخ) ورجل الدين المسيحى (القسيس) فى عدة مشاهدة متصلة تبرز الوطنية المتأججة بداخل فئات الشعب المصرى المختلفة فى مواجهة مع الاحتلال الإنجليزى.. فبعد أن رأينا مظاهرات الطلبة والطالبات وكذا العمال والموظفين نرى رجل الدين المسيحى يخطب فى المسجد وبجواره مجموعة من القساوسة والشيوخ.. وبالمثل نرى رجل الدين الإسلامى يخطب فى الكنيسة ومعه مجموعة من المشايخ... وكانت خطب هؤلاء واولئك تحث على حب الوطن والزود عن ترابه ضد المستعمر الغاصب.. وكان كل رجل دين يستهل خطبته حسب طقوسه الدينية، ثم يتحدث عن دور كل مصرى سواء مسلم أو مسيحى فى الثورة، ثم يختمها بالتصافح بحرارة مع الآخر إعلانا عن الوحدة الوطنية التى تربط بين عنصرى الأمة ثم يخرجون معاً فى المظاهرات تحت رايات تعانق الهلال مع الصليب.... وهى رؤية موفقة فى واقع الفيلم الدرامى لأنها مستمدة بالفعل من وقائع تاريخية وقعت بالفعل إبان ثورة ١٩١٩.

وفى فيلم (الزوجة الثانية) اخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٧ نرى رجل الدين فى صورة أخرى.. انه يبيع دينه من أجل مكاسب صغيرة، فيحلل ما حرم الله، ويصل إلى حد تطليق زوجة الشاب الريفى الفقير لكى تصبح زوجة ثانية للعمدة المستبد الحاكم بأمره لتنجب له طفلاً يرث ماله ومركزه.. وعندما يرفض الفلاح التخلى عن زوجته التى يحبها وتحبه يقول له الشيخ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣٨].. وهو حق أريد به باطل.. إن رجل الدين هنا ناقص علم، يستفيد من جهل أهل القرية فيبيع الفتاوى لمن يدفع !!.

وفى الفيلم الكوميدى (الزواج على الطريقة الحديثة) أول فيلم للمخرج صلاح كريم ١٩٦٨ نجد صورة مختلفة لرجل الدين المسلم والذى يمثله (المأذون الشرعى) بصورته التقليدية – ولعب دوره الممثل حسن مصطفى – ومثلها لرجل الدين المسيحى (أحد القساوسة)- ولعب دوره الممثل بدر نوفل – فقد قدمهما لأول مرة بصورة كوميدية تتفق وسياق أحداث الفيلم.. الشاب والفتاة أولا خالة يقطنان فى منزل واحد ويتبادلات الحب برغم معارضة الأهل، فيقرران الزواج ويبقى كل منهما فى بيته حتى تحل المشكلات الناشبة بين الأهل.. وتقع بينهما وبين المأذون مواقف كوميدية طريفة، فالمأذون له صديق قسيس ينتظر وصوله واستقباله، ومعه تبدأ مغامرات ومطاردات العروسين والأهل فى شوارع القاهرة وفقت فى تصويرها كاميرا كمال كريم.

وفى فيلم (قنديل أم هاشم) للمخرج كمال عطية ١٩٦٨ لم يكن رجل الدين سوى رمز كما جاء فى قصة يحيى حقى.. أن القنديل شكل الإيمان وليس جوهرة، وبالتالى فإن حارسه – والذى لعب دوره صلاح منصور – أو شيخ المسجد الذى به القنديل وزيته يستند إلى هذه الصورة لتحقيق مصالحه الخاصة.. كما كان الطبيب «إسماعيل» هو رمز لروح مصر الناهضة المتوثبة، فكان الصدام طبيعياً بين الوافد العلمى الخالص، وبين تراث من التقاليد المستندة على الدين.. وقدم الفيلم نوعاً من الحل بالاندماج دون التسلط!.

أما فيلم (شىء من الخوف) للمخرج حسين كمال ١٩٦٩ فلم يكن هناك رجل دين بالمفهوم التقليدى كما صورته الأفلام الأخرى... وإنما كان كبيراً للقوم يدعى (الشيخ إبراهيم) – والذى لعب دوره يحيى شاهين – على قدر كبير من الإيمان ويعتبر مرجعياً بالنسبة لأهل القرية.. قاوم جبروت وقسوة وتسلط «عتريس» الذى يقود عصابة من قطاع الطرق، حتى قتل ابنه فى يوم عرسه...

ولكن الشيخ إبراهيم لايتراجع ويقف ضد زواج «عتريس» غير الشرعي.. ويقود أهل القرية للتفريق بين العروسين عملاً بأحكام الدين حتى يلقى «عتريس» حتفه جزاء ونكالا لما اقترفته يداه!

ولنفس الممثل «يحيى شاهين» دور آخر فى فيلم (الأرض) للمخرج يوسف شاهين ١٩٧٠، يدعى (الشيخ حسونة) ولكنه هذه المرة أزهرى له نفس الملامح الشائعة لمشائخ الأزهر... جاء لزيارة صديقه الفلاح محمد أبو سويلم ويحاول أن يثنيه عن مقاومة السلطة خوفاً عليه.. فيذكره أبو سويلم بما فعلاه معاً فى ثورة ١٩١٩ وكيف قاوما الاستعمار وصدورهما مفتوحة لرصاص الانجليز ... ثم يتهم الشيخ حسونة بالاستسلام بسبب تأثره بحياة المدينة والمدنية.

وفى فيلم آخر لنفس المخرج يوسف شاهين (العصفور) ١٩٧٢ نجد شخصية رجل الدين أيضاً بكل ملامحها الخارجية بالجبة والقفطان والعمامة.. انه «الشيخ أحمد» - الذى لعب دوره الممثل على الشريف - يتداخل فى الأحداث الجارية محاولاً الأخذ بالثأر من قاتل قريبه خفير أحد مصانع القطاع العام التى يتم نهبها.. يحاول الضابط والصحفى ابعاده عن مسرح الأحداث لأن القضية أكبر، والثأر أكبر من الخونة الذين يخربون البلد... «الشيخ أحمد» هنا أزهرى، ولكن الأزهر استبعده نتيجة نشاطه السياسى، أى أنه رجل دين متحرر ... فلا عجب أن تراه بعد ذلك فى بيت «بهية» يغنى لها، ويناضل من أجل مصر!

وعكس هذه الشخصية تماماً نرى رجل الدين المتزمت فى فيلم (غرباء) للمخرج سعد عرفة ١٩٧٣، حيث يظهر فى صورة الرجعى الذى يكره التقدم ولايقره.. وينظر للمرأة كسلعة ليس لها حق، وكما يقول د. رفيق الصبان يطبق مبادىء دينية مشوهة يصر على أنها تنبع من تعاليم الإسلام[٣٩].

فالفيلم يتعرض لقضية العلم والإيمان من خلال شخصية استاذ جامعى عالم، وفتاة متحررة، وشاب متدين ومتزمت فى نفس الوقت حيث يرى الدين فى

العقاب والنار والجحيم دون أن يتعرض لثواب الدين ورحمته الواسعة.. ومع ذلك تغريه جارة حسناء فتقع بينهما الخطيئة، وتنتابه لحظات من الندم وطلب الغفران.. فيلجأ إلى رجل الدين (الشيخ الطيب) والذى لعب دوره محمد السبع، ويدور بينهما حوار فلسفى حول الايمان وحب الله، ويحاول أحمد أن يطبق نصائح الشيخ على الفتاة ولكن بلا أى نتيجة...

وقد نقل د. عبد المنعم سعد عن سعاد حسنى قولها فى أسباب عدم نجاح الفيلم أن رؤية المؤلف رأفت الميهى اصطدمت مع رؤية المخرج سعد عرفة، فالمؤلف كتب شيئاً، والمخرج عبر عنه برؤية أخرى، وكانت النتيجة تقديم فيلم للجمهور يعبر عن وجهتى نظر مختلفتين إحداهما متحررة والأخرى متزمته!![٤٠].

وفى فيلم (أيام الرعب) اخراج سعيد مرزوق ١٩٨٨ نجد رجل الدين - صلاح ذو الفقار - شخصية ايجابية تحاول جاهدة أن تنزع الرعب والخوف من قلب بطله، ومواجهة الأزمة بدلاً من الهروب منها..

وعلى عكس هذه الشخصية نرى الشيخ فى فيلم (المواطن مصرى) للمخرج صلاح أبو سيف ١٩٩١ وهو شيخ القرية - محمد السبع - يتوسط لدى العمدة من جموع الفلاحين لاسترداد اراضيهم المغتصبة وحين يفشل يهرب من المواجهة.. انه نموذج لرجل الدين السلبى..

* * *

وهكذا تنوعت صورة رجل الدين فى أفلام السينما المصرية العصرية ما بين صورة تقليدية ذات ملامح شكلية وسطحية تحددها المثالية والوقار، وهى الغالبة فى معظم هذه الأفلام... بينما حاولت بعض الأفلام القليلة والنادرة إحياء هذه الشخصية بشكل متواز مع شخصيات المجتمع الأخرى... فكانت من لحم ودم لها الحق فى أن تثور أو أن تخطىء، أو حتى تتفاعل بشكل طبيعى مع دراما الواقع.

الفصل الثاني
هوامش على رجل الدين

تتعدد صور تقديم رجل الدين على شاشة السينما المصرية فتأخذ اشكالاً مختلفة غير تلك الصورة التقليدية الشائعة عنه.. فكما رأينا رجلاً يحمل سمات وملامح نمطية مستمدة من صورته التقليدية فى المجتمع المصرى بكل ما فيها من وقار ومهابة واجلال... حيث يلجأ إليه الجميع للاستفسار منه عما غمض عليهم من أمور الدين، وليساعدهم على ضبط حركتهم فى الحياة وفق المعايير الدينية وفى ضوء شرع الله...

ترى صورا أخرى فى السينما المصرية لرجل الدين السطحية دون الجوهر.. المدعية دون المخبر... أى اننا نراه فى شكل رجل الدين وسماته دون أن يكون هو فى حقيقته كذلك... وقد تنوع هذا الشكل كثيراً فى مجموعة من الأفلام المصرية حتى أصبحت هى الأخرى انماطاً لها أشكال واضحة يكشفها البناء الدرامى للفيلم أو بداخل حبكته فور طرحها.. حتى وان احاطتها الرموز السيميولوجية المتمثلة فى العلامات ذات الدلالات المحددة مثل: اللحية والمسبحة والجبة والقفطان والعمامة ورمز الهلال عند المسلمين أو الصليب عند المسيحيين، وكذا الايقونات والتماثيل والأشكال الأخرى الدالة، بهدف إظهار المعنى المحدد والمقصود صراحة فى الفيلم!.

ومن أبرز هذه الانماط لرجال الدين (غير الحقيقيين) نجدها فى صورة الدجالين والمشعوذين والمجاذيب، وكذلك من له صفات الحكيم أو الواعظ أو المتزمت فى تدينه بصورة ادعائية دون أن يكون حقا من رجال الدين... وأيضاً صورة المأذون الذى له وظيفة توثيقية تستمد صفاتها من الدين!.

د. أنماط الدجالين والمشعوذين والمجاذيب:

وهذه النماذج الدرامية المرتدية ثياب الدين، هى نماذج لها أصل فى الواقع المعاصر، كما كانت لها أصول فى التاريخ القديم.. وقد روى بديع الزمان والحريرى وحتى ابن دانيال بعضاً منها فى مقاماتهم، وكيف كان هؤلاء الناس يرتزقون من احتيالهم باسم الدين.. حتى أن د. على الراعى ذكر فى كتابه «شخصية المحتال»: ان العرب أول من عرفوا الرواية الاحتيالية قبل الغرب. ثم يمضى إلى ذكر وقائع لبعض هؤلاء المحتالين الخارجين بانهم ما خرجوا عن المواضعات باختيارهم الحر، وإنما لأن الظلم الاجتماعى الشرس هو الذى حدا ببعضهم إلى الاحتيال، وبالبعض الآخر إلي السرقة والخديعة الفادحة والقتل احياناً![٤١].

إلا أن المسألة تأخذ شكلاً أكثر تحديداً فى التعبير السينمائى عن هؤلاء المرتدين مسوح الدين.. لأننا نرى هذه النماذج تتظاهر بالدين، وتغلو فيه وتتماوت فى إبراز أشكال كهنوتية من أجل كسب عطف الناس، فضلاً عن كسب تقديرهم وإجلالهم، إيماناً منهم ويقيناً بمدى تأثير الدين والتدين على نفوس الجماهير، ومن ثم تقديرهم لكل من يحمل صفاته، وكذا ملامحه حتى ولو كانت شكلية... وذلك بهدف تحقيق مصالح ومآرب خاصة قد يقع معظمها تحت طائلة القانون!..

* * *

وقد تنوعت هذه النماذج من الدجالين والمشعوذين والمجاذيب والمتزمتين الذين يبدون على هيئة رجال الدين أو صورة من يحملون الكرامات على ايديهم فى صورة باهتة ضمن المجاميع أو الادوار الثانوية فى بدايات السينما المصرية.. إلى أن بدت كشخصية مستقلة واضحة فى فيلم (المال والبنون) للمخرج إبراهيم عمارة ١٩٥٤، والذى استمد موضوعه من الآية القرآنية: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية

إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾[٤٢]. حيث قرر أحد الازواج أن يحد من نسله خشية الفقر، فأمر زوجته بالاجهاض لمرات عديدة... فكان نتيجة لذلك أن تقع الأم وابنتها «عقيلة راتب وزهرة العلا» فى براثن شيخ مبروك «محمود المليجى» يدعى العلم بالغيب ويقوم بخداعهما، وقد حرص الفيلم على أن تتواجد بالمقابل شخصية رجل الدين الطيب - والذى لعب دوره مخرج الفيلم إبراهيم عمارة، وهى الشخصية الاثيرة لديه - الذى يعيد الاصلاح إلى الأسرة التى دمرها الشيخ الدجال!.

والطريف أن نفس الممثل «محمود المليجى» لعب نفس الشخصية، ولكنها رئيسية فى فيلم من انتاجه اسمه (المبروك) اخراج حسن رضا ١٩٥٩... حيث نرى شيخاً دجالاً يستطيع أن يتحكم فى مصير سيدة وابنتها أيضاً عن طريق السحر والشعوذة حتى أنه يطلبها للزواج برغم خطبتها لابن عمها، يغتصب المبروك الفتاة ويدعى أن ابن عمها هو والد الطفل المنتظر فتحاول الفتاة الانتحار غير أنها تنقذ فى آخر لحظة بينما يموت الجنين وتقبض الشرطة على الدجال.. وقد ادى المليجى دوره ببراعة حيث كان (المال والبنون) تجربة مصغرة دفعته للاقبال على (المبروك) حيث الشخصية المحورية والاساسية فى الفيلم!.

وفى فيلم (ساحر النساء) اخراج فطين عبد الوهاب ١٩٥٨ نرى سيدة من الطبقة الراقية تلجأ إلى دجال كان سجيناً - فريد شوقى - فى صورة شيخ تقى ليطلب لها من الأرواح شفاء زوجها من الشلل، فيأخذ منها مالها ويسلبها شرفها، وينتهى الفيلم بعودته إلى السجن.

وفى فيلم (إسماعيل يس فى مستشفى المجانين) اخراج عيسى كرامة ١٩٥٨ نجد أحد الشيوخ - عبدالغنى قمر - يدعى العلم بالغيب واتيان الكرامات، ينقذ بطل الفيلم بعد هروبه من مستشفى المجاذيب ليعمل بدلاً منه اثناء غيابه ليستطيع تدبير ما يكفيه لدفع ديون أهل حبيبته نحو طالبى الزواج منها ليتزوجها.

وفى فيلم (حماتى ملاك) لنفس المخرج عيسى كرامة ١٩٥٩ نرى فرقة «ساعة لقلبك» وهى تمثل زفة التخديم على الميت ضمن أعمال الحانوتية والمغسلاتية، انهم فى عمل يتسم بالوقار المستمد من حكمة الموت فى الدين، ولكن يظهر أن كل همهم ينحصر فى الطعام والشراب واستغلال الموقف فى صورة كاريكاتورية!.

وفى فيلم (ثورة اليمن) للمخرج عاطف سالم ١٩٦٦ نرى شخصية (الإمام)، والتى لعب دوره صلاح منصور، وهو حاكم اليمن الذى يستمد سلطته من سلطة الدين، فيبدو أمام شعبه فى صورة التقى الورع، بينما هو يحيا حياة الترف والبذخ حتى قدمه الفيلم انه يعيش فى قصره حياة أشبه بليالى ألف ليلة حيث تحيطه الجوارى والخمور بينما يصر على هيئته الدينية الوقورة، فهو يرتدى الجبة والقفطان والعمامة، وله لحية طويلة وفى يده مسبحة كبيرة!

ولنفس الممثل «صلاح منصور» دور آخر من أدوار التستر بعباءة الدين، ولكنه فى هذه المرة مجذوب من مجاذيب مسجد السيدة زينب فى فيلم (قنديل أم هاشم) للمخرج كمال عطية ١٩٦٨ حيث يستعمل زيت القنديل فى الكسب غير المشروع من معتقدات الناس البسطاء الروحانية... ويقاوم العلم الذى جاء به «إسماعيل» من الخارج، ويقف فى مواجهة عنيفة معه، حتى يعدل إسماعيل عن فكرته الجامدة، فى محاولة للتوفيق والتقارب بين العلم والمعتقدات الروحانية.

ورأينا فى فيلم (مراتى مدير عام) للمخرج فطين عبد الوهاب ١٩٦٦ صورة الرجل المتدين المتزمت «شفيق نور الدين»، وقد كانت صورة مبتكرة للتعبير عن شخصية المتزمت فى دراما الأحداث بدت غريبة وشاذة، ولكنها كانت ارهاصاً لما حدث فى دراما الواقع فى الثمانينات والتسعينات فى بعض مكاتب الحكومة فى مصر!.

وفى القصة الثانية من فيلم (٣ نساء) والتى أخرجها صلاح أبو سيف عام

١٩٦٩ نرى «توحيدة» وهى سيدة جميلة تلجأ إلى أحد الدراويش الذين يدعون معرفة الغيب والتنبؤ بالمستقبل ليكتب لها الأحجبة والتعاويذ لتتزوج من رجل أحبته، ويطلب منها الدرويش أن تقيم (زاراً) فى منزلها حتى يتحقق لها ما تريد، ثم يتضح أن هذا الدرويش المتخفى بعباءة الدين وفرقته، فى حقيقة أمرهم نصابين محتالون فتهاجمهم الشرطة وتقبض عليهم.

وفى فيلم (يوميات نائب فى الأرياف) إخراج توفيق صالح ١٩٦٩ نرى المجذوب «الشيخ عصفور» والذى لعب دوره «عبد العظيم عبد الحق» فى صورة كالشبح يظهر ويختفى فى قمة تأزم الموقف بين سلطة الادارة المتمثلة فى المأمور، وسلطة القانون ممثلة فى وكيل النيابة.. انه يسخر من العجز الذى ينتاب الجميع رغم انهم فى مواقع السلطة والمسئولية.. ويدافع عن الفتاة البسيطة «ريم» المتهمة بالقتل.. انه مثل اسمه طائر محلق فوق خطايا الناس!

أما فى فيلم (ابن الشيطان) للمخرج حسام الدين مصطفى ١٩٦٩ فنرى المجذوب المعتوه «توفيق الدقن» موضع شك وريبة ممن حوله.. انه اذن صورة مكشوفة لما يمكن أو المتوقع بأن تكون مثل هذه الشخصية هى شخصية المجرم الخفى ابن الشيطان الذى يرتكب الجرائم دون أن يعرفه أحد.. أنه الوعى اليقظ فى الواقع السينمائى بأن هؤلاء المتمسحين بالدين ماهم إلا مجرمون وعتاة فى الاجرام، ولكن تظهر فى نهاية الفيلم مفاجأة بأنه ليس كذلك، وان المجرم هو المعلم عتريس صاحب محل الزينات، لذلك حرص الفيلم على إعلان رجاء للجمهور فى بدايته بعدم افشاء سر الشخصية حتى يتمتع بها غيره!

أما صورة المتزمت الحريص على ترديد عبارة الدين دون فهم معناها.. فنراها كذلك فى الشخصية التى لعبها الممثل محيى إسماعيل فى فيلم (خللى بالك من زوزو) اخراج حسن الإمام ١٩٧٣، انه يؤدى دور الطالب الذى يقف ضد التطور وضد زوزو حيث يرفع شعار أن (الفن حرام)، يضطر إلى الاشتباك بالايدى مع

زملائه.. انها صورة جديدة وتحمل بكارة الرؤية لما حدث بعد ذلك فى الجامعات فى فيلم حقق نجاحاً جماهيراً واسعاً...

وفى فيلم (العار) للمخرج علي عبد الخالق ١٩٨٢ نرى شخصية الأب تاجر العطارة الصالح له شكل التقى الورع، لاتبتعد المسبحة عن يده، يصلى ويصوم ويخرج الزكاة ويرعى الحرمات ويلقب (بالحاج)، ولكنه تاجر مخدرات، مات وترك ثروة هائلة مهددة بالضياع إذا لم تتم احدى الصفقات، فيضطر الابن المقرب إلى والده لمصارحة أهله بحقيقة الأب!.

وفى فيلم (للحب قصة أخيرة) أخراج رأفت الميهى ١٩٨٦ نجد الزوجة «سلوى» تلجأ للتبرك بالشيخ التلاوى والطاهرة دميانة لعل معجزة تحدث ويشفى زوجها المريض رغم عدم إيمانها بالمعجزات.. انهما مجرد «قبرين» لاقدرة لهما على فعل شيء، ولكن لهما من يدّعى معجزاتهما ويروج لهما!.

وفى فيلم (دقة زار) للمخرج أحمد ياسين ١٩٨٦ نرى الشيخة توحيدة «سهير البابلى» الدجالة التى تعالج أهل الحى بالشعوذة وتقف ضد طبيب يفتح عيادة فى الحى الشعبى. انها ترهب الناس بحجة اتصالها بالجان.

وفى فيلم (الحدق يفهم) اخراج أحمد فؤاد ١٩٨٦ نرى جابر «محمود عبدالعزيز» أحد مطاريد الجبل يتحل شخصية رجل دين، ويذهب لجمع معونة أهل قرية لنجدة قرية أخرى أصابها السيل، فينخدع فيه الأهالى ويؤمنون بقوته الروحية... وبعد أن يجمع المال يؤم أهل القرية فى الصلاة وإلقاء المواعظ فيشعر بتحول داخلى وتهتز مشاعره فيقول الحقيقة للناس!

وفى فيلم (التعويذة) للمخرج محمد شبل ١٩٨٧ نرى شاباً من أسرة عريقة يرفض بيع بيت العائلة، ولكن يضغط المشترى بكل اغراءاته وإلحاحه لشراء البيت، يتضح انه مشعوذ يلجأ إلى السحر والاتصال بالجان بحجة تدينه الشديد،

فيتعرضون لظواهر غير طبيعية للضغط عليهم، ولكن تقف الزوجة فى وجهه وينتصر سلاح الدين والإيمان الحقيقى على الادعاء به!

فى فيلم (الكيت كات) اخراج داود عبد السيد ١٩٩١ نرى الشيخ حسنى «محمود عبد العزيز» الكفيف يتحدى عاهته برغم توقير أهل الحى له.. أنه المعتقد السائد عند الأهالى بأن صاحب العاهة مبروك، ولكنه أحلام هذا الشيخ تنطلق لتكشف مساوئه ومساوئ الآخرين!

وفى فيلم (لهيب الانتقام) اخراج سمير سيف ١٩٩٣ نرى الحاج عبد الفضيل «صلاح ذو الفقار» رجل تقوى ودين، يستطيع أن يخدع ضابطا ومجند للتخلص من تجار المخدرات، وفى النهاية يكتشف الضابط انه من كبار تجار المخدرات وأراد التخلص من منافسيه!

وفى فيلم (الغرقانة) إخراج محمد خان ١٩٩٣ نرى الشيخ حجاب «أحمد توفيق» يدعى الاتصال بالجان متمسحاً فى الدين، يتزوج من أرملة وينجب منها طفلاً مشوها يسميه (المبروك) فيشيع عنه فعل المعجزات، فتضيع أمه ما بين أسر زوجها وخرافاته وما بين طموحاتها!

وفى فيلم (عتبة الستات) اخراج على عبد الخالق ١٩٩٥ تضطر زوجة طيبة للجوء إلى الشيخه هناجا، «صفية العمرى» التى تبتزها، وبالفعل وعن طريق استخدام قطعة من الصوف تحمل الطيبة سفاحاً، فيقف زوجها الضابط فى مواجهة الشيخة وأعوانها.

* * *

٢- شخصية المأذون على الشاشة:

(المأذون) فى السينما المصرية هو أكثر الشخصيات نمطية على هذه الشاشة.. فلا يكاد يخلو فيلم مصرى من ظهور هذه الشخصية لدقائق معدودة أو لثوان متفرقات...

فطبيعة السينما المصرية هى طبيعة اخلاقية.. منذ بداية السينما المصرية وحتى اليوم تسير – فى معظم الحالات – نحو اتجاهات ترضى الجماهير من النواحى الاجتماعية والوجدانية والعاطفية.. حتى فى أكثر الخيالات والطموحات تطرفا فى العلاقات العاطفية على الشاشة ، لابد وأن تنتهى عند (المأذون) .. أو عند الاستقرار والسكينة والبيت بعد طول عناء وشقاء.. انه رمز للأخلاق فى شكلها التقليدى بعد صراع الخير والشر فى العلاقات العاطفية المتشابكة .. انه رمز الرباط المقدس بين نوعى البشر المخلوقين على سطح الأرض.. هى أذن أولى المدارس التى وضعتها السينما المصرية لنفسها منذ بداياتها.. أو هى النهاية السعيدة المرجوة والمأمولة عند الجمهور العربى ذى الطبيعة الاجتماعية الخاصة المستمدة من مبادى الدين واخلاقياته، خاصة فى تلك العلاقة التى تربط بين الرجل والمرأة.. فمهما اتخذت من أشكال ومن منعطفات ومن تطورات على الشاشة المصرية، فانه يستوجب فيها نهاية مرضية للكافة.. ترتاح لها الفضيلة، ويرضى عنها الضمير.. وبذلك يتحقق التأثير العاطفى الذى سعى إلى تقديمه مؤلفو ومخرجو هذه الأفلام من خلال الدراما التقليدية التى اعتادوا على تقديمها لسنوات طويلة، وكأن هناك اتفاقا ضمنيا بينهم على شكلها ومحتواها العام!.

* * *

ومن نماذج هذه الشخصية النمطية منذ بدايات السينما فى مصر ما قدمه المخرج كمال سليم فى فيلم (العزيمة) ١٩٣٩ حينما اتفق المعلم «العتر» مع المأذون على الزواج من «فاطمة» بعد طلاقها من «محمد».. ان «العتر» يقول له: (الليلة حابعت لك أوزى معتبر)! فيفرح المأذون لذلك، وفى مشهد آخر يقتحم «محمد» حفل عقد القرآن ويقول للمأذون: أنا أحملك المسئولية، عقد الزواج لاغى! ثم يتضح لنا أن عدة فاطمة لم تنته بعد.. وتقوم معركة بين العتر والمأذون ومحمد وأهل الحارة...

وهذا النموذج الواضح منذ بدايات السينما المصرية لظهور شخصية المأذون على الشاشة هو مثال طبق الأصل لما رسم لهذه الشخصية بعد ذلك فى معظم أفلام السينما المصرية.. لها نفس الشكل الخارجى من حيث الهيئة والملامح والماكياج والملابس.. ثم يتم ترغيبها لسرعة اتمام الزواج، أو يتم ترهيبها لنفس الغرض فى حالة إذا ما أراد ذلك عاص أو شقى، أو لمنع اتمام الزواج، أو يتم التشاجر معها بحجة انه عطل الزواج أو تأخر عن موعده.. أو يقوم أحد الممثلين بارتداء هيئته متظاهراً انه هو المأذون ليفسد اتمام زواج حبيبته من غريمه.. وبذلك لم تعد الشخصية – رغم نمطيتها على الشاشة – تعبر عن نفس وصفها الحقيقى فى الحياة، بل اتخذت كمطية أو متكأ لاثارة بعض الأحداث فى الفيلم المصرى.. خاصة تلك المرتبطة بنهايات الأفلام .. وتزداد جرعة الاثارة والحركة وسوء التفاهم حول هذه الشخصية فى نوعية الأفلام الكوميدية على وجه الخصوص..

ومن أمثلة ما طرحناه عن الشخصية ما قام به «عبد الحليم حافظ» فى فيلم (ليالى الحب) إخراج حلمى رفلة ١٩٥٥ من التنكر فى شخصية المأذون ليفسد زواج حبيبته من غريمه.. أو ما قام به الممثل «حسين إسماعيل» فى فيلم (الحب كده) للمخرج محمود ذو الفقار ١٩٦١ حيث لازم أحد أبطال الفيلم «محمد الديب» طوال أحداث الفيلم فى انتظار طلاق العروس ثم زواجها منه. انه – كما يقول البطل – مأذون العائلة.. لذلك نراه يلعب معه الطاولة ويسهر معه فى الفندق، وهكذا حتى النهاية السعيدة (زواج البطل الرئيسى والبطلة الرئيسية طبعاً)!.

وكذلك ظهر المأذون الشرعى التقليدى فى دور مهم فى فيلم (أريد حلاً) للمخرج سعيد مرزوق ١٩٧٥ وهو الدور الذى لعبه الممثل «على الشريف» .. وقد حاول المخرج فى هذا الفيلم أن يخرج شخصية المأذون عن صورتها النمطية

فى السينما المصرية التى اعتادت على تقديمها فى الأشكال والأفعال التى سبق الاشارة إليها.. فرغم صورته التقليدية إلا أنه كان ندا للشخصيات الأخرى بالفيلم، ومعمقا لصورة هذه الشخصية.. رغم أن ذلك تم فى حدود!.

* * *

وقد ذكر اسم (المأذون) فى عناوين الأفلام ثلاث مرات فقط: الأول فى فيلم (الحقونى بالمأذون) اخراج حلمى رفلة ١٩٥٤ ، والثانية (إلى المأذون يا حبيبى) للمخرج محمود فريد ١٩٧٧، والثالثة (البعض يذهب إلى المأذون مرتين) للمخرج محمد عبد العزيز ١٩٧٨...

كما كان (المأذون) شخصية محورية واساسية فى فيلم (الجوازة دى مش لازم تتم) للمخرج جمال عمار ١٩٨٨، حيث قام بتمثيل الدور البطل الرئيسى للفيلم، وكان الممثل «حسين فهمى»..

الفصل الثالث

درامية الشخصية بسبب ديانتها

فى هذا الفصل نحاول أن نرصد حركة الشخصية التى بنيت فى الأصل على تحديد ديانتها فى درامية الفيلم السينمائى المصرى المعاصر.. وهى شخصيات قصد بها توضيح ديانتها منذ الوهلة الأولى بهدف إبراز المعنى أو المغزى من وجودها على الشاشة.. وهى تلك الشخصيات التى تدين بالديانة الإسلامية أو المسيحية أو اليهودية.. فعنصر الدين هو الذى يحاكيها، ويرصد تحركاتها وأفعالها.. أى أنها تنطلق من أساس دينى واضح سواء فى اسم الشخصية أو فى سماتها.. فى هيئتها ورموزها أو فى علاقاتها.. وسوف نرى أن كثيراً من هذه الشخصيات ظهرت نمطية تقليدية.. حيث أن السينما المصرية حين تعاملت معها لم تنس أن الدين والعقيدة من تابوهات السينما الأساسية. والاقتراب منها محفوف بالمخاطر، خاصة فيما يتعلق بالديانات التى يمكن أن تسمى بالأقليات[٤٣]. ولذلك كان التعامل مع هذه الشخصيات بحرص زائد يواكب حركة المجتمع.. مثل التعبير عن الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين على أرض مصر.. أو السخرية من شخصية اليهودى البخيل.. أو إظهار صورة المتطرف الذى يبنى أحكامه على الخطأ والتعصب فى أوقات نمت فيها هذه الظاهرة فى المجتمع بشكل كبير.. وهكذا..

* * *

تفاجئنا بدايات السينما المصرية بوجود شخصية (شالوم) اليهودية الشهيرة بطلاً لأربعة أفلام هى: (١٠٠٠٥) ١٩٣٣، (شالوم الترجمان) ١٩٣٥، (العز بهدلة) ١٩٣٧، (شالوم الرياضى) ١٩٣٧ وكلها للمخرج توجو مزراحى وهو مخرج متمصر من أصل إيطالى، ويهودى الديانة.. وقد حاول فرض هذه الشخصية على

المجتمع من خلال فن السينما، ولكن محاولاته باءت بالفشل، نظراً لعدم تقبل الجمهور لها، فصرف النظر عنها.. وكانت هذه الأفلام من انتاجه، وكان قد بدأ الهجوم عليه، خاصة حين بدأت تظهر هذه الشخصية (اليهودى) على الشاشة، فى صور تتسم بالنبل والشجاعة والكرم!! فرأى الجمهور انها على غير حقيقتها فى الواقع!.

فى فيلم (فاطمة وماريكا وراشيل) للمخرج حلمى رفلة ١٩٤٨ تدور أحداثه حول «يوسف» المشهور بمغامراته العاطفية... يتعرف على «راشيل» اليهودية ويعدها بالزواج.. ثم يرى «ماريكا» المسيحية فيقوم بخطبتها.. بينما يقع اختيار والده على «فاطمة» المسلمة ويصر على تزويجه منها!

ويمر المخرج على شخصيتى «ماريكا» و«فاطمة» مروراً عادياً يستوعبه البناء الدرامى للفيلم، ولكنه يتوقف كثيراً عند شخصية «راشيل» اليهودية.. فنتعرف على أسرتها (الأب والأم) ونرى شدة بخل هذه الأسرة من خلال حوار مباشر بين الأب والعريس عن المال والفوائد والحرص الواجب.. كما تستخدم لازمة صوتية خنفاء التصقت بمعظم هذه الشخصيات بعد ذلك.. حتى أن البطل «محمد فوزى» يتحاور معهم بنفس «تون» الصوت على سبيل السخرية منهم!.

وفى فيلم (حسن ومرقص وكوهين) إخراج فؤاد الجزايرلى ١٩٥٤ نجد نفس التوليفة، ولكن هذه المرة فى شخصية رجل وليس امرأة، والفيلم عن نص مسرحى كتبه بديع خيرى مع نجيب الريحانى - وهما مسيحيان - ونرى فيه ثلاثة رجال ينتمون لديانات مختلفة يستغلون صيدلية تحت إدارة عباس أفندى المدبون، والذى يظلمهم فيحتالون عليه مثلما يحتال هو عليهم.. ولم ينس الفيلم أن يقدم شخصية كوهين «اليهودى» بنفس السخرية منه بالشكل النمطى التقليدى لهذه الشخصية!

وقدم حسين صدقى فى فيلمه (ليلة القدر) ١٩٥٢ شخصية «الشيخ حسن»

ممثلاً للدين الإسلامى بكل ملامحها الواضحة فى مقابلة شخصية «لويزا المسيحية».. وقد أثار الفيلم جدلاً من قبل بعض المسيحيين - كما أسلفنا - بسبب اقتناع «لويزا» بكلام الشيخ حسن وإعلانها إسلامها، فغير المخرج حسين صدقى بعض أحداثه، وعرضه عام ١٩٥٤ باسم (الشيخ حسن)!.

وتتعدد صور الشيوخ والحجاج - كما أشرنا فى شخصيات رجل الدين- بهدف إظهار ديانته، وما يمثله من خلالها من مظاهر الدين من حكمة وتقوى وورع..

ولكننا لا نستطيع أن نضعها ضمن درامية الفيلم السينمائى أكثر من وجودها النمطى، وربما السطحى كما سبق وأن أشرنا.. فنحن هنا بصدد درامية الشخصية وتفاعلها الحقيقى فى أحداث الفيلم بسبب ديانتها المعلنة أو الواضحة من السياق الدرامى..

وفى فيلم (حسن وماريكا) إخراج حسن الصيفى ١٩٥٩ نرى كوميديا هزلية فيها ابنة حلاق يونانى تعمل فى محل والدها فى الصباح وتغنى فى كباريه فى الليل، يقع فى حبها الكثير ويخطبها والدها لقريب لها فى اليونان، وفى الوقت الذى تزف فيه إلى الكنيسة يختطفها أحد العشاق ويقودها إلى قريته، وهناك يتقدم من يثبت أن الفتاة اليونانية ما هى إلا «بهية» التى اختطفت منذ صغرها.. وبذلك نرى «ماريكا» المسيحية ما هى إلا مسلمة كما أرادتها أحداث الفيلم!

ومن أبرز الصور التى سبق الإشارة إليها، نجدها فى فيلم حسن الإمام (شفيقة القبطية) ١٩٦٣ والذى يتناول قصة حياة راقصة لها شهرة واسعة، تحاول مساعدة والديها الفقيرين، ولكنهما يرفضان بشدة لأن نقودها حرام، ويدعوانها للتوبة، وبذلك نرى أسرة مسيحية متزمتة.. ثم نرى شفيقة القبطية بعد ذلك وقد تحطمت حياتها بعد المجد الذى كانت عليه..

ولنفس المخرج حسن الإمام فيلم اخر بعنوان (الراهبة) ١٩٦٥ مثلت دوره الرئيسى نفس ممثلة دور شقيقة «هند رستم» حين نراها فى هذا الفيلم فتاة تفشل فى الحب مرتين فتعمل راقصة، لكنها تضيق بحياتها وتقرر العودة إلى الدير الذى هربت منه من قبل..

وقد روى لى المخرج حسن الإمام: انهم حين صوروا مشاهد الدير فى بيروت قامت الراهبات بخدمتهم، وحينما علموا أن «هند رستم» ستقوم بدور راهبة أحبوها، وتم تكريسها وكأنها ستصبح راهبة بالفعل، ومنحوها رداء الراهبات الجديد، وكذلك حذاء وبعض المستلزمات الأخرى، وأصروا على أن تحتفظ بها ولا تعيدها!

ونرى شخصية اليهودى النمطية فى صورة البخيل على الشاشة الكوميدية فى فيلم (آخر شقاوة) لـلمخرج عيسى كرامة ١٩٦٤.. حيث يحاول مسيو «كوهين» -استيفان روستى- استغلال جيرانه الشبان للاستيلاء على مؤنهم بحجة الوعد بتزوجيهم لبناته.. ونلاحظ ترديد أسماء مثل: راشيل واستير وليشع!

وفى فيلم «البوسطجى» إخراج حسين كمال ١٩٦٨ نرى المخرج قد ركز على أسرة مسيحية متعصبة، وقد فهمنا ذلك ضمناً دون التصريح به.! فقد كان المأزق فى قصة يحيى حقى بين البطل والبطلة هو الخلاف المذهبى أو الملى رغم أنهما مسيحيان (كانت جميلة أرثوذكسية، بينما كان خليل بروتستنتى).. وينبغى الحصول على إذن خاص من الكنيسة للزواج وهو ما لم يشر إليه الفيلم، فجاء متجرداً من أحد جوانبه الروحية الهامة التى قصدها المؤلف فى عمله الأدبى!

وفى فيلم (السكرية) للمخرج حسن الإمام ١٩٧٣ نرى شقيقين من أحفاد السيد أحمد عبدالجواد «عبدالمنعم» و«أحمد».. الأول ينتمى إلى جماعة الاخوان المسلمين، والثانى شيوعى.. لكل وجهته المتناقضة مع الآخر، بل ومع وجهة

المجتمع فى تلك الفترة.. يجمعهما السجن، كما جمعتهما الأسرة الواحدة.. وقد كانت شخصية «عبدالمنعم» جديدة على الشاشة المصرية من حيث انتمائها الدينى الخاص بهذه الجماعة!

وفى فيلم (المرأة التى غلبت الشيطان) إخراج يحيى العلمى ١٩٧٣ تدور الأفكار التى وضعها توفيق الحكيم فى بواتق فلسفية ميتافيزقية، حيث تلتقى دميمة وهى هائمة فى الصحراء بالشيطان الذى يغريها بتحويلها إلى شابة جميلة مقابل أن يأخذها معه إلى جهنم.. وحين تصبح جميلة وتنتقم ممن أساءوا إليها يهديها «الحاج فهمى» إلى الطريق المستقيم فتحارب الشيطان بالقرآن وتنتصر عليه.. يوضح الفيلم إن عقيدة الشيطان فى حرب مستمرة مع عقيدة الإنسان المختبر حتى ينتصر الإيمان .. انها تذهب للحج وتموت على سجادة الصلاة طاهرة بريئة!

وفى فيلم (بديعة مصابنى) إخراج حسن الإمام ١٩٧٥ يعيد لنا المخرج مسيرة أحدى أشهر الراقصات فى بدايات القرن العشرين بعدما قدم (شفيقة القبطية) لنجد بديعة هى أيضاً تدين بالمسيحية، فيروى لنا حياتها وزواجها من نجيب الريحانى فى الكنيسة، وكيف مضت حياتها ما بين صعود وهبوط حتى انتهى بها الحال محطمة.. ورغم تركيز المخرج على جوانب النجاح الفنى الذى حققته، إلا أنه لم يغفل تأثير دينها عليها كنوع من الروحانية التى لازمت شخصيتها!.

ومن أهم الأفلام التى تعرضت لمسألة اختلاف الديانة فيلم (لقاء هناك) اخراج أحمد ضياء الدين ١٩٧٦، حيث نرى «عباس» يحب منذ صغره جارته «ايفون»، ويقف اختلاف الدين حائلا دون الزواج فهو مسلم وهى مسيحية.. فالله موجود، وتعالم الدين موجودة، والتقاليد موجودة، ويحاصر البطل هذا الثالوث فى فكره وفى حريته وفى مستقبله.. والفيلم يتعرض أيضاً لقضية العلم والإيمان، وصراع الإنسان ما بين إيمانه وقيمه وحضارته العلمية.. كما يتعرض للتربية الدينية فى الأسرة باعتبارها أحد مصادر مكونات شخصية الفرد[٤٤].. ولكن الفيلم يلجأ

إلى الحل الأثير المريح له وللرقابة.. بأن تلجأ «إيفون» إلى الدير وإلى الرهبنة هرباً من مشكلاتها!!.

وفى فيلم (اسكندرية ليه) ١٩٧٨ يعبر يوسف شاهين عن تمجيد التعايش السلمى بين الأديان الثلاثة الرئيسية.. ولكن من سوء حظ الفيلم وصاحبه انه واكب اتفاقية «كامب ديفيد» الشهيرة، فظن خطأ – كما يقول الناقد سمير فريد – انه يؤيدها، مما جعل إحدى الهيئات الجزائرية – التى شاركت فى انتاجه – تحذف كنيتها من عناوين الفيلم!!

فأحداث الفيلم تدور فى إسكندرية الأربعينيات، وشخصيته المحورية الفتى «يحيى» - يوسف شاهين فى الواقع – يحلم بالسفر إلى هوليود لدراسة التمثيل والسينما وهو من أسرة بورجوازية صغيرة مسيحية.. وفى صراعات شخصية واجتماعية ومحلية ووطنية وطبقية ودولية، يموج الفيلم بالشخصيات والأحداث والرموز، فنرى عدة أجناس وعدة ديانات!

ويستكمل يوسف شاهين سيرته فى فيلم (حدوتة مصرية) ١٩٨٢ لنجده أيضاً يرسم لنا نفس جو الأسرة الكاثوليكية التى نشأ فيها.. ولكن بعد فترة من أحداث الفيلم الأول.. حيث أنها هنا تقوم بمحاكمته بعد رحلة عمل وكفاح ليست قليلة!

وفى فيلم (للحب قصة أخيرة) ١٩٨٥ يقدم لنا رأفت الميهى طقوساً كنسية للدفن يشترك فيها المسلمون والمسيحيون معاً بعد وفاة سيدة قبطية عجوز كانت تعيش مع سكان إحدى الضواحى فى حب ووئام مع الجميع.. لذلك شارك الكل فى تشييع جنازتها فى صورة شعبية غارقة فى القدم، وقد تداخلت مع الجو والتقاليد الإسلامية بحيث أصبحت خليطاً مركباً شديد التأثير وشديدة الخصوصية.

وفى فيلم «إنقاذ ما يمكن إنقاذه» إخراج سعيد مرزوق ١٩٨٦ يقدم شخصيات

ونماذج دينية متعددة، رأى أنها -رغم تطرفها الظاهر – هى الحل الوحيد للأزمة التى تعانيها البلاد فى تلك الفترة.

وفى فيلم (سيداتى آنساتى) ١٩٩٠ يعود رأفت الميهى ليقدم لنا شخصية الجار المسيحى – لعب دوره أشرف عبدالباقى– الذى تزوج من امرأة تكبره فى العمر.. بل ويصل الحد إلى السخرية من رائحة عطر هذه المرأة.. وهو عطر يباع على أبواب الكنائس، مثل عطور أخرى تباع على أبواب المساجد!

وفى فيلم (ثلاثة على الطريق) ١٩٩٣ للمخرج محمد القليوبى يقدم لنا صورة لحيرة أبطاله على طريق الحياة، مع قدرتهم على العطاء والتسامح والمواجهة.. فنرى الشرطة تقبض على الإسلامى والقبطى معاً ليعيشا محنة واحدة.

وفى فيلم (مرسيدس) ١٩٩٣ يقدم لنا المخرج يسرى نصر الله بطلاً مسيحياً – والذى لعب دوره زكى فطين عبدالوهاب – يخوض فى مشكلات المجتمع المعاصرة وأحداثه الجارية.. يصطدم بالتابوهات الجامدة فى المجتمع فى محاولة للخلاص منه!.

وفى فيلم (الإرهابى) ١٩٩٤ يقدم المخرج نادر جلال شخصية زوجة مسيحية متطرفة دينياً – لعبت دورها ماجدة زكى – تضيق على زوجها – لعب دوره مصطفى متولى– حتى انه يشاهد التليفزيون فى بيت جيرانه لأنها تحرمه عليه! وكانت بالفعل صورة جديدة لهذا النموذج على الشاشة المصرية.

وفى فيلم (طيور الظلام) ١٩٩٥ يقدم المخرج شريف عرفة شخصية «على الزناتى المحامى» – لعب دوره رياض الخولى – أحد المتطرفين البارزين، همزة وصل مهمة بين قيادات الجماعات الإرهابية وبين الأفراد المنفذين للعمليات، وقد وفق المخرج فى الربط بين الإرهاب والفساد وهما جناحا الشر أو الظلام فى المجتمع..

وفى فيلم (الملائكة لا تسكن الأرض) ١٩٩٥ يستعرض المخرج سعد عرفة التدين المزيف للأب تاجر المخدرات الذى يعامل ابنه بقسوة لإجباره على الصلاة.. وقد وفق الفيلم فى إبراز الصراع بين رغبة الابن فى ممارسة حياته الطبيعية بما فيها ارتكاب بعض المعاصى أو اللمم ، وبين تدينه المفروض عليه، مما يوصله إلى فشل مطبق!

وفى فيلم (التحويلة) ١٩٩٦ يقدم المخرج آمالى بهنسى بطلاً مسيحياً جديداً على الشاشة، حيث يتم استبداله بمسلم هارب.. ويستعرض الفيلم صورا شيقة لمدى ترابط عضوى الأمة من خلال علاقة هذا المسيحى بضابط مسلم آمن ببراءته، فيقتلان معاً فى مشهد تراجيدى، وتمتزج دماء المسلم والمسيحى فى مشهد واحد مباشر..

الفصل الرابع

أفلام تتعرف لموضوعات دينية

١ – موضوعات وأفكار :

اشتهرت السينما المصرية منذ بداية عهودها الأولى، ولعقود متتالية بالاتكاء على موضوعات وأفكار تستمد مادتها الأساسية من القيم الروحية والدينية فى المجتمع.. حتى انها سميت بالسينما التربوية الأخلاقية.. أى انها سينما تراعى التقاليد والأصول الاجتماعية.. وتحدوها دائماً النواحى التربوية من كل جانب.. وكان السينمائيون يرون فى ذلك «رسالة» فى أعناقهم نحو الجمهور المصرى الشرقى الذى يتمسك بتقاليده وقيمه.. ويفرغ شحنة الميل والحب نحو الخير والحق.. برغم الجنوح الشائع لتقليد الغرب فى مشاهد الحب والفراش!

وفى ظل تنوع الموضوعات التي قدمتها السينما.. حتى تلك المقتبسة من الأفلام الأجنبية كان الواعز الدينى والأخلاقى هو الذى يحرك هذه السينما لتصل إلى الهدف الواحد المنشود.. وهو الانتصار لهذه القيم دون سواها..

وكما يقول د. رفيق الصبان انه حتى فى ظهور المرأة المنحرفة وهى كانت ولا تزال رمزاً أسود فى السينما المصرية.. يصعب احترامها ويصعب تبريرها. وبالتالى يستحيل محبتها.. كان هذا التحفظ لا يمنع وجودها فى كثير من الأفلام المصرية منذ البداية وحتى اليوم.. ولكن نهايتها المحتومة معروفة ومقدرة حتى بالنسبة لأكثر الخيالات تطرفاً.. فهى تجد قدرها دائماً فى آخر منعطف طريق.. أما الموت مثلاً.. ووفق العدالة الإلهية لا يمكن أن تؤجل عقابها للسماء.. وإنما يستوجب جزاؤها أمام أعيننا.. فمثلاً طرداً أو موتاً عنيفاً فى حادثة..لأن العناية الإلهية فى السينما

المصرية تلعب دوراً أساسياً يساعد فى دعم المبادىء الأخلاقية والحس الاجتماعى [٤٥].

ولذلك واجهت السينما المصرية طوال تاريخها نقداً عنيفاً على تبنيها هذا الاتجاه، أو هذا الأسلوب الأخلاقى فى شكله التقليدى القائم على الخير والشر.. واعتبرت أنها دشنت مدرسة منيعة استمرت تبث أفكارها على الجمهور المصرى والعربى لعقود متعددة، مما صعب الأمر على مخرجى الحداثة اختراق هذا الجدار!

* * *

لذلك كثرت الموضوعات والأفكار التى تعرضت للدين فى الأفلام المصرية.. ولكنه تعرض محدود يستمد منه القيم التى يرى صانع الفيلم انها نفس قيم المجتمع الذى تعبر عنه السينما.. بصفته مجتمعاً روحانياً بطبعه.. يميل إلى الدين والتمسك بمبادئه وقيمه.. برغم اختلاف الوجهة والمذهب والمعتقد!

وقد تناولت هذه الأفلام المعاصرة والتاريخية -غير الدينية- موضوعات وأفكاراً دينية اختلف حجم التناول فيها اختلافاً متبايناً، حسب رؤية كل مؤلف ومخرج فيما يقدمه للجمهور.. بحيث تزيد الجرعة بحماس ووجهة نظر أحدهم (مثل أفلام حسين صدقى) أو تقل بل وتتناقض مع الموضوعات الرئيسية للفيلم نفسه (مثل أفلام حسن الإمام).

وهذه الأفلام هى:

- (شجرة الدر) إخراج: أحمد جلال ١٩٣٥.
- (وداد) إخراج : فرتز كرامب ١٩٣٦
- (ساعة التنفيذ) إخراج: يوسف وهبى ١٩٣٨.
- (ليلى بنت الريف) إخراج: توجو مزراحى ١٩٤١.
- (صلاح الدين الأيوبى) إخراج: إبراهيم لاما ١٩٤١
- (مصنع الزوجات) إخراج : نيازى مصطفى ١٩٤١.
- (الطريق المستقيم) إخراج: توجو مزراحى ١٩٤٣.
- (سيف الجلاد) إخراج يوسف وهبى ١٩٤٤
- (سلامة) إخراج: توجو مزراحى ١٩٤٥.
- (الأم) إخراج : عمر جميعى ١٩٤٥
- (يد الله) إخراج يوسف وهبى ١٩٤٦.
- (هدمت بيتى) إخراج: حسين فوزى ١٩٤٦.
- (الأب) إخراج: عمر جميعى ١٩٤٧
- (أحكام العرب) إخراج : إبراهيم عمارة ١٩٤٧
- (ابن عنتر) إخراج: أحمد سالم ١٩٤٧
- (عدل السماء) إخراج: أحمد كامل مرسى ١٩٤٨
- (الزناتى خليفة) إخراج: حسن حلمى ١٩٤٨
- (فتح مصر) إخراج: فؤاد الجزايرلى ١٩٤٨
- (اللعب بالنار) إخراج : عمر جميعى ١٩٤٨

- (طلاق سعاد هانم) إخراج: أنور وجدى ١٩٤٨
- (المصرى أفندى) إخراج: حسين صدقى ١٩٤٩
- (جوز الأربعة) إخراج : فطين عبدالوهاب ١٩٥٠
- (كيد النساء) إخراج : كامل التلمسانى ١٩٥٠
- (أمير الانتقام) إخراج: هنرى بركات ١٩٥٠
- (بابا أمين) إخراج: يوسف شاهين ١٩٥٠
- (أخلاق للبيع) إخراج: محمود ذو الفقار ١٩٥٠
- (أولاد الشوارع) إخراج: يوسف وهبى ١٩٥١
- (أولادى) إخراج: عمر جميعى ١٩٥١
- (لك يوم يا ظالم) إخراج: صلاح أبو سيف ١٩٥١
- (الإيمان) إخراج: أحمد بدرخان ١٩٥٢
- (ليلة القدر) إخراج: حسين صدقى ١٩٥٢
- (غضب الوالدين) إخراج: حسن الإمام ١٩٥٢
- (المساكين) إخراج: حسين صدقى ١٩٥٢
- (البيت السعيد) إخراج: حسين صدقى ١٩٥٢
- (السماء لا تنام) إخراج: إبراهيم عمارة ١٩٥٢
- (آمنت بالله) إخراج: محمود ذو الفقار ١٩٥٢
- (أموال اليتامى) إخراج: جمال مدكور ١٩٥٢
- (عبيد المال) إخراج: فطين عبدالوهاب ١٩٥٣
- (بيت الطاعة) إخراج: يوسف وهبى ١٩٥٣

- (المال والبنون) إخراج ابراهيم عمارة ١٩٥٤
- (جعلونى مجرماً) إخراج: عاطف سالم ١٩٥٤
- (موعد مع إبليس) إخراج: كامل التلمسانى ١٩٥٥
- (دعوة المظلوم) إخراج: كامل الحفناوى ١٩٥٦
- (المبروك) إخراج: حسن رضا ١٩٥٩
- (رسالة إلى الله) إخراج: كمال عطية ١٩٦١
- (وإسلاماه) إخراج: اندرو مارتون ١٩٦١
- (اللص والكلاب) إخراج: كمال الشيخ ١٩٦٢
- (الناصر صلاح الدين) إخراج: يوسف شاهين ١٩٦٣
- (الطريق) إخراج: حسام الدين مصطفى ١٩٦٤
- (بين القصرين) إخراج: حسن الإمام ١٩٦٤
- (الراهبة) إخراج: حسن الرمام ١٩٦٥
- (طريد الفردوس) إخراج: فطين عبدالوهاب ١٩٦٥
- (ثورة اليمن) إخراج: عاطف سالم ١٩٦٦
- (الزوجة الثانية) إخراج: صلاح أبو سيف ١٩٦٧
- (قنديل أم هاشم) إخراج: كمال عطية ١٩٦٨
- (الشحات) إخراج: حسام الدين مصطفى ١٩٧٣
- (السكرية) إخراج:حسن الإمام ١٩٧٣
- (الأخوة الأعداء) إخراج: حسام الدين مصطفى ١٩٧٤
- (وبالوالدين إحساناً) إخراج: حسن الإمام ١٩٧٦

- (لقاء هناك) إخراج: أحمد ضياء الدين ١٩٧٦
- (السقا مات) إخراج: صلاح أبو سيف ١٩٧٧.
- (يمهل ولا يهمل) إخراج: حسن حافظ ١٩٧٩
- (الجنة تحت قدميها) إخراج: حسن الإمام ١٩٧٩
- (أين تخبئون الشمس) إخراج: عبدالله المصباحي ١٩٨١
- (بريق عينيك) إخراج: محمد عبدالعزيز ١٩٨٢
- (العار) إخراج: علي عبدالخالق ١٩٨٢
- (الكف) إخراج: محمد حسيب ١٩٨٥
- (الإنس والجن) إخراج: محمد راضي ١٩٨٥
- (الطوفان) إخراج: بشير الديك ١٩٨٥
- (إنقاذ ما يمكن إنقاذه) إخراج: سعيد مرزوق ١٩٨٥
- (الحدق يفهم) إخراج: أحمد فؤاد ١٩٨٦
- (دقة زار) إخراج: أحمد ياسين ١٩٨٦
- (عصفور له أنياب) إخراج: حسن يوسف ١٩٨٧
- (التعويذة) إخراج: محمد شبل ١٩٨٧
- (جرى الوحوش) إخراج: علي عبدالخالق ١٩٨٧
- (الجوازة دي مش لازم تتم) إخراج: جمال عمار ١٩٨٨
- (قلب الليل) إخراج: عاطف الطيب ١٩٨٩
- (البيضة والحجر) إخراج: علي عبدالخالق ١٩٩٠
- (سيداتي آنساتي) إخراج: رأفت الميهي ١٩٩٠

- (الملك لله) إخراج: حسام الدين مصطفى ١٩٩٠
- (دماء على الأسفلت) إخراج: عاطف الطيب ١٩٩٢
- (الرقص مع الشيطان) إخراج:علاء محجوب ١٩٩٣
- (ثلاثة على الطريق) إخراج: محمد القليوبي ١٩٩٣
- (الإرهابي) إخراج: نادر جلال ١٩٩٥
- (المهاجر) إخراج: يوسف شاهين ١٩٩٤
- (طيور الظلام) إخراج: شريف عرفة ١٩٩٥
- (عتبة الستات) إخراج: علي عبدالخالق ١٩٩٥
- (الملائكة لا تسكن الأرض) إخراج: سعد عرفة١٩٩٥
- (التحويلة) إخراج: آمالي بهنسي ١٩٩٦

* * *

٢ - الإسقاط الدينى :

وهذه النوعية من الأفلام لم تنتشر بكثرة فى السينما المصرية.. بسبب المحاذير الدينية والعقائدية لدى الرقابة على الأفلام التى كانت تنتبه جيداً لما يمكن أن يسمى بإسقاط دينى فى الأفلام المصرية.. برغم رحابة هذا الاتجاه واتساع افقه وإفساحه العديد من الأفكار والرؤى لإبراز معان يريد صانع الفيلم أن تصل للجمهور من خلال عمله..وذلك يثبت من جديد أن السينما المصرية تفضل أن تكون سينما مباشرة، لا تجهد نفسها فى تضمين أعمالها بما يرمى إلى الاستفادة من قيم الدين وسماحته دون الوقوع فى التصريح بالقول.. ولكنها على العكس، فضلت المباشرة والجهر، بل والصراخ أحياناً فى إيضاح المرمى والهدف..

إلا أن هناك بعض المخرجين دفعهم الطموح إلى تحطيم قواعد المباشرة وصريح القول والفعل فى السينما المصرية، بمحاولات تقديم الإسقاط الدينى على موضوعاتهم الاجتماعية أو السياسية أو التاريخية..

وبالمقابل كانت هناك نوعية أخرى من الأفلام التى تبرز هدفها ومغزاها فى نهاية الفيلم، أو ضمن ما تتضمن أحداثه من خلال آية قرآنية أو حديث نبوى أو قصة دينية، برغم أن أحداث الفيلم اجتماعية أو بوليسية.. إلخ. ولا تبرز فيها مقولة الدين إلا فى لحظة الذروة، أو فى المشهد الذى يستطيع مخرجه أن يضعه فى الصدارة، لإبراز المعنى الذى يريده.. وكانت تلك المحاولات فى هذه الأفلام:

أ - أفلام يكون فيها الإسقاط من خلال آية قرآنية:

- (الزوجة السابعة) إخراج: إبراهيم عمارة ١٩٥٠

البطلة تذكر الآية القرآنية ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [٤٦].

وذلك بهدف إعطاء درس للزوج المزواج.

- (آمنت بالله) إخراج: محمود ذو الفقار ١٩٥٢

البطلة تلجأ للحجاب والصلاة وهى تردد آيات القرآن بعدما فقدت وحيدها.. فيرزقها الله بغيره.

- (جعلونى مجرماً) إخراج: عاطف سالم ١٩٥٤

الشيخ حسن يردد الآية القرآنية ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [٤٧]. بينما اللقطة على «سلطان» وهو نائم فى وداعة وانكسار!

- (عزيزة) إخراج: حسين فوزى ١٩٥٤

البطل يردد الآية الكريمة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [٤٨] عند مصرع الشقى «فريد شوقى» برصاص البوليس.

- (المرأة التى غلبت الشيطان) إخراج: يحيى العلمى ١٩٧٣

الخفير الشيخ يردد آيات عديدة من القرآن لطرد الشيطان من البيت بعدما تابت صاحبته!

- (العار) إخراج: على عبد الخالق ١٩٨٢

يختم الفيلم مشاهده بذكر الآيات القرآنية ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [٤٩].

- (الإنس والجن) إخراج: محمد راضى ١٩٨٥

البطل يردد الآيات القرآنية الخاصة بالجان، وفى نهاية الفيلم يقرأ سورة (الناس) كاملة.

- (كيدهن عظيم) إخراج: حسن الإمام ١٩٨٧

البطل يردد فى آخر الفيلم الآية القرآنية ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة﴾ (٥٠).

ب- أفلام يكون فيها الإسقاط من خلال الموضوع:

- (الطريق) إخراج: حسام الدين مصطفى ١٩٦٤

يرمى إلى معنى الآية القرآنية ﴿وهديناه النجدين﴾ (٥١).. حيث البطل يشقى فى البحث عن والده المعتقد أنه غائب!!

- (حكاية الأصل والصورة) إخراج: مدكور ثابت ١٩٧٢

وهى الحكاية الثالثة من فيلم (صور ممنوعة)، ويسقط فى أحد مشاهده الهامة مقولات الدين (طوبى لمن ورث الملكوت) على العلاقات الاجتماعية المتشابكة والمتردية، ونرى البطل فى حفل تنكرى فى زى المسيح!

- (أين تخبئون الشمس) إخراج: عبد الله المصباحى ١٩٨١

عن قضايا الإيمان والشرك بالله.. ويرمى إلى وضوح الدين والعقيدة رغم محاولات الملحدين لإغفالها!

- (الإنس والجن) إخراج: محمد راضى ١٩٨٥

يتناول ظهور الجن لعالم الإنس وتعلقه بواحدة منهم.. ويرمى إلى صراع الإنسان فى مواجهة المجهول المتمثل فى الجن!

- (قاهر الزمن) إخراج: كمال الشيخ ١٩٨٧

يدور الصراع بين العلم والإيمان، بسبب طبيب يريد تجميد أجساد الموتى لإعادة الحياة إليها فيما بعد!

- (جرى الوحوش) إخراج: على عبد الخالق ١٩٨٧

صراع آخر بين العلم والإيمان، حيث يحاول جراح أن يجعل عقيماً ينجب!

- (قلب الليل) إخراج: عاطف الطيب ١٩٨٩

محاولة شاب الخروج على تقاليد جده الدينية!

- (الرقص مع الشيطان) إخراج: علاء محجوب ١٩٩٣

محاولة عالم استحضار الماضى والمستقبل للاطلاع على الغيب الذى لا يعلمه!

- (المهاجر) إخراج: يوسف شاهين ١٩٩٤

يتناول قصة سيدنا يوسف عليه السلام من خلال موضوع تاريخى تجرى أحداثه فى عصر الفراعنة!

***

كما لا يكاد يخلو فيلم مصرى من ظهور المسجد أو الجامع أو ساحته أو مئذنته أو قبابه أو ميضته فى قلب الأحداث، أو فى خلفيتها، أو حتى بصورة عابرة كرمز أو علامة لمصداقية المكان والأحداث، وارتباطه بالمجتمع الذى تعبر عنه هذه السينما.. كما كان ظهور بعض الكنائس -على قلتها- فى أفلام تعمدت إبرازها لهدف ترمى إليه.. وكذا تناول شهر رمضان المبارك وعيدى الفطر والأضحى ضمن أحداث بعض الأفلام كطقوس دينية واجتماعية مهمة مثل أفلام: (فى بيتنا رجل) و(خان الخليلى) و(أم العروسة).

***

(٣) المواعظ الدينية:

يمكننا أن نقسم أفلام المواعظ الدينية التى قدمتها السينما المصرية طوال تاريخها إلى ثلاثة أقسام رئيسية هى:

الأفلام التى أعلنت موعظتها مباشرة من خلال عناوينها وأسمائها، وهى تبدو

واضحة المرمى والهدف، وتتكىء على الحكمة من تقديمها ولو بطريقة مباشرة وصريحة.. حتى أنها يمكن أن تسلك سبيلها إلى هذا بذكر آية قرآنية أو شطر منها لإيقاع الأثر المطلوب لدى المتلقى بأسرع وأوضح وسيلة.. وأفلام أخرى لجأت إلى ذكر لفظ الجلالة (الله) أو ما يعادله مثل (الرب) للوصول إلى نفس الهدف، وإن كانت موضوعاتها بعيدة عن الموضوعات الدينية المباشرة، وأفلام أخرى كثر فيها ذكر الملاك والشيطان، وكذا ذكر الجنة والنار بهدف العظة والعبرة التى ترمى إليه أحداث الفيلم.. وهذه النوعية الأخيرة غالباً ما تدور أحداثها حول موضوعات اجتماعية أو بوليسية شتى.. ولكن يظل العنوان الرئيسى للفيلم هو المتكأ أو الغاية التى يريد أن يصل بها فنان السينما إلى جمهوره ولو تعددت الوسائل والسبل..

أ- الموعظة فى عناوين الأفلام

- (وخز الضمير) إخراج: إبراهيم لاما ١٩٣١
- (كفرى عن خطيئتك) إخراج: عزيزة أمير ١٩٣٣
- (الطريق المستقيم) إخراج: توجو مزراحى ١٩٤٣
- (الحياة كفاح) إخراج: جمال مدكور ١٩٤٥
- (الأم) إخراج: عمر جميعى ١٩٤٥
- (الدنيا بخير) إخراج: حلمى رفلة ١٩٤٦
- (الخير والشر) إخراج: حسن حلمى ١٩٤٦
- (الخطيئة) إخراج: إبراهيم عمارة ١٩٤٦
- (ضربة القدر) إخراج: يوسف وهبى ١٩٤٧
- (نور من السماء) إخراج: حسن حلمى ١٩٤٧

- (الأب) إخراج : عمر جميعى ١٩٤٧
- (عدل السماء) إخراج: أحمد كامل مرسى ١٩٤٨
- (العقاب) إخراج: هنرى بركات ١٩٤٨
- (العقل زينة) إخراج: حسن رضا ١٩٥٠
- (كيد النساء) إخراج: كامل التلمسانى ١٩٥٠
- (قسمة ونصيب) إخراج: محمود ذو الفقار ١٩٥٠
- (الشرف غالى) إخراج: أحمد بدرخان ١٩٥١
- (لك يوم يا ظالم) إخراج: صلاح أبو سيف ١٩٥١
- (الدنيا حلوة) إخراج: يوسف معلوف ١٩٥١
- (الصبر جميل) إخراج: نيازى مصطفى ١٩٥١
- (الإيمان) إخراج: أحمد بدرخان ١٩٥٢
- (ليلة القدر) إخراج: حسين صدقى ١٩٥٢
- (غضب الوالدين) إخراج: حسن الإمام ١٩٥٢
- (انتصار الإسلام) إخراج: أحمد الطوخى ١٩٥٢
- (السماء لا تنام) إخراج: إبراهيم عمارة ١٩٥٢
- (آمنت بالله) إخراج: محمود ذو الفقار ١٩٥٢
- (أموال اليتامى) إخراج: جمال مدكور ١٩٥٢
- (حلال عليك) إخراج: عيسى كرامة ١٩٥٢
- (فاعل خير) إخراج: حلمى رفلة ١٩٥٣
- (المقدر والمكتوب) إخراج: عباس كامل ١٩٥٣

- (مكتوب على الجبين) إخراج: إبراهيم عمارة ١٩٥٣
- (حكم الزمان) إخراج: هنرى بركات ١٩٥٣
- (كلمة الحق) إخراج: فطين عبد الوهاب ١٩٥٣
- (حرام عليك) إخراج: عيسى كرامة ١٩٥٣
- (المال والبنون) إخراج: إبراهيم عمارة ١٩٥٤
- (الظلم حرام) إخراج: حسن الصيفى ١٩٥٤
- (خليك مع الله) إخراج: حلمى رفلة ١٩٥٤
- (نحن بشر) إخراج: إبراهيم عمارة ١٩٥٥
- (ضحكات القدر) إخراج: إلهامى حسن ١٩٥٥
- (معجزة السماء) إخراج: عاطف سالم ١٩٥٦
- (دعوة المظلوم) إخراج: كامل الحفناوى ١٩٥٦
- (الجريمة والعقاب) إخراج: إبراهيم عمارة ١٩٥٧
- (رحمة من السماء) إخراج: عباس كامل ١٩٥٨
- (توبة) إخراج: محمود ذو الفقار ١٩٥٨
- (الرباط المقدس) إخراج:عز الدين ذو الفقار ١٩٦٠
- (وا إسلاماه) إخراج: أندرو مارتون ١٩٦١
- (يوم الحساب) إخراج: عبد الرحمن شريف ١٩٦٢
- (العمر أيام) إخراج: يوسف عيسى ١٩٦٤
- (الحرام) إخراج: هنرى بركات ١٩٦٥
- (الراهبة) إخراج: حسن الإمام ١٩٦٥

- (شيء من الخوف) إخراج: حسين كمال ١٩٦٩
- (الغفران) إخراج: عبد الرحمن شريف ١٩٧١
- (عجايب يا زمن) إخراج: حسن الإمام ١٩٧٤
- (وبالوالدين إحسانا) إخراج: حسن الإمام ١٩٧٦
- (دعاء المظلومين) إخراج: حسن الإمام ١٩٧٧
- (أيام العمر معدودة) إخراج: تيسير عبود ١٩٧٨
- (العمر لحظة) إخراج: محمد راضى ١٩٧٨
- (حساب السنين) إخراج: أحمد السبعاوى ١٩٧٨
- (لعنة الزمن) إخراج: أحمد السبعاوى ١٩٧٩
- (يمهل ولا يهمل) إخراج: حسن حافظ ١٩٧٩
- (الجنة تحت قدميها) إخراج: حسن الإمام ١٩٧٩
- (لا تظلموا النساء) إخراج: حسن الإمام ١٩٨٠
- (الإنسان يعيش مرة واحدة) إخراج: سيمون صالح ١٩٨١
- (الرحمة يا ناس) إخراج: كمال صلاح الدين ١٩٨١
- (أرزاق يا دنيا) إخراج: نادر جلال ١٩٨٣
- (إن ربك لبالمرصاد) إخراج: محمد حسيب ١٩٨٣
- (كيدهن عظيم) إخراج: حسن الإمام ١٩٨٣
- (أيوب) إخراج: هانى لاشين ١٩٨٤
- (الحلال يكسب) إخراج: أحمد السبعاوى ١٩٨٥
- (غضب الحليم) إخراج: كمال عطية ١٩٨٥

- (الحلال والحرام) إخراج: سيد سيف ١٩٨٥
- (حد السيف) إخراج: عاطف سالم ١٩٨٦
- (وعد ومكتوب) إخراج: هانى يان ١٩٨٦
- (فقراء ولكن سعداء) إخراج: السعيد مصطفى ١٩٨٦
- (موعد مع القدر) إخراج: محمد راضى ١٩٨٦
- (حظ من السماء) إخراج: عبد الهادى طه ١٩٨٧
- (جرى الوحوش) إخراج: على عبد الخالق ١٩٨٧
- (النصيب مكتوب) إخراج: ناصر حسين ١٩٨٧
- (يوم مر يوم حلو) إخراج: خيرى بشارة ١٩٨٨
- (قسمة ونصيب) إخراج: حسن الصيفى ١٩٩٠

***

ب- لفظ الجلالة والرب فى عناوين الأفلام

- (يد الله) إخراج: يوسف وهبى ١٩٤٦
- (آمنت بالله) إخراج: محمود ذو الفقار ١٩٥٢
- (خليك مع الله) إخراج: حلمى رفلة ١٩٥٤
- (الله معنا) إخراج: أحمد بدرخان ١٩٥٥
- (بيت الله الحرام) إخراج: أحمد الطوخى ١٩٥٧
- (الله أكبر) إخراج: إبراهيم السيد ١٩٥٩
- (رسالة إلى الله) إخراج كمال عطية١٩٦١
- (شهيدة الحب الإلهى) إخراج عباس كامل١٩٦٢

- (يارب توبة) إخراج: على رضا ١٩٧٥
- (حكمتك يارب) إخراج: حسام الدين مصطفى ١٩٧٦
- (شقة وعروسة يارب) إخراج: زكى صالح ١٩٧٨
- (ياما أنت كريم يارب) إخراج: حسين عمارة ١٩٨٣
- (إن ربك لبالمرصاد) إخراج: محمد حسيب ١٩٨٣
- (يارب ولد) إخراج: عمر عبد العزيز ١٩٨٤
- (دنيا الله) إخراج: حسن الإمام ١٩٨٥
- (سترك يارب) إخراج: حسن الصيفى ١٩٨٦
- (الملك لله) إخراج:حسام الدين مصطفى ١٩٩٠

***

حـ - إسم الملاك وإسم الشيطان وذكر الجنة والنار

١ - *إسم الملاك والملائكة:*

- (لست ملاكاً) إخراج: محمد كريم ١٩٤٦
- (ملاك الرحمة) إخراج:يوسف وهبى ١٩٤٦
- (ملائكة فى جهنم) إخراج: حسن الإمام ١٩٤٦
- (الملاك الأبيض) إخراج: إبراهيم عمارة ١٩٤٧
- (كانت ملاكاً) إخراج: عباس كامل ١٩٤٧
- (الملاك الظالم) إخراج: حسن الإمام ١٩٥٤
- (الملاك الصغير) إخراج: كمال الشيخ ١٩٥٨
- (حماتى ملاك) إخراج: عيسى كرامة ١٩٥٩

- (ملاك وشيطان) إخراج: كمال الشيخ ١٩٦٠
- (صراع مع الملائكة) إخراج: حسن توفيق ١٩٦٢
- (لسنا ملائكة) إخراج:محمود فريد ١٩٧٠
- (خطيئة ملاك) إخراج: يحى العلمى ١٩٧٩
- (لست شيطانا ولاملاكاً) إخراج: هنرى بركات ١٩٨٠
- (ملائكة الشوارع) إخراج: حسن الصيفى ١٩٨٥
- (الملائكة لا تسكن الأرض) إخراج:سعد عرفة ١٩٩٥

٢- *إسم الشيطان وإبليس:*

- (المرأة شيطان) إخراج:عبد الفتاح حسن ١٩٤٩
- (شيطان الصحراء) إخراج:يوسف شاهين ١٩٥٤
- (موعد مع إبليس) إخراج:كامل التلمسانى ١٩٥٥
- (شياطين الجو) إخراج: نيازى مصطفى ١٩٥٦
- (الشيطانة الصغيرة) إخراج: حسن الإمام ١٩٥٨
- (ملاك وشيطان) إخراج: كمال الشيخ ١٩٦٠
- (امرأة وشيطان) إخراج: سيف الدين شوكت ١٩٦١
- (طريق الشيطان) إخراج: كمال عطية ١٩٦٣
- (الشيطان الصغير) إخراج: كمال الشيخ ١٩٦٣
- (الشياطين الثلاثة) إخراج:حسام الدين مصطفى ١٩٦٤
- (شياطين الليل) إخراج: نيازى مصطفى ١٩٦٦
- (إبن الشيطان) إخراج: حسام الدين مصطفى ١٩٦٩

- (الشيطان) إخراج: محمد سلمان ١٩٦٩
- (هى والشياطين) إخراج: حسام الدين مصطفى ١٩٦٩
- (نهاية الشياطين) إخراج : حسام الدين مصطفى ١٩٧٠
- (ولد وبنت والشيطان) إخراج: حسن يوسف ١٩٧١
- (عصابة الشيطان) إخراج: حسام الدين مصطفى ١٩٧١
- (شياطين البحر) إخراج: حسام الدين مصطفى ١٩٧٢
- (الشيطان امرأة) إخراج: نيازى مصطفى ١٩٧٢
- (الشيطان والخريف) إخراج: أنور الشناوى ١٩٧٢
- (الشياطين والكورة) إخراج:محمود فريد ١٩٧٣
- (الشياطين فى إجازة) إخراج: حسام الدين مصطفى ١٩٧٣
- (المرأة التى غلبت الشيطان) إخراج:يحيى العلمى ١٩٧٣
- (شياطين إلى الأبد) إخراج:محمودفريد ١٩٧٤
- (الأزواج الشياطين) إخراج: أحمد فؤاد ١٩٧٧
- (الشياطين) إخراج:حسام الدين مصطفى ١٩٧٧
- (إبليس فى المدينة) إخراج: سمير سيف ١٩٧٨
- (وثالثهم الشيطان) إخراج: كمال الشيخ ١٩٧٨
- (لست شيطانا ولا ملاكا) إخراج: هنرى بركات ١٩٨٠
- (الأبالسة) إخراج:على عبد الخالق ١٩٨٠
- (اللى ضحك على الشياطين) إخراج:ناصر حسين ١٩٨١
- (الشيطان يعظ) إخراج: أشرف فهمى ١٩٨١
- (بذور الشيطان) إخراج:يس إسماعيل يس ١٩٨١

– (الأرملة والشيطان) إخراج: هنرى بركات ١٩٨٤

– (بنات إبليس) إخراج: على عبد الخالق ١٩٨٤

– (الشيطان يغنى) إخراج: يس إسماعيل يس ١٩٨٤

– (شيطان من عسل) إخراج: حسن الصيفى ١٩٨٥

– (أصدقاء الشيطان) إخراج: أحمد ياسين ١٩٨٨

– (خطة الشيطان) إخراج: يس إسماعيل يس ١٩٨٨

– (الشيطانة التى أحبتنى) إخراج:سمير سيف ١٩٩٠

– (الشيطانة) إخراج: أحمد النحاس ١٩٩٠

– (جزيرة الشيطان) إخراج: نادر جلال ١٩٩٠

– (اللعب مع الشياطين) إخراج:أحمد فؤاد ١٩٩١

– (شياطين المدينة) إخراج: سعيد محمد ١٩٩١

– (الشيطان يقدم حلاً) إخراج: محمد عبد العزيز ١٩٩١

– (شياطين الشرطة) إخراج: سمير حافظ ١٩٩٢

– (الراقصة والشيطان) إخراج: محمود حنفى ١٩٩٢

ـ (الرقص مع الشيطان) اخراج: علاء محجوب ١٩٩٣

ـ (بوابة ابليس) اخراج: عادل الأعصر ١٩٩٣

٣ ـ اسم الجنة والفردوس:

ـ (جنة ونار) اخراج: حسين فوزى ١٩٥٢

ـ (نافذة على الجنة) اخراج: أحمدضياء الدين ١٩٥٣

ـ (عصافير الجنة) اخراج: سيف الدين شوكت ١٩٥٥

ـ (طريد الفردوس) اخراج: فطين عبدالوهاب ١٩٦٥

ـ (الخروج من الجنة) اخراج: محمود ذو الفقار ١٩٦٧

ـ (الجنة تحت قدميها) إخراج: حسن الإمام ١٩٧٩

ـ (٧ أيام فى الجنة) اخراج: فطين عبدالوهاب ١٩٦٩

ـ (فقراء لايدخلون الجنة) اخراج: مدحت السباعى ١٩٨٤

٤ ـ اسم النار وجهنم:

ـ (سفير جهنم) اخراج: يوسف وهبى ١٩٤٥

ـ (بين نارين) اخراج: جمال مدكور ١٩٤٥

ـ (ملائكة فى جهنم) اخراج: حسن الامام ١٩٤٦

ـ (اللعب بالنار) اخراج: عمر جميعى ١٩٤٨

ـ (اجازة فى جهنم) اخراج: عز الدين ذو الفقار ١٩٤٩

ـ (امرأة من نار) اخراج:فيرنتشو ١٩٥٠

ـ (جنة ونار) اخراج: حسين فوزى ١٩٥٢

ـ (حب من نار) اخراج: حسن الامام ١٩٥٨

ـ (السابحة فى النار) اخراج: محمد كامل حسن ١٩٥٩

ـ (نار فى صدرى) اخراج: حسن رضا ١٩٦٣

ـ (قطة على نار) اخراج: سمير سيف ١٩٧٧

ـ (شباب يرقص فوق النار) اخراج: يحيى العلمى ١٩٧٨

ـ (كلهم فى النار) اخراج: أحمد السبعاوى ١٩٧٨

ـ (من يطفىء النار) اخراج: محمد سلمان ١٩٨٢

ـ (شوارع من نار) اخراج: سمير سيف ١٩٨٤

ـ (امرأة من نار) اخراج: أحمد ثروت ١٩٨٧

ـ (اللعب بالنار) اخراج: محمد مرزوق ١٩٨٩

ـ (رجل من نار) اخراج: محمد مرزوق ١٩٩٢



ملصق فيلم (المال والبنون)



ملصق فيلم (الجنة تحت قدميها)



ملصق من فيلم (ثورة اليمن)

رياسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس

مكاتب الوزير ٤/ ٧

القيد / ١/١/خاص/٨٢

التاريخ ١٩٥٢/١٢/٢٧

حضرة المحترم نيـــــد المـــــزاوى

رئيس المركز الكاثوليكى المصرى للسينما — ٩ شارع عدلى با

شقة رقم ٨

ردا على خطابكم المؤرخ ١٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢ والخاص بعرض فيلم " ليلة القـــدر " .

نرجو العلم بأن حضرة الرئيس اللواء " اركان الحرب " محمـــد نجيـــب قد استعرض الفيلم بنفسه بصفة خاصة وأمر بعدم عرضه حرصـــا على الشعور العـــام .

واقبلوا وافر الاحـــــترام ،،

مدير مكتب رئيس مجلس الوزراء

صورة من قرار الرئيس محمد نجيب بمنع فيلم (ليلة القدر)



لقطة من فيلم (شفيقة القبطية)



ملصق فيلم (آمنت بالله)



لقطة من فيلم (الإنس والجن)



لقطة من فيلم (جرى الوحوش)

الهوامش

(١) مجلة الجيل - العدد ٣٤٣ - بتاريخ ٢١ يوليو ١٩٥٨.

(٢) من حوار بين حسين صدقي والناقد الفني محمد السيد شوشة نشر بعد وفاة حسين صدقي في مجلة (الكواكب) بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩٧٦.

(٣) عبدالله أحمد عبدالله الشهير (بميكي ماوس).

(٤) عبدالعال الحمامصي - أحاديث حول الأدب والفن والثقافة - دار المعارف ١٩٧٨.

(٥) جريدة الشعب - بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٥٨.

(٦) مجلة الكواكب بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٥٣.

(٧) لم يكن هذا الرأى سائداً عند كل المخرجين، خاصة عند هؤلاء الذين يمتلكون رؤى سينمائية مختلفة، بدليل اختيار المخرج يوسف شاهين لـلنجم أحمد مظهر لدور صلاح الدين الأيوبي في فيلم (الناصر صلاح الدين) والذى عرض في نفس الموسم (١٩٦٣)!

(٨) دائرة المعارف الإسلامية - تأليف أئمة المستشرقين في العالم ، إعداد وتحرير النسخة العربية: إبراهيم زكى خورشيد وأحمد الشنتناوى وعبدالحميد يونس - كتاب الشعب ١٩٦٩.

(٩) عبدالمنعم الحفنى - معجم مصطلحات الصوفية - مكتبة مدبولي ١٩٨٠.

(١٠) عبدالمنعم الحفنى - العابدة الخاشعة رابعة العدوية إمامة العاشقين والمحزونين - دار الرشاد ١٩٩٥.

(١١) أبو محمد عبدالملك بن هشام - سيرة النبى - الجزء الثالث - طبعة دار التحرير ١٩٨٩.

(١٢) عماد الدين بن كثير - البداية والنهاية - الجزء الثانى - طبعة دار الغد العربى ١٩٩١.

(١٣) الآية رقم (٨٠) من سورة الإسراء.

(١٤) حسين بيومى - تكريم ماجدة - مطبوعات مهرجان القاهرة السينمائى السادس عشر - ١٩٩٢.

(١٥) فى ٢٩ سبتمبر عام ١٩٦٢ أصدر جمال عبدالناصر الإعلان الدستورى لنظام الحكم الجديد بعد انفصال الوحدة مع سوريا، أعلن فيه عن تشكيل مجلسين: مجلس الرياسة، والمجلس التنفيذى (وهو مجلس الوزراء).. أما مجلس الرياسة فقد تشكل برئاسة جمال عبدالناصر وعضوية خمسة نواب لرئيس الجمهورية (وكانوا جميعاً من مجلس قيادة الثورة)، كما ضم المجلس الرياسى فى عضويته: على صبرى ونور الدين طراف وكمال الدين رفعت والشيخ أحمد الشرباصى وهو نفسه المشرف الدينى على فيلم (هجرة الرسول)!

(١٦) هانى الحلوانى - مقال بمجلة (القاهرة) - ديسمبر ١٩٨٥.

(١٧) أثيرت هذه القضية مرة أخرى، ولكن بشكل آخر مع سميرة أحمد أثناء تصوير فيلم «الشيماء» ١٩٧٢، حيث اعترض مخرج الفيلم على تمثيلها لدور «راقصة». .انظر الفصل الخاص بفيلم (الشيماء) فى الكتاب.

(١٨) عبدالرحمن على كان مرشحاً من قبل عبدالحميد جودة السحار وعاطف سالم لبطولة فيلم (الحفيد) ١٩٧٥، ولكن حدث أن داهمه المرض فجأة فسافر للعلاج فى الخارج، ولعب الدور بدلاً منه نور الشريف!

(١٩) سورة «الأعلى» بالكامل، وهى السورة رقم ٨٧ فى القرآن الكريم، مكية، وآياتها ١٩.

(٢٠) عبدالمنعم صبحى - مجلة (السينما) - العدد ١٥ - مارس ١٩٧٠.

(٢١) البيان أصدره فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى أول يوليو عام ١٩٨٨ بعنوان (سمات الحلال والحرام فى الإسلام) بمناسبة موجة الفتاوى التى انتشرت فى تلك الفترة!

(٢٢) عمرو ناجى «مطرب فرقة أم كلثوم» - (تقنيات الأداء عند الشيوخ القراء وإمكانية الاستفادة منها فى تقويم الغناء العربى» رسالة لنيل درجة الماجستير - نوقشت بأكاديمية الفنون فى أول أكتوبر عام ١٩٩٥.

(٢٣) على أحمد باكثير - شادية الإسلام - مكتبة مصر - ١٩٧٩.

(٢٤) ابن هشام - المصدر السابق.

(٢٥) عبدالحميد جودة السحار - ذكريات سينمائية - مكتبة مصر - ١٩٧٠.

(٢٦) نص اللقاء الذى دار بين المخرجين والفنانة منشور بمجلة (الكواكب) فى يوليو ١٩٧١.

(٢٧) عبدالمنعم سعد - السينما المصرية فى موسم - هيئة الكتاب ١٩٧٣.

(٢٨) محمد الغزالى - ركائز الإيمان - دار الاعتصام ١٩٧٣.

(٢٩) الآيتان رقم (١١٨، ١١٩) من سورة هود.

(٣٠) ولترسيتس - فى فلسفة الدين - ترجمة د. زكريا إبراهيم - المؤسسة الوطنية بيروت ١٩٦٧.

(٣١) «فيتوريو دى سيكا» مخرج إيطالى كبير تميزت أعماله بالواقعية الشديدة، توفى عام ١٩٧٤.

(٣٢) نص الحديث (من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين. وإنما أنا قاسم والله يعطى. ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله). رواه البخارى - الحديث رقم ٧١ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى - ابن حجر العسقلانى، الجزء الأول - طبعة دار الغد العربى ١٩٩٢.

(٣٣) اعتدال ممتاز - مذكرات رقيبة سينما ٣٠ عاماً - هيئة الكتاب ١٩٨٥.

(٣٤) يوسف وهبى - عشت ألف عام - الجزء الثالث - دار المعارف ١٩٧٦.

(٣٥) أحمد الحضرى - تاريخ السينما فى مصر - الجزء الأول - مطبوعات نادى السينما بالقاهرة ١٩٨٩.

(٣٦) رفيق الصبان - مقال بعنوان (التابو فى السينما المصرية) - مجلة الفنون - سبتمبر ١٩٨٦.

(٣٧) بانوراما - نشرة مهرجان القاهرة السينمائى الدولى العشرين - ديسمبر ١٩٩٦.

(٣٨) الآية رقم (٥٩) من سورة النساء.

(٣٩) رفيق الصبان - المصدر السابق.

(٤٠) عبدالمنعم سعد - السينما المصرية فى موسم - هيئة الكتاب ١٩٧٤.

(٤١) على الراعى - شخصية المحتال فى المقامة والحكاية والرواية والمسرحية - كتاب الهلال - ابريل ١٩٨٥.

(٤٢) الآية رقم (٣١) من سورة الإسراء.

(٤٣) بالنسبة للديانة المسيحية فهى جزء من نسيج هذا الوطن، وبالتالى فهى كانت تشكل حساسية عند بعض مبدعى السينما المصرية مثل الديانة الإسلامية تماماً.. أما بالنسبة للديانة اليهودية فقد كان هناك بعض التجرؤ على الشخصية التى تمثلها بسبب (عنصرية) الأفراد المعتنقين لهذه الديانة، وما اشتهر عنهم من بخل وحرص على المال.. ولعل «شكسبير» أول من لفت الأنظار لهذه المسألة منذ حوالى أربعمائة عام.. ومنه استمد الفنانون تصورهم لهذه الشخصية! بل و«لكارل ماركس» رأى يقول فيه: ان اله اليهود اله علمانى، وهم يعبدون المال وتصبوه الها، والمتاجرة هى ديانتهم الحقيقية، وبجانب المال لم يعد يعيش بينهم اله آخر!!(أنظر المسألة اليهودية).

(٤٤) عبدالمنعم سعد - السينما المصرية فى موسم - هيئة الكتاب ١٩٧٧.

(٤٥) رفيق الصبان - المصدر السابق.

(٤٦) الآيتان رقم (٤٩،٥٠) من سورة الشورى.

(٤٧) الآية رقم (٢) من سورة النساء.

(٤٨) الآية رقم (٤٦) من سورة فصلت.

(٤٩) الآيات (من ٧ إلى ١٠) من سورة الشمس.

(٥٠) الآية رقم (٦٠) من سورة مريم.

(٥١) الآية رقم (١٠) من سورة البلد.

صدر للمؤلف

١ - معالى الوزير.. بـــــاق (مجموعة قصصية) دار عربيـــــة ١٩٨٥.
٢ - نحن بخيـــر.. اطمئنــــوا (مجموعة قصصية) هيئة الكتـــاب ١٩٨٦.
٣ - الزعمـــاء والسينمـــا (رؤية سينماسيـــة) كتاب الجمهورية ١٩٩٤.
٤ - السينمـــا والسلطـــة (رؤية سينماسية) مكتبة مدبولـى ١٩٩٦.
٥ - الدين والعقيدة فى السينما (نظرة خاصـــة) مكتبة مدبولى ١٩٩٧.

تحت قيد النشر

- الجســد الواحــد (رواية)
- عودة ابن مالك (مجموعة)